مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح

لابن عطاء السكندرى

تقديم وتحقيق وتعليق

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

مكتبة مدبولي

القاهرة

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ ١٩٩٣م

مكتبة مدبولى

٦ ميدان طلعت حرب القاهرة تلفون : ٧٥٦٤٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

والصلاة والسلام على نبينا ومولانا الصادق الأمين محمد بن عبدالله وعلى أله وصحبه ومن اتبع الهدى والدين وبعد.

فنتقدم للمكتبة الصوفية علم من أعلام ورائد من رواد الفكر عامة التصوف الإسلامى وصاحب الأعمال الجليلة والنافعة للمسلمين والإسلام عاقة والتى تدل على مدى تعمق فكرة وعلمه فى التصوف وهو أبو العضل أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن عطاء الله الإسكندرى المالكى الشاذلى الإمام المتكلم، صحب الشيخ أبا العباس المرسى صاحب الشاذلى وصنف مناقبه ومناقب شيخه، وكان المتكلم على لسان الصوفية فى زمانه وهو ممن قام على الشيخ تقى الدين بن تيمية فبالغ فى ذلك، وكان يتكلم على الناس وله فى ذلك تصانيف عديدة ومات فى نصف جمادى الأخرة سنة ٧٠٩هـ بالمدرسة المنصورية كهلاً، وكانت جنازته حافلة رحمه الله تعالى.

قال الداودى فى كتابه طبقات المفسرين ٧٦/١-٧٧ عنه «كان جامعاً لأنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه وغير ذلك. وله تواليف مفيدة وكان رحمه الله متكلماً على طريقة أهل التصوف، واعظاً انتفع به خلق كثير وسلكوا طريقه، وكان شاذلى الطريقة، ينتمى إلى الشيخ أبى الحسن رحمه الله، وكان أعجوبة زمانه فى كلام التصوف. قدم القاهرة وتكلم بالجامع الأزهر وغيره فوق كرسى بكلام بروح النفوس على طريقة القوم، مع المام بآثار السلف، ومشاركة فى الفضائل فأحبه الناس وكثرت أتباعه، وكان رجلاً صالحاً له ذوق، وعليه سيما الخير. توفى بالمدرسة المنصورية فى القاهرة فى ثالث عشر جمادى الأخرة سنة تسع وسبعمائة ودفن بالفراقة وتردد الناس لزيارة قبر تبركا به، وعملوا عند قبره فى ليلة حادى عشر جمادى من كل سنة مجتمعاً يقرأون فيه القرأن ويطمعون الطعام، فيحشر الناس من أكثر الجهات لشهود هذا المحيا».

قال الذهبى: كانت له جلاله عجيبة ووقع فى النفوس ومشاركة فى الفضائل، ورأيت الشيخ تاج الدين الفارقى لما رجع من مصر معظماً لوعظه وإشارته، وكان يتكلم

بالجامع الأزهر فوق كرسى بكلام يروح النفوس ومزج كلام لقوم بآثار السلف وفنون العلم فكثر أتباعه، وكانت سيما الخير.

وحول زهده وعلمه

فقيل إن ثلاثة قصدوا مجلسه فقال أحدهم لو سلمت من العائلة لتجروت، وقال الأخر: أنا أصلى وأصوم ولا أجد من الصلاح ذرة، فقال الثالث: إن صلاتى ما ترضينى فكيف ترضى ربى فلما حضروا مجلسه، قال فى أثناء كلامه: ومن الناس من يقول فأعاد كلامهم بعينه وأخذ عنه الشيخ تقى الدين السبكى قرأت على بنت السبكى عن أبيها سماعا قال سمعت أبا الفضل بن عطاء يقول فذكر شيئا من كلامه، وقال الكمال جعفر سمع من الأبرقوهى، وقرأ النحو على المحبى المارونى وشارك فى الفقه والأدب وصحب المرسى وتكلم على الناس فسارعت عليه العامة وكثير من المتفقهة وكثر أتباعه. قال لنا أبو حيان قال لنا شرف القضاة ابن الريفى قال لنا ابن عطاء يوما اترجن لكم قلنا نعم فتكلم بكلام القوم. فقلنا له نعم حكيت كلام المرجانى فأستمر قال: وقال لى الكمال بن المكين حكى لى المراكشى قال كنت أصحب فقيراً فحضر إليه ابن الخليلى الوزير يزوره فقال له جاءنى ابن عطاء الله فقال لى الليلة ترى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام واجعل بشارتى أن تولينى الخطابة بالاسكندرية فمضيت الليلة وما رأيت شيئا وقد عزمت على ضربة فلم يزل الفقير يتلطف به حتى عفا عنه.

قال ابن الأهدل: الشيخ العارف بالله شيخ الطريقين وإمام الفريقين، كان فقيهاً عالماً ينكر على الصوفية ثم جذبته العناية فصحب شيخ الشيوخ المرسى وفتح عليه على يديه والذى جرى له معه مذكور فى كتابه لطائف المنن وله عدة تصايف منها «التنوير فى إسقاط التدبير وكتاب الحكم وكتاب المرقى إلى القدس الأبقى ومختصر تهذيب المدونة للبرادعى فى الفقه.

ومن شعره فى شيخه

كم مــن قلوب قـد أميتت بالهـوى — أحيـابـها مـن بعـد مـا أحيـاها

وكان شيخه يستميد منه هذا البيت ومن طالع كتبه عرف فضله .

أيضاً من شعره :

مــرادى منــك نـسيــان المــراد — إذا رمـت السيــل إلــى الـرشــاد
فــإن تــدع الـوجــود فلا تــراه — وتــصبـح مــالكـا حبـل اعتمادى
إلــى كــم غفلــة عنــى وإنــى — علــى حفـظ الـرعـاية والــوداد
ووّدى فيــك لــو تــدرى قـديــم — ويــوم البـت تـشهـد بـأنـفـراد
وهــل رب ســواى فـتـرتجيــه — غـــداً ينجيــك مــن كُـربَ شداد
فـوصـف العجـز عـم الكون طُـراً — فمفتـقـر لمـفتـقـر يـنـادى
وبـى قـد قـامـت الأكـوان طُـراً — وأظـهـرت المظـاهـر من مراد
أفــى دارى وفــى ملكـى وفلكــى — تــوجــه للسّــوى وجـه أعتمـادى
وهــا خـلعــى عليك فـلا تـزلهـا — ومــن وجــه الرجـاء عــن العباد
ووصفــك فــالزمنـه وكــن ذليلاً — تــرى منــى المنــى طـوع القيـاد
وكــن عبـداً لنـا والعبـد يـرضى — بمــا تـقضـى المـوالـى من مراد

وكتاب مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح من كتب التصوف الهامة التى تخدم الإسلام والمسلمين فقد بين ابن عطاء منهجة ومبادئه فى علم التصوف مع امتزاج الفلسفة الإسلامية دون إساء لإرسلام فلهذا نقدم الكتاب بثوب جديد مع إضافة بعض التعليقات والهوامش فقد اعتمدت على عدة مخطوطات من دار الكتب المصرية والأزهر وجامعة القاهرة إلى جانب الطبعة القديمة التى صدرت عن مطبعة السعادة، ولم أتعرض للفلسفة بل قمت بإضافة من نقص من المصادر والمراجع للنص، فأسال الله أن ينال هذا العمل رضاء الله والمه لمين والباحثين والدارسين.

والله خير العون والمعين

القاهرة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، الحمد لله فاتح أقفال القلوب بذكره، وكاشف أستار العيوب ببره، ومطهر السرائر لايداع سره، ومظهر العجائب من عالم أمره، ورافع أعلام الزيادة للقائم بشكره، أحمده على أن جعلنى من أهل توحيده، وأشكره طالبا لفضله ومزيده، وأصلى على سيدنا محمد أشرف عبيده، وعلى آله وأصحابه الحائزين لطويل الفضل ومديده. وبعد، فأن ذكر الله تعالى مفتاح الفلاح، ومصباح الأرواح بفضل الله الكريم الفتاح، وهو العمدة فى الطريق ومعول أهل التحقيق، ولم أر من صنف فيه كتاباً كاملاً كافياً ولا مجموعاً شاملاً شافيا، دعانى ذلك مع إشارة أخ صالح محب للنصائح إلى أن شرعت فى كتاب جمعت فيه منه ما تيسر، وعرفت منه ما تنكر أرحت به الطالب من المتاعب، ومنحت به الراغب فى المواهب راجياً من الله تعالى فى ذلك الثواب، ودعاء طالب ظفر بمطلوبه من الطلاب.

يا سائرا نحو بلاد الحمى لا تنسنى عند محط الرحال

وعلى الله تعالى أعتمد وبه أعتضد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ورتبته على قسمين (القسم الأول) على مقدمة وفصول وأبواب وأصول المتقدمة فى ماهية الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق، وقيل ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان وسواء فى ذلك ذكر الله أوصفة من صفاته أو حكم من أحكامه أو فعل من أفعاله، أو استدلال على شيء من ذلك أو دعاء أو ذكر رسله أو أنبيائه أو أوليائه أو من انتسب أو تقرب إليه بوجه من الوجوه أو سبب من الأسباب أو فعل من الأفعال بنحو قراءة أو ذكر أو شعر أو غناء أو محاضرة أو حكاية فالمتكلم ذاكر والمتفقه ذاكر والمدرس ذاكر والمفتى ذاكر والواعظ ذاكر والمتفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وآياته فى أرضه وسمواته ذاكر والممتثل ما أمر الله به والمنتهى عن ما نهى عنه ذاكر، والذا كرقد يكون اللسان وقد يكون بالجنان وقد يكون بأعضاء الأنسان وقد يكون بالإعلان والاجهار والجامع لذلك كله ذاكر كامل، فذكر اللسان هو ذكر الحروف بلا حضور وهو الذكر الظاهر، وله فضل عظيم شهدت به الآيات والأخبار والآثار

فمنه المقيد بالزمان أو بالمكان ومنه المطلق فالمقيد كالذكر فى الصلاة وعقبها والحج وقبل النوم وبعد اليقظة وقبل الأكل وعند ركوب الدابة وطرفى النهار وغير ذلك، والمطلق مالا يتقيد بزمان ولا مكان ولا وقت ولا حال فمنه ما هو ثناء على الله كما فى كل واحدة من هذه الكلمات وهى سبحان الله والحمد لله ولا أله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ومنه ما هو ذكر فيه دعاء مثل «ربنا لا تؤاخذنا أن نسينا أو أخطآنا»[1] الآية أو مناجاة وكذلك اللهم صل على سيدنا محمد وهو أشد تأثيراً فى قلب المبتدىء من الذكر الذى لا يتضمن المناجاة لأن المناجى يشعر قلبه بقرب من يناجيه وهو مما يؤثر فى قلبه ويلبسه الخشية ومنه ماهو ذكر فيه رعاية أو طلب دنيوى أو أخروى فالرعاية مثل قولك الله معى الله ناظر إلى الله يرأنى فأنه فيه رعاية لمصلحة القلب فأنه ذكر يستعمل لتقوية الحضور مع الله تعالى وحفظ الأدب معه والتحرز من الغفلة والاعتصام من الشيطان الرجيم وحضور القلب مع العبادات

فصل

وما من ذكر إلا وله نتيجة تخصه فأى ذكر اشتغلت به أعطاك ما فى فوقه والذكر مع الاستعداد هو الداعى إلى الفتح ولكن بما يناسب الذكر قال الإمام الغزالى[2] الذكر حقيقة نمو إستيلاء المذكور على القلب وانمحاء الذكر وخفاؤه قال لكن له ثلاث قشور بعضها أقرب إلى اللب من البعض واللب وراء القشور الثلاث وأنما فضل القشور لكونها طريقاً إليه فالقشر الأعلى ذكر اللسان فقط، ولا يزال الذاكر يوالى الذكر بلسانه ويتكلف احضار القلب معه أذ القلب يحتاج إلى موافقته حتى يحضر مع الذكر ولو ترك وطبعه لا سترسل فى أدوية الأفكار إلى أن يشارك القلب اللسان ويحرق نور القلب الشهوات والشياطين ويستولى ذكره اللسان عند ذلك وتمتلىء الجوارح والجوانح بالأنوار ويتطهر القلب من الاغيار وينقطع الوسواس ولا يسكن بساحته الخناس ويصير محلا للواردات ومرآة صقلية للتجليات والمعارف الآلهيات وإذا سرى الذكر إلى القلب وأنتشر فى الجوارح فذكر الله كل عضو بحسب حاله قال الجريرى[3] كان من

أصحابنا رجل يكثر أن يقول الله الله فوقع يوما على رأسه جذع فشج رأسه وسقط الدم فأكتتب على الأرض الله الله.

فصل

الذكر نار لا تبقى ولا تنر فأذا دخل بيتا يقول أنا لا غيرى وهو من معانى لا اله إلا الله فأن وجد فيه حطبا أحرقه فصار ناراً وإن كان فيه ظلمة كان نوراً فنوره وإن كان فيه نور صار نوراً على نور والذكر مذهب من الجسد الأجزاء الزائدة الحاصلة من الإسراف فى الأكل ومن تناول اللقم الحرام، وأما الحاصلة من الحلال فلابد له عليها فزذا احترقت الأجزاء الخبيثة وبقيت الأجزاء الطيبة سمعت من كل جزء ذكراً كأنه ينفخ فى البوق وأولا يقع الذكر فى دائرة الرأس فتجد فيه صوت البوق والكؤس والذكر سلطان إذا نزل موضعا نزل ببوقاته وكؤسا، لأن الذكر ضد ما سوى الحق فأذا وقع فى موضع اشتغل بنفى الضد، كما تجده من اجتماع الماء والنار وبعد هذه الأصوات تسمع أصواتاً مختلفة مثل خرير الماء ودوى الريح وصوت النار إذا تأججت وصوت الأرحية وخبط الخيل وصوت أوراق الأشجار أذا هبت عليها الريح وذلك أن الآدمى مركب من كل جوهر شريف ووضيع من التراب والماء والنار والهواء والأرض والسماء وما بينهما فهذه الأصوات إذ كان كل أصل وعنصر من هذه الجواهر ومن سمع منه شىء من هذه الأصوات فقد سبح الله وقدسه بكل لسان وذلك نتيجة ذكر اللسان بقوة الإستغراق وربما صار العبد إلى حالة إذا سكت عن الذكر تحرك القلب فى الصدر حركة الولد فى بطن أمه يطلب الذكر قالوا فأن القلب مثل عيسى ابن مريم عليه السلام والذكر لبنه وأذا كبر وقوى صعد منه حنين إلى الحق وصوت وصعقات ضرورية شوقاً إلى الذكر والمذكور وذكر القلب شبه رنة النحل لا صوت رفيع مشوش ولا خفى شديداً الخفاء وأذا استمكن المذكور من القلب وامحى الذكر وخفى فلا يلتفت الذاكر إلى الذكر ولا إلى القلب فأن ظهر له فى أثناء ذلك التفات إلى الذكر أو إلى القلب فذلك حجاب شاغل وذلك هو الفناء وهو أن يفنى الأنسان عن نفسه فلا يحس بشىء من ظواهر جوارحه ولا الأشياء

الخارجة عنه ولا العوارض الباطنة فيه بل يغيب عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك ذاهباً إلى ربه أولاً ذاهباً فيه أخرى فأن خطر له فى أثناء ذلك أنه فنى عن نفسه بالكلية فذلك شوب وكدورة والكمال أن يفنى عن نفسه وعن الفناء والفناء غاية الفناء والفناء أول الطريق وهو الذهاب إلى الله تعالى وأنما الهدى بعد وأعنى بالهدى هدى الله كما قال عليه السلام أننى ذاهب إلى ربى سيهدبن وهذا الإستغراق قلما يثبت ويدوم فأن دام فصار عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به إلى العالم الأعلى وطالع الوجود الحقيقى الأصفى وانطبع له نقش الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت وأول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة وأرواح الأنبياء والأولياء فى صورة جميلة تفاض عليه بواسطتها بعض الحقائق وذلك فى البداية إلى أن تعلو درجته عن المثال ويكافح بتصريح الحق فى كل شىء فهذه ثمرة لباب الذكر وأنما مبداها ذكر اللسان ثم ذكر القلب تكلفا ثم ذكره طبعا ثم ذكره طبعا ثم إستيلاء المذكور وأنمحاء الذكر هذا سرقو له صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله، بل سرقو له صلى الله عليه وسلم يفضل الذكر الخفى على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين ضعفا وعلامة وقوع الذكر إلى السرغيبة الذاكر عن الذكر والمذكور فذكر السر الهيمان والغرق فيه ومن علاماته أنك أذا اتركت الذكر لم يتركك وذلك طيران الذكر فيك لينبهك عن الغيبة إلى الحضور ومن علاماته شد الذكر رأسك وأعضاءك جميعها فتكون كالمشدود بالسلاسل والقيود ومن علاماته أنه لا تخمد نيرانه ولا تذهب أنواره بل ترى أبدا أنوارا صاعدة، وأخرى نازلة والنيران حواليك صافية تتأجج وتتقد واذا وقع الذكر إلى السر يكون الذكر عند سكوت الذاكر كأنه غرز الأبر فى لسانه أو أن وجهه كله لسان يذكر بنور فائض عنه دقيقة، أعلم أن كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الحفظة فأن شعورهم يقارن شعورك وفيه سرحتى إذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك فى المذكور حتى بالكلية يغيب ذكرك عن شعور الحفظة (تنبيه) ذكر الحروف بلا حضور ذكر اللسان وذكر الحضور فى القلب ذكر القلب وذكر الغيبة عن الحضور فى المذكور ذكر السر وهو الذكر الخفى.

فصل

ورزق الظاهر بحركات الأجسام ورزق الباطن بحركات القلوب ورزق الأسرار بالسكون ورزق العقول بالفناء عن السكون حتى يكون العبد ساكناً لله مع الله، وليس فى الأغذية قوت للأرواح وأنما هى غذاء الأشباح وقوت للأرواح والقلوب ذكر الله علام الغيوب قال الله تعالى «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب»[٤] فاذا ذكرت الله تعالى ذكر معك كل من يسمعك لأنك تذكر بلسانك ثم بقلبك ثم بنفسك ثم بروحك ثم بعقلك ثم بسرك ذلك فى الذكر الواحد، فأذا ذكرت الله تعالى بلسانك ذكر مع ذكر لسانك الجمادات كلها، واذا ذكرت بقلبك ذكر مع قلبك الكون ومن فيه من عوالم الله، وأذا ذكرت بنفسك ذكر معك السموات ومن فيها، وأذا ذكرت بروحك ذكر معك الكرسى ومن فيه من عوالمه واذا ذكرت بعقلك ذكر معك حملة العرش ومن طاف به من الملائكة الكروبيين والأرواح المقربين، وإذا ذكرت بسرك ذكر معك العرش بجميع عوالمه إلى أن يتصل الذكر بالذات (تتمه) النفس هو الجوهر البخارى اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الأرادية وسماها الحكيم الروح الحيوانية وهى الواسطة بين القلب الذى هو النفس الناطقة وبين البدن قيل وهى المشار إليها فى القرآن العزيز بالشجرة الزيتونة الموصوفة بكونها مباركة لا شرقية ولا غربية لا زدياد رتبة الإنسان وتزكيته بها ولكونها ليست من شرق عالم الأرواح المجردة ولا من غرب الأجساد الكثيفة وهى أمارة ولوامة ومطمئنة فالنفس الإمارة بالسوء هى التى تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب إلى الجهة السفلية وهى مأوى الشر ومنبع الأخلاق الذميمة والأفعال السيئة وهى نفس العامة وهى مظلمة والذكر لها كالسراج الموقد فى البيت المظلم والنفس اللوامة وهى التى تنورت بنور القلب تنوراما قدر ما تنبهت عن سنة الغفلة فتيقظت وبدأت بأصلاح حالها مترددة بين جهتى الربوبية والخلقية، وكلما صدر منها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية وسجيتها تداركها نور التنبيه الألهى فأخذت تلوم نفسها وتتوب عنها مستغفرة راجعة إلى باب الغفار الرحيم فلهذا نوره الله بذكرها بالأقسام بها فى قوله تعالى «لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة» وكأنها تبصر كأنها فى بيت ملآن من كل مذموم

كنجاسة وكلب وخنزير وفهد ونمر وفيل فتجتهد فى أخراجها من بعد أن تلطخت بأنواع النجاسات وتجرحت من أنواع السباع فتلازم الذكر والأنابة حتى يظهر سلطات الذكر عليهم فيخرجهم ثم يقرب من الظلمانية، فلا تزال تجتهد فى جمع أثاث البيت حتى يتزين البيت بأنواع المحمودات فيتجلى بها ويصلح البيت لنزول السلطان فيه فأذا أنزل فيه السلطان وتجلى الحق عادت مطمئنة وهى التى تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة وتوجهت إلى جهة القلب بالكلية متابعة له فى الترقى إلى جنات عالم القدس منزهة عن جانب الرجس مواظبة على الطاعات ساكنة إلى حضرة رفيع الدرجات حتى خاطبها ربها بقوله «يا أيتها النفس المطمئنهة أرجعى إلى ربك راضية مرضية فأدخلى فى عبادى وادخلى جنتى» (الأصل الأول) فى دليله من الكتاب قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً»[٥] وسبحوه بكرة وأصيلاً وقال تعالى «الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم»[٦] الآية وقال تعالى «والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيماً»[٧] وقال تعالى «فاذكرونى أذكركم»[٨] وقال تعالى «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب»[٩] وقال تعالى «واذكر ربك كثيراً وسبح بحمد ربك بالعشى والأبكار»[١٠] وقال تعالى «واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا»[١١] (الأصل الثانى) فى دليله من السنة.

فصل

فيما ورد فى فضل الذكر والاجتماع عليه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال خرج معاوية على حلقة فى المسجد فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله تعالى قال الله ما أجلسكم إلا ذلك قالوا الله ما أجلسنا غيره قال أما أنى له استحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أقل حديثا منى وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدنا باللإسلام ومن علينا قال الله ما أجلسكم إلا ذلك

قالوا الله ما أجلسنا إلا ذلك قال أما أنى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة أخرجه مسلم[١٢] والترمذى[١٣] وأخرج النسائى[١٤] المسند منه فقط وزادرزين. قال ثم حدثنا فقال ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويدار سونه بينهم ويذكرون الله إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده. عن أبى مسلم الأغر قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد أنهما شهداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده أخرجه مسلم والترمذى والسكينة من السكون والطمأنينة. قال القاضى عياض[١٥] فى قوله صلى الله عليه وسلم تلك السكينة نزلت لقراءة القرآن هى الرحمة وقيل الطمأنينة وقيل الوقار وما يسكن به الإنسان مخففة الكاف هذا هو المعروف. وحكى عن بعض اللغويين فيها التشديد وذكر عن الفراء[١٦] والكسائى[١٧] وقد يحتمل أن التى تنزلت لقراءة القرآن السكينة التى ذكر الله بقوله وسكينة من ربكم وقد قيل أنها سر كالريح وقيل خلق له وجه كوجه الإنسان وقيل روح من الله يكلمهم ويهديهم إذا اختلفوا عن شىء وقيل فيه غير هذا وما ذكرنا ما يحتمل أن ينزل مثل هذا على من قرأ القرآن أو يجمع للذكر لأنها من جملة الروح الملائكة والله أعلم.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى طريق مكة على جبل يقال له جمدان فقال سيروا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا هذه رواية مسلم وفى رواية الترمذى قالوا يا رسول الله وما المفردون قال المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا. المفردون بفتح الفاء وكسر الراء المشددة وقيل باسكان الفاء وكسر الراء يقال فرد الرجل فى رأيه وفرد بالتخفيف والتشديد وأفرد واستفرد كله بمعنى أى استقل وتخلى بتدبيره والمراد به الذين تفردوا بذكر الله وقيل هم الذين هلك أترابهم من الناس وذهب القرن الذين كانوا فيه وبقوا بعدهم فهم يذكرون الله والمستهتر بالشىء المولع به المواظب

عليه عن حب ورغبة فيه. وقال القاضى عياض فى المشارق قال ابن الأعرابى[١٨] يقال فرد الرجل بتشديد الراء اذا اتفقه واعتزل الناس وخلا بنفسه وحده مراعياً للأمر والنهى قال الأزهرى[١٩] هم الذين تخلوا بذكر الله لا يخلطون به غيره وقيل معنى اهتروا أصابهم خبال وقيل المفردون الموحدون الذين لا يذكرون إلا الله أخلصوا الله عبادتهم ويقال معناه مثل قولهم فنى فلان فى طاعة الله أى لم يزل مداومالها حتى فنى بالهرم وذهاب القوة وقيل معنى اهتروا أو لعوا. عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فأذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادى قالوا يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال فيقول هل رأونى قال فيقولون لا والله ما رأوك قال فيقول كيف لو رأونى قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً قال فيقول فما يسألون قال يقولون يسألونك الجنة قال فيقول وهل رأوها قال فيقولون لا والله ما ورأوها يارب قال فكيف لو رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة قال فم يتعوذون قال يتعوذون من النار قال فيقول وهل رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة قال فيقول أشهدكم أنى قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم أنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى جليسهم هذه رواية البخارى وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر»[٢٠] أخرجه الترمذى وعن الإمام أحمد روى عن ابن مسعود قال أن الشيطان طاف بأهل مجلس ذكر فلم يستطيع أن يفرق بينهم فأتى حلقة يدكرون الدنيا فأغوى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا.

فصل

فى فضل الذاكر على غيره عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم «قال ما قال عبد لا اله إلا الله مخلصاً من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى إلى العرش ما اجتنبت الكبائر»[٢١] أخرجه الترمذى قال مالك بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وذاكر الله فى الغافلين كغصن أخضر فى شجر يابس، وفى رواية مثل الشجرة الخضراء فى وسط الشجر وذاكر الله فى الغافلين مثل مصباح فى بيت مظلم وذاكر الله فى الغافلين يريه الله مقعده فى الجنة وهو حى وذاكر الله فى الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح وأعجم والفصيح بنو آدم والأعجم الهائم أخرجه كذا وعن معاذ بن جبل ما عمل العبد عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله، أخرجه فى الموطأ عن أبى سعيد الخدرى[٢٢] رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيراً قيل يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله قال لو ضرب بسيفه حتى ينكسر ويتخضب دما فأن ذاكر الله أفضل منه درجة أخرجه الترمذى، وفى رواية كرهارزين قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العبادة أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة قال ذكر الله تعالى عن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر فيه الله كمثل الحى والميت كذا عند مسلم وعند البخارى مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه فأن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وأن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم وأن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا وأن تقرب ذراعا تقربت إليه باعا وأن أتانى يمشى أتيته هرولة أخرجه البخارى ومسلم والترمذى. عن أبى أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من آوى إلى فراشه طاهراً يذكر الله حتى يدركه النعاس لم يتقلب من ليل يسأل الله من خيرى الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله أياه أخرجه الترمذى. وعن عمر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث بعثا قبل نجد فغنموا غنائم كثيرة وأسرعوا الرجعة فقال رجل ممن لم يخرج ما رأينا بعثا أسرع رجعة ولا أفضل غنيمة من هذا البعث فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة

قوم شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله تعالى حتى طلعت الشمس فأولئك أسرع رجعه وأفضل غنيمة أخرجه الترمذى.

فصل

عن عبدالله بن بشر أن رجلا قال يا رسول الله أن أبواب الخير كثيرة ولا أستطيع القيام بكلها فأخبرنى بشىء أتشبث به ولا تكثر على فأنسى وفى رواية أن شرائع الإسلام قد كثرت وأنا قد كبرت فأخبرنى بشىء أتشبث به ولا تكثر على فأنسى قال لا يزال لسانك رطباً بذكر الله أخرجه الترمذى، عن عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى.

باب الجهر بالذكر

عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال[٢٣] من دخل السوق فقال لا اله ألا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت أبدا، بيده الخير وهو على كل شىء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة» وفى رواية عوض الثالثة وبنى له بيتا فى الجنة أخرجه الترمذى، وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال من دخل السوق فنادى بأعلى صوته» وذكر الحديث إلى قوله قدير ثم قال كتب له ألف حسنة وفى البخارى عن أبى سعيد مولى ابن عباس أن ابن عباس أخبره أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك. وقال عليه السلام من ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملأ خير منهم ويروى أن الصديق رضى الله عنه كان يخافت فى صلاته بالليل ولا يرفع صوته بالقراءة، وكان عمر يجهر فى صلاته فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على فعله فقال من أناجيه يسمع كلامى وسأل عمر فقال أوقظ الوسنان وأطرد

الشيطان وأرضى الرحمن، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلاً وأمر عمر أن يخفضه قليلاً ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر برفع الصوت رهو الجهر ولم يأمر عمر بالأسرار بل يخفض الصوت وذلك ليس بالأسرار وأذا كان هذا فى القرآن وهو أفضل الذكر فغيره كذلك بل أولى وينبغى للذاكر أذا كان وحده إن كان من الخاصة أن يخفض صوته بالذكر وإن كان من العامة أن يجهر به وإن كان الذاكرون جماعة فالأولى فى حقهم رفع الصوت بالذكر مع توافق الأصوات بطريقة واحدة موزونة. قال بعضهم مثل ذكر الواحد وحده وذكر الجماعة كمثل مؤذن واحد ومؤذنين جماعة فكما أن أصوات المؤذنين جماعة يقطع جرم الهواء الكثير مما يقطعه صوت واحد كذلك ذكر جماعة على قلب واحداً كثر تاثيراً وأشد قوة فى رفع الحجب عن القلب من ذكر واحد وحده وأيضاً يحصل لكل واحد ثواب ذكر نفسه وثواب سماع الذكر من غيره وشبه الله القلوب القاسية بالحجارة فى قوله تعالى «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة»(٢٤) أو أشد قسوة والحجارة لا تنكسر إلا بقوة فكذلك قساوة القلب لا تزول الا بالذكر القوى.

فصل

فى التحذير من ترك الذكر قال الله تعالى «ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شبطانا فهوله قرين وأنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون» عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة»(٢٥) هذه رواية أبى داود وفى رواية الترمذى قال ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم الترة فى اللغة الباطل من الشىء فى مجمل اللغة أى حسرة وندامة، وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا على أنتن من جيفة حمار وكان عليهم حسرة»(٢٦) أخرجه أبو داود وأصل الترة

النقص ومعناها هنا التبعة يقال وترت الرجل ترة على وزن وعدته عدة. وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس يتحسر أهل الجنة الأعلى ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها»[٢٧] خرجه ابن السنى ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشانة إلا الذاكر الله تعالى وقال سهل ما أعلم معصية أقبح من ترك ذكر هذا الرب. قال النووى[٢٨] لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر.

فصل

فيه من آثار السلف رضى الله عنهم قال أنس[٢٩] بن مالك ذكر الله علامة على الإيمان وبراءة من النفاق وحصن من الشيطان وحرز من النار. وقال مالك بن دينار[٣٠] ومن لم يأنس بحديث الله تعالى عن حديث الخلق فقد قل علمه وعمى قلبه وضاع عمره. وقال الحسن تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء فى الصلاة والذكر وقراءة القرآن فأن وجدتم ذلك والا فأعملوا أن الباب مغلق لأن كل قلب لا يعرف الله لا يأنس بذكر الله ولا يسكن إليه. قال الله تعالى «واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون»[٣١] وقال بعض العارفين رزق الظاهر بحركات الأجسام ورزق الباطن بحركات القلوب ورزق الأسرار بالسكون ورزق العقول بالفناء عن السكون حتى يكون العبد ساكناً بالله مع الله وقيل من قام لله بحقيقة الذكر والحمد والشكر سخر له إلا كوان والعالم جميعه وقال مطرف بن أبى بكر المحب لا يسأم من حديث حبيبه وقيل من لم يجد وحشة الغفلة لم يجد طعم أنس الذكر. وقال عطاء الصاعقة لا تنزل على ذاكر الله تعالى قال حامد الأسود كنت مع إبراهيم الخواص فى سفر فجئنا إلى موضع فيه حيات كثيرة فوضع ركوته وجلس وجلست فلما برد الليل وبرد الهواء خرجت الحيات فصحت بالشيخ فقال أذكر الله فذكرت فرجعت الحيات ثم عادت فصحت به فقال مثل ذلك فلم أزل إلى الصباح فى مثل ذلك الحالة، فلما أصبحنا قام ومشى ومشيت معه فسقطت من وطائه حية عظيمة قد تطوقت قلت ما أحسست بها فقال إلا منذ زمان ما رأيت ليلة أطيب من البارحة وقيل ذكر الله بالقلب سيف المزيدين به يقاتلون أعداءهم به يدفعون الآفات التى تتصدهم

وأن البلاء إذا أظل العبد فأذا فزع بقلبه إلى الله تحول عنه فى الحال كل ما يكرهه وقيل أذا تمكن الذكر من القلب فأن دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان فتجتمع عليه الشياطين فيقولون ما لهذا فيقولون قدمسه الأنس وقيل إن الملك يستأمر الذاكر فى قبض روحه وفى الإنجيل أذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وأرض بنصرتى لك فأن نصرتى لك خير من نصرتك لنفسك وقال ذو النون المصرى(٣٢) من ذكر الله ذكراً على الحقيقة تيسر فى جنب ذكره كل شىء وحفظ الله عليه كل شىء وكان له عوضا عن كل شىء (الأصل الثالث) الإخلاص أعلم أن كل شىء يتصور أن يشوبه شىء فأذا صفى عن شوبه سمى خالصاً ويسمى الفعل المصفى أخلاصا وكل من أتى بفعل أختيارى خالصا فلابد له فى ذلك الفعل من عرض فمتى كان فى الفعل واحدا سمى ذلك الفعل إخلاصاً إلا أن العادة جرت بتخصيص الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب كما أنه الألحاد هوالميل وخصصه العرف بالميل عن الحق أذا علمت ذلك فنقول الباعث على الفعل أما روحانى فقط وهو الإخلاص أو شيطانى فقط وهو الرياء أو مركب منهم والمركب ما أن يتساوافيه الطرفان أو يكون الروحانى أقوى أو النفسانى أقوى القسم الأول أن يكون الباعث روحانيا فقط ولا يتصور إلا من محب لله تعالى مستغرق الهم به بحيث لم يبق لحب الدنيا فى قلبه مقر فحينئذ تكشف جميع أفعاله وحركاته، هذه الصفة فلا يقضى حاجته ولا ينام ولا يحب الاكل والشرب مثلا إلا لكونه ازالة ضرورة أو تقوية على الطاعة أو تقوية على الطاعة فمثل هذا لوأ كل او شرب أو قضى حاجته فهذا خالص العمل فى جميع حركاته وسكناته، القسم الثانى أن يكون الباعث نفسانياً ولا يتصور إلا من محب للنفس والدنيا مستغرق الهم بها بحيث لم يبق لحب الله تعالى فى نفسه مقرفا كتسبت جميع أفعاله هذه الصفة فلا يسلم له شىء من عبادته، وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالذى يستوى فيه الباعثان قال الإمام فخر الدين الرازى الاظهر أنهما يتعارضان ويتساقطان فيصير العمل لا له ولا عليه والذى يكون أحد الطرفين فيه أغلب فيحبط منه ما يساوى الطرف الآخر وتبقى الزيادة موجبة لأثرها اللائق وهو المراد بقوله «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره»(٣٣) وتمام التحقيق فيه أن الأعمال لها تأثيرات فى القلب فأن خلا

المؤثر عن المعارض خلا الأثر عن الضعف وإن كان المؤثر مقروناً بالمعارض فإن تساويا تساقطا وأن كان أحدهما أغلب فلابد أن يحصل فى الزائد بمقدار الناقص فيحصل التساوى بينهما أو يحصل التساقط ويبقى القدر الزائد خاليا عن المعارض فيؤثر لا محالة أثر أما وكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والدواء عن أثر فى الجسد فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر عن أثر فى التقرب من باب الله تعالى والتبعيد منه وإذا جاء بما يقربه شبرا مع من يبعده شبرا فقد عاد إلى ما كان عليه لاله ولا عليه وأن كان أحد الفعلين مما يقربه شبرين، والفعل الثانى مما يبعده شبرا واحدا حصل لا محالة شبر، واحتج من زعم أن المشوب لأبواب عليه بوجهين الأول ماروى أبو هريرة أنه عليه السلام قال لمن أشرك فى عمله خذ أجرك ممن عملت له وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أن الله تعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركت فيه نصيبى لشريكى وأجيب بأن لفظ الشريك محمول على تساوى الراعيين وقد بينا أن عند التساوى ينحبط كل واحد منهما بالآخر واعلم أن خاطر السكان قد يكون فى صور العبادات وأنواع الخيرات وحب الكرامات وهو لا يزال مع الإنسان حتى يخلص فأذا اخلص فارقه ولا يطمع وهو بالغ فى الشكر والخير يأتى الإنسان من كل طريق إلا من باب الإخلاص فكن خالصا ولو كنت فى الإخلاص ما ترى نفسك فى مقام الإخلاص.

فصل

فى آداب الذكر الذكر له آداب سابقة لاحقة وآداب مقارنة ومنها ظاهرة ومنها باطنة، أما الآداب السابقة فنقول على السالك بعد التوبة وتهذيب النفس بالرياضات وتلطيف الأسرار وتهيئتها لتواسم الحضرات بأعتزال الخلائق وبتخفيف العلائق وقطع كل عائق وتحصيل علم الأديان والابد أن المفروض على الأعيان وتحرير المقاصد فأنها أرواح مقامات القاصد بأن تكون شرعية لا عادية وعليه أختيار ذكر لحاله مناسب فيدأب على ذكره ويواظب ومن الآداب الملبس الحلال الطاهر المطيب بالرائحة الطيبة

وطهارة الباطن بأكل الحلال فأن الذكر وإن كان يذهب الأجزاء الناشئة من الحرام إلا أنه أذا كان الباطن خاليا من الحرام أو الشبهة تكون فائدة الذكر فى تنوير القلب أكثر وأبلغ وإذا كان فى الباطن حرام غسله منه ونظفه فكانت فائدته حينئذ فى التنوير أضعف ألا ترى أن الماء إذا غسلت به المتنجس أزال النجاسة ولم تكن فيه مبالغة فى التنظيف ولذلك يستحب غسله ثانية وثالثة وإذا كان المحل المغسول خاليا عن النجاسة ازداد بهجة ونضارة من أول غسله، وإذا نزل الذكر القلب فإن كان فيه ظلمة نوره وأن كان فيه نور زاده وكثره وآدابه المقارنة الإخلاص وتطييب المجلس بالرائحة الطيبة لأجل الملائكة والجن والجلوس متربعا مستقبل القبلة إن كان وحده وإن كان فى جماعة فحيث إنتهى به المجلس ووضع راحيته على فخديه وغمض عينيه مع بقاء توجهه نصب عينيه قالوا وإن كان تحت نظر شيخ نخيل شيخه بين عينيه فأنه رفيقه فى الطريق وهاديه وأن يستمد بقلبه أول شروعه فى الذكر من همة شيخه معتقداً أن استمداده منه هو استمداده من النبى صلى الله عليه وسلم لأنه نائبه وأن يذكر بقوة تامة مع التعظيم وتصعيد لا اله إلا الله من فوق السرة ناويا بلا إله نفى ماسوى الله عن القلب وناويا بالا الله ايصالها إلى القلب اللحمى الصنوبرى الشكل ليتمكن إلا الله فى القلب ويسرى بجميع الأعضاء واحضار معنى الذكر بقلبه مع كل مرة. قال بعضهم لا يصح أن يكون تردد الذكر مرة بعد مرة إلا بمعنى غير المعنى الأول قال وأدنى درجات الذكر أنه كلما قال لا اله إلا الله لا يكون فى قلبه شىء غير الله إلا ونفاه من قلبه ومتى التفت إليه فى حال ذكره فقد أنزله منزلة الاله من نفسه قال تعالى «أرأيت من أتخذ الهه هواه»[٣٤] قال لا تجعل مع الله إلها آخر «وقال ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن تعبدوا الشيطان»[٣٥] وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم[٣٦] «تعس عبدالدينار تعس عبدالدرهم وإن كان الدينار والدرهم لا يعبد أن بركوع ولا سجود وأنما ذلك بالتفات القلب إليهما فلا تصح منه لا اله إلا الله إلا بنفى ما فى نفسه وقلبه مما سوى الله تعالى ومن امتلأ قلبه بصور المحسوسات لو قال ألف مرة قل ما يشعر قلبه بمعناها وأذا فرغ القلب عن غير الله لو قال مرة واحدة الله يجد من اللذة مالا يستطيع اللسان وصفه قال الشيخ عبدالرحيم القنائى قلت مرة لا

اله إلا الله ثم لم تعد إلى وكان فى تيه بنى اسرائيل عبدأسود كلما قال لا اله إلا الله أبيض من رأسه إلى قدمه وتحقيق العبد بلا اله إلا الله حالة من أحوال القلب لا يعبر عنها اللسان ولا يقوم بها جنان ولا اله إلا الله وإن كانت خلاصة الخلاصة من التوجيهات فهى مفتاح حقائق القلـوب وترقى السالكين إلى عوالم الغيـوب ومن الناس من أختار موالاة الذكر بحيث تكون الكلمتان كالكلمة الواحدة لا يقع بينهما تخلل خارجى ولا ذهنى كى لا يأخذ الشيطـان نصيبه فأنه فى مثل هذا الموضع بالمرصاد لعلمه بضعف السالك عن سلوك هذه الأدوية لبعدها من عادتـه لا سيما إن كان قريب العهد بالسلوك قالوا وهذا أسرع فتحا للقلب وتقريباً من الرب. وقال بعضهم تطويل المدة من لا اله إلا الله مستحســن مندوب إليه لأن الذاكر فى زمن المد يستحضر فى ذهنه جميع الأضداد والأنداد ثم ينفيها ويعقب ذلك بقوله لا إله إلا الله فهو أقـرب إلى الإخلاص لأنه يكـون الاقـرار بالإلهية وهـو وأن نفى بلا الـه عينه فقد أثبت بالا كونة بل الأنور يوضع على القلب فينوره، ومنهم من قال ترك المد أولى لأنه ربما مات فى زمان التلفظ بلا اله قبل أن يصل إلى إلا الله ومنهم من قال أن قصد الأنتقال من الكفر إلى الإيمان فترك المداولى ليسـرع الأنتقال إلـى الإيمان وإن كان مؤقتاً فالمد أولى لما تقدم وآدابه اللاحقة أذا سكت بأختياره يحضر مع قلبه متلقيا لوارد الذكر وهى الغيبة الحاصلة عقب الذكر وتسمى النومـة أيضاً فكما أن الله تعالى أجرى العادة بأرسال الرياح نشـراً بين يدى رحمته المطريـة أجرى العادة بأرسـال رياح الذكر نشرا بين يدى رحمته العلية فلعله يرد عليه ما يعمر قلبه فى لحظة مالا تعمره المجاهدة والرياضـة فى نحو ثلاثين سنـة وهذه الآداب تلزم الذاكر. الواعـى المختار أما المسلوب الأختيـار فهو مـع ما يرد عليه من الأذكار وما يرد عليه من جملة الأسرار فقد تجرى على لسانـه الله الله الله أو هو هو هو هو أو لا لا لا لا لا أو ا ا ا ا ا ا أو اه اه اه أو صوت بغير حرف أو تخبط فأدبه التسليم للموارد وبعد انقضـاء الوارد يكون ساكنـاً ساكتـاً وهذه الاداب لمن يحتاج إلى ذكر اللسان أما الذاكر بالقلب فلا يحتاج إلـى هذه الآداب.

باب فوائد الذكر على الاجمال

من رام فوائده فليتبع النصوص الواردة بفوائده وليست بالقليل وليس إلى حصرها من سبيل، وذكر الأئمة له فوائد جمة فلنذكر الحاضر على الخاطر فنقول الذكر يطرد الشيطان ويمنعه ويكسره ويرضى الرحمن ويسخط الشيطان ويزيل الهم عن القلب والغم ويجلب الفرح والسرور، ويذهب الترح والشرور ويقوى القلب والبدن ويصلح السر والعلن ويبهج القلب والوجه وينوره ويجلب الرزق وييسره ويكسو الذاكر مهابة ويلهم به فى كل أمر صوابه وداومه للمحبة سبب من الأسباب وهو لها من أعظم الأبواب ويورث المراقبة الموصلة لمقام لإحسان الذى فيه يعبد الله العبد كأنه بالعيان ويورث الإنابة فمن أكثر الرجوع بذكره أورثه الرجوع إليه فى سائر أمره ويورث القرب من الرب ويفتح باب المعرفة فى القلب ويورث العبد إجلالاً وهيبة لربه والغافل حجاب الهيبة رقيق على قلبه ويورث ذكر الله للعبد وهو أعز شرف وأعلى مجدو به يحيا قلب البشر كما يحيا الزرع بوابل المطر وهو قوت الأرواح كما أن الغذاء قوت الأشباح وجلاء القلب من صداه الذى هو الغفلة وأتباع هوه وهو للفكر كالسراح الهادى فى الظلمة إلى المنهاج ويحيط الذنوب والخطيئات أن الحسنات يذهبن السيئات ويزيل الاستيحاش الحاصل بين الرب وبين العبد الغافل وما يذكره العبد من نحو تسبيح وتكبير وتهليل وتمجيد يذكرن بصاحبهن حول العرش المجيد والعبادات كلها فى يوم الحشر نزول عن العبد إلا ذكر الله والتوحيد والحمد، ومن تعرف إلى الله فى الرخاء بذكره تقرب إليه فى الشدة ببره وفى الأثران العبد المطيع الذاكر لله تعالى إذا أصابته شدة أو سأل الله حاجته قالت الملائكة يارب صوت معروف من عبد معروف والغافل المعرض عن الله إذا دعاه أو سأله قالت الملائكة يارب صوت منكر من عبد منكر ولا عمل من الأعمال أنجى منه من عذاب الله ذى الجلال وهو للعبد سبب لنزول السكينة عليه وحفوف الملائكة ونزولها لديه وغشيان الرحمة وما أجل ذلك من نعمة وهو للسان شاغل عن الغيبة والكذب وكل باطل والذاكر لا يشقى به جليسه ويسعد به أنيسه ومجلسه لا يكون عليه حسرة يوم القيامة ولا يكون عليه ترة ولا ندامة والذكر مع البكاء والعويل سبب لنيل ظل العرش الظليل يوم الجزاء الأكبر والوقوف الطويل، ومن كان ذكر الله له عند المسئلة شاغل أعطى أفضل

ما أعطى سائل ويتيسر على العبد فى عموم الأوقات وأكثر الحالات وحركة الذكر على اللسان أيسر حركة على الإنسان وهو غراس الجنان والجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر كما جاء فى الأخاديث لحسان وهو سبب للعتق من النيران والأمان من النسيان فى الدنيا ودار الهوان وشاهده فأذكرونى أذكركم كما جاء فى القرآن نسيان الله للعباد ينسيهم أنفسهم وذلك غاية الفساد وهو نور للعبد فى دنياه وقبره ونشره وحشره وهو رأس الأصول وباب الوصول ومنشور الولاية الذى به على النفس والهوى يصول. وإذا رسخ فى القلب ووقع وصار اللسان له كالتبع استغنى الذاكر وارتقى وارتفع والغافل وإن كان ذامال فهو فقير أو ذا سلطان فهو حقير ويجمع على الذاكر قلبه المتفرق وشمل إرادته وعزمه المتمزق ويفرق حزنه ودينه وجند الشيطان وحزبه ويقرب من قلبه الأخرة ويبعد عن قلبه الدنيا وأن كانت حاضرة وينبه القلب الغافل بترك اللهو والباطل ويستدرك ما فات ويستعد لما هو آن وهو شجرة ثمرتها المعارف ورأس مال كل عارف والله مع الذاكرين بالقرب والولاية والمحبة والتوفيق والحماية يعدل عتق الرقاب والجهاد ومشتقاته الصعاب والقتل فى سبيل الله والعطب وانفاق الورق والذهب وهو من الشكر رأسه وأصله وأساسه ومن له يزل لسانه رطبا بذكره واتقى الله فى نهيه وأمره أوجب له دخول جنة الأحباب والأقتراب من رب الأرباب «أن أكرمكم عند الله اتقاكم»(٣٧) يدخل الجنة وهو يضحك ويبتسم ويتقلب فيها ويتنعم ويذهب من القلب القساوة ويورثه اللين والطراوة والغفلة للقلب داء ومرض والذكر شفاء له من كل داء وعرض كما قيل.

إذا مرضنا تداوينا بذكركموا ونترك الذكر احيانا فننتكتس

وهو أصل موالاه الله واسها والغفلة أصل معاداته ورأسها وأذا استولت الغفلة على العبد ردته إلى معاداته الله اقبح رد وهو رافع للنقم ودافع وجالب للنعم وكل نافع وموجب لصلاة الله عليه والملائكة الكرام فيخرج من الظلمات إلى النور ويدخل دار السلام ومجالس الذكر رياض الجنات والرتع فيها يرضى الرحمن والله تعالى يباهى بالذاكرين ملائكة السماء فمنزلته من العبادات أرفع وأسمى وأفضل العمال أكثرهم لله ذكراً فى سائر الأحوال وهو ينوب عن سائر الأعمال سواء كانت متعلقة بمال أو بغير مال

ويقوى الجوارح ويسهل العمل الصالح وييسر الأمور الصعاب ويفتح مغلق الأبواب ويخفف المشقة ويقصر الشقة وهو أمن للخائف ونجاة من المتاعب المتالف والذاكر من العمال فى ميدان السباق إلى حيازة قصد السبق سباق أسوف ترى إذا انجلى الغبار أفرسا ركبت أم حمار وهو سبب لتصديق الرب لعبده لأنه مخبر عن جلاله وجماله وحمده ودور الجنة بالذكر تبنى فالغافل لا يبنى له فى الجنة مغنى والأذكار سد بين العبد وبين النار فإن كان الذكر مستمرا دائما كان السد جيداً محكماً وإلا كان واهيا منخر ما الذكر نار لا تبقى ولا تذر فاذا دخل بيتا لا يترك فيه عيناً ولا أثر ويذهب الأجزاء الثابتة من الطعام الزائدة على الشبع أو الحرام ويذهب الظلمات وينبت الأنوار الساطعات والملائكة تستغفر للعبد إذا لاذم الذكر والحمد والبقاع والجبال تباهى بمن يذكر الله عليها من الرجال وهو سمة المؤمن الشاكر والمنافق قليلاً ما يوجد ذاكراً ومن ألهاه ماله وولده عن الذكر فهو خاسر وللذاكر لذات أحلى من لذات المطعومات والمشروبات ووجه الذاكر وقلبه يكسى فى الدنيا نضرة وسروراً وفى الآخرة وجهه أشد بياضاً من القمر ونوراً وتشهد له البقاع كما تشهد لكل عامل عصى واطاع وهو يرفع العامل إلى أعلى الدرجات ويوصله إلى أعلى المقامات والذاكر حى وإن مات والغافل وإن كان حيا فهو من جملة الأموات ويورث الرى من العطش عند الموت وإلا من المخاوف عند خوف الفوت والذاكر فى الغافلين كبيت مظلم فيه مصباح والغافلون كليل مظلم ليس له صباح والذاكر أن شغله عن الذكر شاغل فقد تعرض للعقوبة وأن كان عن ذلك غافل فمن جلس مع الملك بغير أدب أسلمه ذلك إلىّ العطب والحضور فى الذكر ساعة حمية عن تخليك المعاصى بالطاعة والحمية وإن كانت قليلة فلها منفعة جليلة.

باب فى فوائد أذكار مما يستعمله المريد السيار

اعلم أن ذكر اسماء الله الحسنى أدوية لأمراض القلوب وعلل السالكين إلى حضرة علام الغيوب ولا يستعمل دواء إلا فى الأمراض التى يكون ذلك الأسم نافعا فيها فحيث يكون مثلاً الأسم المعطى نافعاً لمرض قلب مخصوص فالأسم النافع ليس بمطلوب

فيه وقس على هذا والقاعدة أن من ذكر ذكراً وكان لذلك الذكر معنى معقول تعلق أثر ذلك المعنى بقلبه وتبعد لوا حقه حتى يتصف الذاكر بتلك المعانى إلا إذا كانت اسماً من أسماء الانتقام، لم يكن كذلك بل يعلق بقلب الذاكر الخوف فأن حصل له تجل كان من عالم الجلال فاسمعه تعالى الصادق ذكره يعطى المحجوب صدق اللسان والصوفى صدق القلب والعرف التحقيق اسمه تعالى الهادى نافع فى الخلوة ينفع من وجود التفرقة والسلوة ويرفعهما ومن استغاث بالله ولم ير ظاهر صورة الغوث فليعلم أن استمراره فى الاستغاثة هو المطلوب منه اسمه تعالى الباعث يذكره أهل الغفلة ولا يذكره أهل طلب الفناء اسمه تعالى العفو يليق بأذكار العوام لأنه يصلحهم وليس من شأن السالكين إلى الله ذكره لأن فيه ذكر الذنب وذكر القوم ولا يكون فيه ذكر الذنب بل ولا ذكر الحسنة فإذا ذكرته العامة حسن حالهم اسمه تعالى المولى هو الناصر والسيد ولا يذكره إلا العباد لاختصاصهم به فأن ذكره من فوقهم فهو بمعنى آخر اسمه تعالى المحسن يصلح للعوام إذا أريدهم تحصيل مقام التوكل وذكره يوجب الأنس ويسرع بالفتح ويداوى به المريد من رعب عالم الجلال، اسمه تعالى العلام ذكره ينبه من الغفلة ويحضر القلب مع الرب ويعلم الأدب مع المراقبة فيناله الزنس عند أهل الجمال ويتجدد له الخوف والهيبة عند أهل عالم الجلال اسمه تعالى الغافر يلقن لعوام التلاميذ وهم الخائفون من عقوبة الذنب وأما من يصلح للحضر فذكره مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة وكذلك ذكر الحسنة يوجب رعونة تجدد للنفس شبه المنة على الله تعالى بخدمته فى الطاعة وضرر ذكر السيئة، اسمه تعالى المتين وهو الصلب وهذا الأسم يضرأر باب الخلوة وينفع أهل الاستهزاء بالدين ويردهم يطول ذكرهم له إلى الخشوع والخضوع اسمه تعالى الغنى ذكره نافع لمن طلب التجريد فلم يقدر عليه اسمه تعالى الحسيب ذاكره إن كان مشغوفا فالأسباب خرج عنها إلى التجريدا كتفاء بالحسيب أى الكافى اسمه تعالى المقيت ذكره يفيد التجريد عن الأسباب ويعطى التوكل اسمه تعالى الجلال يصلح فى الخلوة لأهل الغفلة اسمه تعالي الخالق من أذ كان أهل مقام العبادة بمقتضى العلم النافع المطابق للعمل الصالح ولا يصلح أن يلقن لأهل الأستعداد الوحدانى فأنه يبعدهم من العرفان ويقربهم إلى العقد العلمى اسمه تعالى المصور من إذ كار العباد اسمه تعالى العالم من

إذ كار العباد ويصلح للمبتدئين من أهل السلوك ففيه تنبيه للمراقبة ويحصل به الخوف والرجاء، اسمع تعالى المحصى من أذكار العباد اسمه تعالى الرقيب إذ ذكره أهل الغفلة استيقظوا من سنتها وأن ذكره أهل اليقظة داموا فيها وأن ذكره أهل العبادة خلصوا من الرياء وكذلك أهل التصرف والعارفون لا يحتاجون إلى ذكر وليس فيه نسبة للواقفين لأنهم قطعوا الأسماء وكان بعض المشايخ يلقن تلامذته ما صورته الله معى الله ناظر إلى الله يرانى ويأمرهم بتكرار ذلك بالسنتهم وقلوبهم دائما ومراده فى ذلك أن يداوى مرض قلوبهم من داء الغفلة فينبههم بالذكر على معنى الأسم الرقيب فيحصل لهم الحضور مع الله تعالى وهو حال أهل العبادة القلبية وأكملهم فى ذلك رجال الأنفاس وهم الذين لا يحدثون نفسا إلا وقلوبهم حاضرة مع الله ولا يطلقون نفسا إلا وهم حاضرون مع الله تعالى وهو مقام صعب على أهل الحجاب جدا مشق عليهم إذ لا يبقى مع مراعاته حظ من حظوظ العادات البشرية إلا وتعطل.

فصل

أسمه تعالى الوفى ذكر المتوسطين وذكره فى الخلوة يعطى نهاية ما فى الأستعداد من القبول اسمه تعالى الشاكر أى يشكر للعبد الصالح عمله أى يثنى به عليه وهو يعطى أهل الذكر مقام المحبة أن كانوا صوفية ولمقام الوقفة أن كانوا عارفين مقام القطبية أن كانوا واقفين وهو حضرة قدس محفوفة بانس وهو فى الخلوة بالغ اسمه تعالى المجيد لا يستعمله فى الخلوة أهل البداية وأهل التوسط. يجب أن يذكروه فى وقت تجلى الحق لهم بالتدلى إلى حضرات التقييد فإن ذكر المجيد يرفع الأشكال اسمه تعالى الودود وهو بكل خلقه إذا ذكره أرباب لخلوة حصل لهم الأنس والمحبة اسمه تعالى المنان ذكره فى الخلوة نافع جدا لمن فارق حظوظ النفس ومضر لمن حاجات نفسه باقية اسمه تعالى الحنان ذكره فى الخلوة يقوى الأنس إلى أن يبلغ بصاحبه إلى المحبة اسمه تعالى البر يعطى الأنس فيسرع بالفتح الجزئى لا التوحيد اسمه تعالى الظاهر ذكره ينفع فى السفر الثانى جدا اسمه تعالى الفالق ذكره فى الخلوة

ينفع المتخلى نفعاً بالغاً ويسرع بالفتح عليه إذا كان معه الأسم القيوم أو الحى ويبطىء إذا ذكر معه لا اله إلا الله اسمه تعالى اللطيف هو الذى بمعانى الرحمة مطيف ذكره فى الخلوة ينفع كثيف الطبع فيتلطف وأهل المشاهدة يقوى به شهود من ضعف شهوده منهم اسمه تعالى النور يسرع إلى أهل الخلوات الفتح لكونه يأتى بالتدريج ولا يعطى الفتح الكلى إلا نادراً اسمه تعالى الوارث يصلح للعارفين يكون جاذباً لهم إلى الفناء المطلق وهو مقام الوقفة اسمه تعالى المعطى أقرب الأسماء المذكورة فى الخلوة إلى الفتح لكنه فتح ضعيف أسمه تعالى الفاتق يذكره العارفون ولا يذكره أهل البداية اسمه تعالى الشكور ذكره يختص بالخاصة من أهل لوصول اسمه تعالى ذو الطول من فضل الله تعالى علينا الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان ثم السكينة ثم الإستقامة ثم التصرف ثم العرفان ثم الوقفة ثم التحقيق بالمراتب ثم الخلافة وهذا الذكر فيه اسراع بالفتح وكذلك اسمه الفتاح يسرع بالفتح وأسمه الأول يسرع بالفتح اسمه تعالى الجبار يلقن فى الخلوة لمن غلب عليه الحال وخيف عليه من البسط الذى يجره أهل الطريق من تجلى الأسم الباسط فإذا ذكره من خالطه البسط عرض له القبض فيعتدل فى سلوكه اسمه تعالى المتكبر ويذكر فى الخلوة وغيرها لإعادة الهيبة إلى من غلب عليه البسط اسمه تعالى القادر ثمرة ذكره نفع أهل استبعادة خرق العوائد فإذا ذكره فى خلوته أنعم باطنه بصحة ذلك بوجه ما اسمه تعالى القاضى أى الذى يرجع إلى حكمة بالطاعة من ذكر هذا الأسم وكان يتردد فى الأمور جهلاً قضى الله له فى باطنه بشهود الحق اسمه تعالى القوى ينفع ذكره من مرض فى الخلوة أو أنسى وضعف عن الذكر أو تفرغ فإنه يجمع وخاصته ترجع إلى سلوك الملوك والجبابرة بأنهم أذا ذكروه جمعهم على الحق اسمه تعالى الحفيظ خاصته حفظاً لحال فيذكره من يخاف المكر اسمه تعالى المكرم يأمر به الشيخ المريد أذا حقر نفسه وعدم بالاستغفار أنسه اسمه تعالى المدبر لا يصلح للسالك ذكره إلا أذا خاف الشيخ عليه من غلبة التوحيد اسمه تعالى الكبير يأمر الشيخ التلميذ أن يذكره إذا غلبه تجلى القرب وخاف عليه الولد منه اسمه تعالى المتعال مثل الكبير ينفع من غلبة القرب وكان يتوله فإذا ذكره عاد إلى الحسى.

فصل

اسمه تعالى المقتدر ومعناه القادر يذكره من يريد الشيخ منه اظهار الكرامات دون التوحيد اسمه تعالى الفعال ينفع ذكره من يريد التأثيرات والكرامات اسمه تعالى الراتق يأمر الشيخ بذكره من يخاف منه نكوص الأستعداد فيحجب عنه التجلى اسمه تعالى المعيد يلقيه الشيخ لمن أراد أن يحجبه لذا خاف عليه من الكشف أن يتوله اسمه تعالى المقتدر يلقنه الشيخ لمن هو من أهل الأعراض عن حكمة الحكيم فيجمعهم إليه اسمه تعالى الباطن يذكره من غلب عليه التجلى الظاهر وخيف عليه الوله يلقنه الشيخ لمن غلب عليه القرب حتى كاد أن يتوله اسمه تعالى القدوس يأمر الشيخ بذكره من اعترضته فى الخلوة شبه أهل التجسيم والتشبيه ولمن كانت عقيدته تناسب ذلك فينتفع بذكر هذا الأسم انتفاعاً كثيراً ولا يأمر الشيخ بذكره غير هؤلاء ولا سيما من كانت عقيدته أشعر به فأنه يبعد عليهم الفتح ويعوضهم الشيخ عن هذا الأسم القريب والرقيب والودود وشبه هذه الأسماء اسمه تعالى الممتحن يستعمل معناه المشايخ أهل التربية تلاميذهم بما يختبرون به استعداداتهم ليعرفوا أى طريق يسلكون بهم فيه إلى الله تعالى ولا يلقنونه فى الخلوة إلا لمن حصلت له بلوى فهو يذكر ربه.

باب فى اختيار الذكر

منهم من اختار لا اله إلا الله محمد رسول الله فى الإبتداء والإنتهاء ومنهم من اختار لا اله إلا الله فى الإبتداء والإنتهاء الاقتصار على الله وهم الأكثرون ومنهم من اختار الله الله ومنهم من اختار هو احتج من قال بالأول بأن الإيمان لا يصح ولا يقبل حتى تكون الشهادة بالرسالة متصلة بالشهادة بالوحدانية قالوا فأن قلت أنما ذلك عند الدخول فى الإيمان فإذا اسقر إيمانه وثبت فيفرق بين الذكرين فالجواب أنه إذا لم يجزله التفريق فى البداية فأولى أن لا يجوز فى النهاية إلا ترى الأذان الذى هو شعار الإسلام لا يصح إلا بأتصال الذكرين جميعا على الدوام فكما أن الأذان لا ينتقل عن حالته التى شرع عليها من الأتصال بين الذكرين فلذلك لا ينتقل المؤمن عن الحالة التى لا

يقبل فيها إيمانه إلا بعد اتينه بالأصلين فلا سبيل للتفريق بين الذكرين قال الله تعالى يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً إلى قوله تعالى ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل قال بعض المفسرين أمر الله أن يوصل ذكر نبيه بذكره فمن قطع بين ذلك فقد قطع ما أمر الله به أن يوصل ومن قطع ما أمر الله به أن يوصل فقد أطلق عليه اسم الخسر أن قال الله تعالى «ورفعنا لك ذكرك»[٣٨] قال بعض المفسرين معناه لا اذكر إلا وذكرت معى قالوا فأن أدعى صاحب دعوى وقال بأنه فى مقام الفناء وقال لا أرى إلا الله ولا أشاهد سواه فلا أذكر معه غيره أجابوا بأن أبا بكر الصديق حين جاء بجميع ماله إلى النبى صلى الله عليه وسلم[٣٩] «قال له ما تركت لأهلك فقال لهم الله ورسوله ولم يقتصر على قوله الله بل وصل بين الذكرين وكذلك الرمل فى الطواف شرع لسبب وزال السبب واستمر الرمل وأما الذكر الثانى وهو لا اله إلا الله قد ليله قوله تعالى «فأعلم أنه لا اله إلا الله»[٤٠] وقوله عليه السلام «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا اله إلا الله»[٤١] وفيها نفى الألهية عن ما سوى الله وأثبات الالهية لله تعالى وما من عبادة إلا وفيها معنى لا اله إلا الله فالطهارة فيها نفى النجاسة وأثبات الطهارة والزكاة فيها نفى حب المال وأثبات حب الله واظهار الاستغناء عن الدنيا والافتقار إلى الله تعالى والاستغناء به وأيضاً القلب مشحون بغير الله فلابد من كلمه النفى لنفى الاغيار فأذا صار خاليا يوضع فيه منبر التوحيد ويجلس عليه سلطان المعرفة وما وضع فى العموم إلا أفضل الأشياء وأعمها منفعة وأثقلها وزبالا به يماثل بها أضدادا كثيرة فلابد أن يكون فى ذلك للموضوع من القوة ما يقابل به كل ضد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا اله إلا الله فظهر مرجوحية قول من أدعى الخصوص من الذكر الله الله وهو من جملة الأقوال الذى لا اله إلا الله أفضل منها عند العلماء بالله فعليك بأولى الذكر الثابت فى العموم فأنه الذكر الأقوى وله النور الأضوى والمكانة الزلفى ولا يستقر بذلك الأمن لزمه وعمل به حتى أحكمه فأن الله ما وضع رحمته إلا للشمول وبلوغ المأمول فمن نفى بلا اله عينه أثبت بالا الله كونه الذكر الثالث ذكر التنزيه وهو سبحان الله وبحمده وذلك إذا اظهر على السالك ثمرة ذكر النفى والأثبات كما سيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى الذكر الرابع الله ويسمى الذكر

المفرد لأن ذاكره مشاهد لجلال الله وعظمته فأنبا عن نفسه قال الله تعالى فل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وذكر أن الشبلى[٤٢] سأله رجل لم تقول الله ولا تقول لا اله إلا الله فقال لأن الصديق أعطى ماله كله فلم يبق معه شىء فتخلل بكساء بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله عليه وسلم ما خليت لعيالك فقال الله فلذا أنا أقول الله فقال الشبلى للسائل أريد أعلامن هذا فقال الشبلى استحى من ذكر كلمة النفى فى حضرته والكل نوره فقال أريد أعلامن من هذا فقال الشبلى أخشى أن أموت على الأنكار فلا أصل إلى الأقرار فقال السائل أريد أعلامن من هذا فقال الشبلى قال الله لنبيه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون فقام الشاب وزعق نزعقة. فقال الشبلى الله فزعق ثانياً فقال الشبلى الله فزعق ثالثا ومات واجتمع أقارب الفتى وتعلقوا بالشبلى وادعوا عليه الدم وحملوه إلى الخليفة فأذن لهم فدخلوا عليه وادعوا الدم فقال الخليفة للشبلى ما جوابك فقال روح حنت فرنت وسمت فصاحت فدعيت فسمعت فعلمت فأجابت فأذبنى فصاح الخليفة خلوا سبيله ووجه القول بهذا الذكر المفرد أنه المقصود فهو بالذكر أولى، ولأن ذاكر لا اله إلا الله قد يموت بين النفى والأثبات ولأنه سهل على اللسان وأقرب لاحاطة القلب به ولأن نفى العيب عن من يستحيل العيب عيب ولأن الاشتغال بهذه الكلمة مشعر بتعظيم الحق بنفى الأغيار إلا أن نفى الأغيار يرجع فى الحقيقة إلى شغل القلب بالأغيار وذلك ممتنع على المستغرق فى نور التوحيد فمن قال لا اله إلا الله فهو مشتغل بغير الحق ومن قال الله فهو مشتغل بالحق فأين أحد المقامين من الأخر وأيضاً نفى الشىء أنما يحتاج إليه عند خطور ذلك الشىء بالبال وخطور ذلك الشىء لا يكون إلا عند نقصان الحالة فأما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك امتنع أن يكلفوا نفى الشريك بل هؤلاء لا يخطر ببالهم ولا يخطر فى خيالهم إلا ذكر الله فيكفيهم أن يقولوا الله وأيضاً قال الله قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون فأمره بذكر الله ومنعه من الخوض معهم فى أباطيلهم ولعبهم والقول بالشريك من الأباطيل وفيه خوض فى ذلك المقام فكان الأولى الأقتصار على قولك الله وجواب من قال بالنفى والأثبات عن هذا من حيث المعنى أن النفى للتطهير والأثبات للتنوير وإن شئت قلت النفى للتخلية والأثبات للتحلية واللوح أذا لم تمسح نقوشه لا يكتب فيه

شيء والقلب الواحد لا يصلح أن يكون محلا لشيئين فضلا عن أشياء ومن إمتلأ قلبه بصور المحسوسات لو قال الله ألف مرة قل ما يشعر قلبه بمعناها وإذا فرغ القلب عن غير الله لو قال مرة واحدة الله يجد من اللذة ما لا يستطيع اللسان وصفه، الذكر الخامس هو إعلم أن هو اسم موضوع للإشارة وعند أهل الظاهر لا يتم الكلام إلا لخبر نحو قائم وقاعد فيقول هو قائم هو قاعد وعند هذه الطائفة هو اختار عن نهاية التحقيق ويكتفون به عن كل بيان يتلوه لا ستهلاكهم فى حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على أسرهم فما سواه لا شيء حتى تقع الإشارة إليه قيل لبعض الوالهين ما أسمك قال هو قيل من أين أنت قال هو قيل ومن أين جئت قال هو قيل ما تعنى بقولك هو قال هو رما سئل عن شيء إلا قال هو قيل لعلك تريد الله فصاح صيحة عظيمة ثم مات فأن قلت قد ذكرت لكل ذكر أدلة بحيث يظن الناظر فى كل ذكر أنه الأفضل وذلك يورث التحير عند التخير قلت كل ذكر له حالة ووقت هو فيه أفضل من غيره فيه فلكل مقام مقال هو به أليق ولكل ذكر حال هو به أخلق كما سيأتى وكما أن القرآن أفضل من الذكر فالذكر فى بعض الأحوال أفضل منه للذاكر كما فى الركوع.

باب تدريج السالك بالأذكار وكيفية تنقله فى الأطوار

على سبيل التنبيه والأختصار فمن لازم الأذكار توالت عليه الأنوار وانكشف له عن المغيبات الأستار وينبغى لمن عزم على الاسترشاد وسلوك طريق الرشاد أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق عن شيخ من أهل التحقيق سالك للطريق تارك لهواه راسخ القدم فى خدمة مولاه وما أحسن قول من قال.

جل جناب الحق أن يراه مسافر يصحب هواه

فاذا وجده فليمتثل ما أمر ولينته عما نهى عنه وزجرو إلا فعليه يا حصاء الإسماء والتخلى بأمهات الفضائل والتخلى عن الرذائل من منكرات الإخلاق والأعمال والأهواء ودوام التوقى وطلب المزيد والدرب فى العبادات وإخلاص الرغبة إلى الله فى كل مطلب وفى السلوك طرق شتى لا ترى فى كل منها عوجا ولا أمتا وأبدأ الآن بذكر

هذه الطريق إلى منتهاها طريق الإمام أبى بكر الصديق وقد تلقيتها عن بعض أهل التحقيق وهى أن السالك يبدأ بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم دون غيرها من الأذكار فأنه صلى الله عليه وسلم الواسطة بيننا وبينه والدليل لنا عليه والمعرف لنا به والتعلق بالواسطة متقدم على التعلق بالمتوسط إليه وأيضاً محل الأخلاص القلب وقد يكون مصروفاً لغير الله تعالى والنفس متوجهة للخلق أمارة بالسوء متبعة للشهوات مائلة للأباطيل وذلك كله أدناس تحجب القلب عن الأخلاص وعن الوجهة الصحيحة إلى الله تعالى وهى قابلة لأوامر الشيطان ولو لم تكن قابلة منه لما وجد مسلكا للقلب وقبولها منه دليل على غفلتها وغيبتها عن الله تعالى والغيبة حجاب كثيف عن خالقها والحجاب ظلمة فأحتاج السالك لدفع تلك الظلمة وزوال تلك الأدناس والظلمة تزول بالنور، روى أنه صلى الله عليه وسلم قال الصلاة على نور وزوال الأدناس بالمطهر روى فى حديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال طهارة قلوب المؤمنين وغسلها من الصدإ الصلاة على فلذلك يؤمر السالك بالإبتداء بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لتطهير محل الإخلاص اذلا إخلاص مع بقاء العلل وزوال النعم بذكر حبيب الله صلى الله عليه وسلم والإكثار من الصلاة عليه يثمر تمكن محبته من القلب وتمكن محبته يثمر شدة الأعتناء به ربما كان عليه من الصفات والإخلاق وما هو مختص به فلما علمنا أنه لا يتوصل لاكتساب اتباع أفعاله وأخلاقه ولا بعد شدة الأعتناء به إلا بالمبالغة فى حبه ولا يتوصل للمبالغة فى حبه إلا بكثرة الصلاة عليه ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره فلذلك يبدأ السالك بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وهى جامعة لذكر الله وذكر رسوله، روى أنه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى له يا محمد جعلتك ذكراً من ذكرى من ذكرك فقد ذكرنى ومن أحبك فقد أحبنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم من ذكرنى فقد ذكر الله ومن أحبنى فقد أحب الله والمصلى ناطق بذكر الله فى قوله اللهم وأعلم أن الذكر على قسمين ذكر لا يتضمن المناجات وذكر يتضمنها وهو أبلغ وأشد تأثيراً فى قلب المبتدى من الذكر الذى لا يتضمن المناجاة لأن المناجى يشعر قلبه قرب من يناجيه وذلك مما يؤثر فى قلبه ويلبسه الخشية فأن قوله اللهم صل ذكر ومناجاة لأنه يسأل الصلاة وذلك مناجاة ولا تكون إلا الحاضر أنت بين يديه ولعل

سر مشروعية الصلاة على الأنبياء أن روح الأنسان ضعيفة لا تستقر لقبول الأنوار الإلهية فإذا استحكمت العلاقة بين روحه وروح الأنبياء بالصلاة فالأنوار الفايضة من عالم الغيب على أرواح الأنبياء تنعكس على أرواح المصلين عليهم.

فصل

المريد للسلوك إذا سبق منه كثرة آثام واوزار فليبدأ فى سلوكه بكثرة الأستغفار إلى أن يظهر عليه ثمرته فلكل ذكر ثمرة وعلامة عند أئمة هذا الشأن معتبرة والثمرة المخصوصة بالأذكار قسمان قسم يلوح للقلب فى حال اليقظة وقسم يرأه السالك فى المنام والسالكون فى الأتيان بالثمرات على درجات ثلاث أعنى الثمرات التى توجب لهم الترقى من ذكر إلى ذكر آخر فسالك يرقى بعد ثمرة فى اليقظة تلوح وآخر بما فى النوم يظهر للروح وآخر يجمع بين اليقظة والمنام وذلك أكسل الأقسام والثمرات بالأمتحاص تختلف لكنها ترجع إلى أصل واحد فبتألف قرب شخص يلوح له ما لا يلوح لغيره ويلوح لغيره ما لا يلوح له وكل منهما قد أتى بالثمرة لازما لاح لهما يرجع إلى أصل واحد والثمرات يختلف على قدر أرزاق السالكين وهى تدور على أصول ثابتة لا تختلف عند المحققين فلا يرقى سالك من ذكر إلى ذكر آخر حتى يظهر عليه ثمرته المختصة به فرذاً ظهرت عليه شواهد الخشوع ولاح على وجهه أثر الإنكسار والخضوع فعند ذلك يؤمر بذكر مصقلة القلوب وهى الصلاة على النبى المحبوب هذا إذا كان استعمل فى المعاصى جوارحه وكانت نفسه قبل ذلك إلى المآثم جانحه وأما إن كان قد شد على العفاف زاره ولم تستهوه النفس الإمارة فأول ما يلقى إليه التصلية على الرسول فيها تبلغ المأمول ثم ينظر هل هذا السالك من عوام الناس أو من أهل العلم فأن كان من عوام الناس فالصلاة التامة ويبدأ ويدأب حتى يقف على حقيقتها ويظهر له ما تحت طيها ثم يرقى إلى كيفية غيرها وإن كان السالك من أهل العلم فلا يؤثر بأن يبدأ بالصلاة التامة لأن لسانه رطب بها لدور أنها على لسانه وكثرة استعمالها غير أنه لم يقف على ما تحت طيها لأنه لم يتمكن نور الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

فيبكى من الصلاة التامة فى دبر كل فريضة إحدى عشرة مرة تجعلها ورداً حتى تستشرق بصيرته على معناها ويدأب ليله ونهاره بالصلاة التى ذكرناها وأياك أن تترك لفظ السيادة ففيها سر يظهر لمن لازم هذه العبادة فرذا لاح ذلك السر وظهر أنتقل إلى ذكر أعلى منه يذكر فيقول اللهم صلى على حبيبك فيضيفه إلى الخالق وفيه اختصاصه بأعلى درجات المحبة دون الخلائق ولابد للسالك من قصدونية ليرتقى إلى الدرجات السنية ولنذكر الآن هيئة الجلوس للذكر فنقول من الأدب أن يجلس بين يدى سيده جلوس ذليل خاضع ويقعد قعود مفتقر متواضع وأن يجعل رأسه بين ركبتيه وأن يسد عن المحسوسات عينيه فهذه الجلسة يجتمع القلب ويتصفى من الإكدار وتأتيه الأنوار واللوائح والأسرار فإذا جلست هذه الجلسة تعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم سم الله ثم قل فى أثر ذلك لله أصلى على سيدنا محمد كذا كذا مـرة ويسمى العدد الذى يقصده وإيمانا وأحتسابا بالله تعالى وتعظيماً لحق رسول الله عليه وسلم وتشر يفاوتكر بما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً ثم اشرع فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فأذا كملت العدد أو كانت بيدك سبحة فوصلت إلى الموضع الذى بدأت منه فجرد القصد كما ذكرنا لعله بالتكرار يظهر ماتحت ألفاظه من الأسرار فما من لفظة إلا وتحت طيها سر مستور وليقرأ قبل طلوع الفجر أو بعده شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم وليقل عقبها وأنا أشهد لله بما يشهد لنفسه وشهدت له ملائكته وأولوا العلم من خلقه وأنا أستودع الله هذه الشهادة إلى حين موتى ودخولى قبرى وخروجى منه ولقائى ربى أنه لا تخيب لديه الودائع يقول ذلك ثلاث مرات أو خمساً أو سبعاً فى كل يوم وتحت طى ذلك القوك فائدة يبرزها الإخلاص لله تعالى وله ثمرة تظهرها الملازمة وينبغى أن تذكر لشيخك ما يطرأ عليك من أحوال وغيرها وما تراه من منام وأذا أشرف القلب بأنوار الصلوات وطهر من دنس الخواطر لاح لك ثمرة صلاتك وورد على قلبك مبادى الإخلاص وتظهر لك الخفايا وتمد من الغيب بالعطايا وتظهر الحكم على لسانك ويتعجب السامع من بيانك وينبغى للمبتدى أن يتخذ له وردين ورداً بعد صلاة الصبح وآخر بعد صلاة المغرب وأما أهل التمكين والنهايات فالذكر شغل قلوبهم فى جميع الأوقات وأحذر من العجلة فى

الانتقال عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن تظهر لك ثمرتها وأضف إلى ما عندك ذكر النفى والأثبات فيكون ذلك دزبك وشغلك فى سائر الأوقات وهو أن تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو ذكر قوى وهو أقوى من الزول لا يحتمله إلا الأقوياء فأن كان الذاكر راجع العقل معتدل المزاج ثابت القدم قوياً فى حاله فيؤمر بالأكثار منه وأن كان مضطرباً ضعيفاً محروف المزاج فيؤخذ بالرفق ويجعل له من ذلك ورداً معلوما حتى يأخذ على نفسه وتسرى له القوة شيأ فشيأ فعند ذلك يكثر منه لأنه قد دخل فى زمرة الأقوياء، فأن أكثر منه قبل التربص عليه مع احتراف مزاجه أحرقه الذكر وانقطع عن الوصول فألزم ذلك الذكر إلى أن ينتظم لك شمل العالم فى نطاق واحد وحتى لا ترى بعين قلبك فى الدارين غير الواحد فتصلى على جميع الموجودات صلاة الأموات وتكبر عليها أربع تكبيرات ويتساوى عندك الحمد والذم فترى ذمهم تأديباً لك وزجرا وحدهم فتنة لك فبأمره حركة ألسنتهم بحمدك أو ذمك ومتى بقى فيك للنفس نصرة ولو مثقال ذرة فأنت صاحب دعوى ولك شيطانك أغوى فإذا ظهر عليك ثمرة ذكر النفى والأثبات فأشتغل بذكر التنزيه وهو أن تقول سبحان الله العظيم وبحمده اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله فرذا ظهر لك ثماره وتبين لك أسراره فعند ذلك تصير أهلا للذكر الفرد فتقول الله الله الله مستديما ذلك وأياك ثم أياك أن تترك ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فأنه مفتاح لكل باب بإذن الكريم الوهاب وقد وفقنا اذ وفقنا على هذه الطريق الغريب فأخذنا منها بنصيب فالحمد لله القريب المجيب، طريق آخر وهى طريقة الجنيد فلها ثمانية شروط دوام الوضوء ودوام الصوم ودوام السكوت ودوام الخلوة ودوام الذكر وهو لا اله إلا الله ودوام ربط القلب بالشيخ واستفادة علم الواقعات منه بفناء تصرفه مى تصرف الشيخ ودوام نفى الخواطر ودوام ترك الاعتراض على الله تعالى فى كل ما يرد عليه خيراً أو شراً وترك السؤال من جنة أو تعوذ من نار طريق آخر وهى تقليل الغذاء بالتدريج فأن مرد الشيطان والنفس منه فأذا أقل الغذاء قل سلطانهما طريق آخر وهو أن يؤمر على نفسه شيخاً مأموناً ليختار له ما يصلحه فأن المريد للسلوك كالطفل أو الصبى أو المبذر فأنه لابد لهم من ولى أو وصى أو قاض أو سلطان يتولى أمرهم.

باب في ذكر الخلوة

هى على الحقيقة محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره وأما صورتها فهو ما يتوصل به إلى هذا المعنى من التبتل إلى الله تعالى والأنقطاع عن غيره وأما خلوة الظاهر فأنها تجلو مرآة القلب من أشكال انتقشت فيها منذ غفل وعاشر الدنيا وما فيها وهذه الأشكال ظلمات منطو بعضها على بعض وتتركب فيحصل منها صدأ القلب وهو الغفلة فبواسطة الخلوة والذكر والصوم والطهارة والسكوت ونفى الخواطر والربط وتوحيد المطلب تنجلى مرآة القلب عن الصدإ، فالخلوة كالكير والذكر نار ومبرد ومطرقة والصوم والطهارة آلة التصقيل والسكوت ونفى الخواطر ينفى الوارد من الظلمات والربط تلميذ وتوحيد المطلب أستاذ فهذه الخلوة وسيلة إلى الخلوة الحقيقية المتقدمة وأعلم أنك إذا أردت الدخول إلى حضرة الحق والأخذ منه بترك الوسائط والأنس به أنه لا يصح لك ذلك وفى قلبك ربانية لغيره فأنك لمن حكم عليك سلطانه فلابد لك من العزلة عن الناس وايثار الخلوة عن الملأ فأنه على قدر بعدك من الخلق يكون قربك من الحق ظاهر أو باطنا ويجب عليك تصحيح عقيدتك على مذهب أهل الحق وتعلم ميقيم العبادات وعليك قبل الخلوة بالرياضة وهى تهذيب الإخلاق وترك الرعونة وتحمل الأذى فمن تقدم فتحه على رياضته لا يحيى منه رجل إلا فى النادر ولابد من انسحاب التوبة على الذنوب ورد المظالم المقدور على ردها من عرض ومال وتطهير باطنك من كل مذموم وتقييد باطنك من الجو لأن فى مراتب الكون والفكر أضر شىء فى جميع الخلوات لا يظهر لصاحبها ثمرة صحيحة ولا يساعد النفس على حديثها وتصرفاتها فى مراتب الكون ولابد من العزلة عن الخلق والصمت وتقليل الطعام واجتهد فى ترك شرب الماء فرذا ألفت النفس الوحدة فعند ذلك أدخل الخلوة وإذا اعتزلت عن الناس فأحذر من قصدهم إليك وأقبالهم عليك فالمراد من عزلة الناس ترك معاشرتهم وليس المراد ترك صورهم بل المراد لا يكون قلبك ولا أذنك وعاء لما يأتون به من فضول الكلام فلا يصفو القلب من هذيان العالم فأغلق بابك عن الناس وباب بيتك عن أهلك وأشتغل بذكر رب الناس ومن أعتزل وفتح باب قصد الناس إليه فذلك طالب رياسة وجاه مطرود عن باب الله والهلاك إلى هذا أقرب من شراك نعله وأحذر من تلبيس النفس فى هذا المقام فإن

أكثر الخلق هلكوا فيه وينبغى أن يكون صاحب الخلوة شجاعاً مقداماً ثابتا عند سماع زعقة عظيمة أووقع جدار أو مفاجأة أمر هائل غير جبان ولا طائش كثيراً السكون دائم الفكرة لا يفرح لمدح ولا يألم لذم قائماً بما يحتاج إليه من أسباب خلوته لا يتكلف له أحد ذلك فإن كان كذلك فينبغى أن يدخل الخلوة والإفلابل يستعمل العزلة ويروض نفسه إلى أن يعتاد فلا تبقى النفس تحس به كما لا تحس بالعادات فيدحل الخلوة عقب ذلك مستريحاً منتشطاً طيب النفس فارغاً من المجاهدة خالى المحل من الماكبدة مهتما متضرعاً للذكر والتخلى من المطلوب فإن المجاهدة والمكابدة فى الخلوة تذهب الجمعية التى هى روحها لأنها تشغل فى الوقت فلا يرد عليك وارد فأجعل مجاهدتك فى العزلة قبل الخلوة حتى تأنس النفس بذلك ومتى تكلفت فى خلوتك شيئاً من ذلك من سهر أو جوع أوعطش أو برد أو حر أو حديث نفس أو وحشة فأخرج منها إلى عزلتك حتى تستحكم وإذا أردت الدخول إليها فأغتسل غسل الجنابة ونظف ثيابك وأنو التقرب إلى الله تعالى وأما هيئة بيت الخلوة ليكن أرتفاعه قدر قامتك وطوله قدر سجودك وعرضة قدر جلستك ولا يكون فيه ثقب ينفذ فيه الضوء إلى الخلوة ويكون بعيداً عن الأصوات وبابه وثيقاً قصيراً فى دار معمورة بالناس والأحسن أن يبيت أحد قريباً من باب الخلوة ولا يكثر الحركة فيها ولا يزيد على الفرائض والرواتب وقيل بل يقتصر على الفرائض والركعتين عند كل طهارة من الحدث واستقبال القبلة والأستمرار على الطهارة وليكن موضع خلائك قريباً من خلوتك وتحفظ عند خروجك من الهواء الغريب فأنه يؤثر فيك تفريقا زمانا طويلاً ولا تغير ماءك عليك وأذا خرجت لحاجة سر عينيك وأذنيك وليكن غذاؤك معك معداً أو خلف باب الخلوة محفوظاً ومن الشروط أن لا يعرف أحد أنك فى خلوة فأن كان ولابد فأقرب الناس إليك وليكن يجهل ما أنت عليه ولا يعرف ما تقصده لأجل تشوف النفوس لخروجه بماذا يخرج وهى علة كبيرة تبعد الفتح عليه وأما الأكل فى الرياضة والعزلة والخلوة فهو أن تأخذ اللقمة وتسمى عليها خالقها بذلة وافتقار وحضور ومراقبة وتربص حتى تعلم أنها قد استقرت فى فم المعدة فبعد ذلك تأخذ لقمة أخرى تفعل بها مثل الأولى وهكذا إلى أن يتم غذاؤك وليكن شربك الماء مصا وأقطع نفسك مراراً ولا تجع الجوع المفرط ولا تشبع الشبع المثقل وعند أول خلاء

المعدة أشرع فى تحصيل الغذاء وليكن من وجه لا يتضرر منه مخلوق بكلفة ولا يكون من حيوان أصلا ولا يصنع لك غذائك سواك وأن جهلت مزاجك فأعرض نفسك على الأطباء يعطوك من الغذاء ما يوافق طبعك ويصلح مزاجك وتقول لهم ما تريد أن تفعله من التقليل وعدم الفضول والثقل المؤدى إلى النوم والكسل فهم يركبون لك غذاء تبقى عليه الزيام الكثيرة الذى لا تحتاج فيها إلى غذاء ولا أبراز والأمر الكل أن لا تستعمل إلا الغذاء الخفيف الملائم للطبع البطىء الهضم المشبع الذى لا تحتاج معه إلى تصرف والزم ما يحصل به أعتدال المزاج أذا أفرط يبسه أدى إلى خيالات وهذيان وإذا كان الوارد هو الذى يعطى الزنحراف فذلك هو المطلوب وألبس من الثياب ما يكون به بدنك معتد لا وليكن من وجه لا يريبك مثل الأكل وليكن عندك حفاظ نقى تباشر به عورتك تغسله فى أكثر الأوقات ولا تضطجع ولا تنام إلا عن غلبة ولا تقتل حيوانا لا نملة ولا غيرها وأذا خفت من الهوام فى رأسك فأحلقه وأعدد ثيابك لطهرك تستبد لها فى أكثر الأوقات قبل أن يتعلق بها حيوان يشغلك ولا تلبث ساعة دو طهارة، والفرق بين الوارد الملكى والشيطانى أن الملكى يعقبه برد ولذة ولا تجد له ألما ولا تتغير لك صورة ويترك علماً والشيطانى يتبعه تهويش فى الأعضاء وألم وحيرة ويترك تخبيطاً والخاطر ما يرد على القلب من الخطاب الوارد الذى لا يعمل العبد فيه، وما كان خطابا فهو على أربعة أقسام ربانى وهو أول الخواطر ويسميه سهل السبب الأول ومقر الخاطر وهو لا يخطىء أبداً وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الأندفاع بالدفع وملكى وهو الباعث على مندوب أو مفروض وبالجملة كل ما فيه صلاح ويسمى الهاما ونفسانى وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجساً وشيطاني وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق قال الله تعالى «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء»[٤٣] وقال النبى صلى الله عليه وسلم «لمة الشيطان تكذيب بالحق وايعاد بالشر»[٤٤] ويسمى وسواسا ويعتبر بميزان الشرع فما فيه قربة فهو من الأولين وما فيه كراهة أو مخالفة شرعاً فهو من الأخيرين ويشتبه فى المباحثات فما هو أقرب إلى مخالفة النفس فهو من الأولين وما هو أقرب من الهواء وموافقة النفس فهو من الأخيرين والصادق الصافى القلب الحاضر مع الحق سهل عليه الفرق بينهما والله أعلم، وليكن ذكرك الأسم الجامع وهو الله الله الله وأن

شئت هو هو ولا يتعدى هذا الذكر وأحذر أن يفر. به لسانك وليكن قلبك هو القائل ولتكن الأذن مصغية لهذا الذكر حتى ينبعث الناطق من سرك فأذا أحسست بظهور الناطق فيك بالذكر فلا تترك حالتك التى كنت عليها.

باب التوحيد

قال الإمام الغزالى رحمه الله تعالى التوحيد أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر إلا منه ومن ثمرة ذلك التوكل وترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضاء والتسليم لحكم الله تعالى وكان التوحيد جوهر نفيس له قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخصص الناس الأسم بالقشر وأهملوا اللب القشر الأول أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيد إلا أنه مناقض للتثليث الذى تصرح به النصارى وقد يصدر عن المنافق الذى يخالف سره جهره القشر الثانى أن لا يكون فى القلب مخالفة وأنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على أعتقاد ذلك والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون حراس هذا القشر من تشويس المبتدعة الثالث وهو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى وكل متبع هواه فقد أتخذ ألهه هواه قال الله تعالى «أرأيت من أتخذ الهه هواه»[٤٥] وعنه عليه الصلاة والسلام «أبغض اله عبد فى الأرض عند الله هوالهوى»[٤٦].

فصل

ومن تدبر بخفى فكره وجد الموجودات كلها موحدة لله تعالى على لطيف الأنفاس ولولا ذلك لغشيهم العذاب ففى كل ذرة من ذرات العالم فما دونها سر من أسرار أسم الله فبذلك السر فهم عنه وأقر له بالتوحيد كل عالم على نوعه الذى هو قائم به علم أو

لم يعلم، كما قال الله تعالي «ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال»(٤٧) فكل يوحد الله فى كل مقام بما يليق بالربوبية وبما تطيقه أوصاف العبودية على ما قدر لهم فى تحقيق توحيدهم. قال بعض العارفين المسبح يسبح بسر باطن حقيقة طهارة أوصاف فكرته فى ميدان عجائب الملكوت ولطائف دقائق الجبروت فالسالك يسبح بذكره فى بحار القلب والمريد يسبح بقلبه فى بحار الفكر والمحب يسبح بروحه فى بحار الشوق والعارف يسبح بسره فى بحار الغيب والصديق يسبح بسر سره فى سر الأنوار القدسيات المنتقلة فى معانى أسماء الصفات مع ثبوت أقدام التمكين فى إختلاف الأوقات.

باب المعرفة

هى إدراك الشىء فى ذاته وصفاته على ماهو به ومعرفة البارى سبحانه وتعالى أعسر المعارف فأنه لا مثل له ومع ذلك فقد فرض الله تعالى على الخلق من أنس وجن وملك وشيطان معرفة ذاته وأسمائه وصفاته وهى مثبتة فى الحيوان وغير الحيوان وكل موجود سوى الله تعالى يعقل وجود خالقه من حيث وسعه قال الله تعالى «وأن من شىء إلا يسبح بحمده»(٤٨) فشمل الإنسان والملك والحيوان والجماد والنبات والهواء والتراب والماء ومدح الله تعالى العارفين به وذم الجاهلين به والمنكرين له وهى على قسمين عامة وخاصة فمعرفيته تعالى العامة المفروضة على سائر المكلفين أثبات وجوده وتقديسه عن مالا يليق به ووصفه على ما هو عليه وبما وصف به نفسه فهو معروف وإن لم يكيف ولا يحاط به. القسم الثانى المعرفة الخاصة قيل هى حال تحدث عن شهود فالعارف من أشهده الله ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله والعالم من أطلعه الله على ذلك لا عن شهود بل عن يقين وقيل المعرفة نوع يقين يحدث عن أجتهاد فى العبادات. وقال الإمام الغزالى رحمه الله تعالى والله أكبر من أن ينال بالحواس ويدرك كنه جلاله بالعقل والقياس بل أكبر من أن يدرك كنه جلاله غيره بل أكبر من أن يعرفه فأنه لا يعرف الله إلا الله فأن منتهى معرفة عباده أن يعرفوا أنه يستحيل منهم معرفته

الحقيقية ولا يعرف أيضاً ذلك بكماله إلا نبى أو صديق أما النبى فيعبر عنه ويقول لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وأما الصديق فيقول العجز عن درك الإدراك إدراك وقيل النفوس لا تتعين بعد مفارقة أجسادها إلا بالمعارف والعلوم التى انتقشت فيها ولا تجد بعد المفارقة معلوماً سواها ولا معروفا غيرها والطبيعة الإنسانية تحشر على صورة علمها والأجسام تنشر على صورة عملها من الحسن والقبح فأذا انفصلت من عالم التكليف وموطن الاكتساب والترقى تجنى ثمرة ما غرست ولا يزيد الإدارك فى الآخرة على الإدارك فى الدنيا إلا زيادة كشف ووضوح بحسب معرفة الله تعالى والعلم باسمائه وصفاته تكون المشاهدة والنظر لأن المعرفة فى الدنيا تنقلب فى الآخرة مشاهدة كما تنقلب الحبة سنبلة وكما أن من لا بذر له ولا زرع له كذلك من لا معرفة له فى الدنيا لا رؤية ولا مشاهدة له فى الاخرة وبحسب تفاوت درجات المعرفة تتفاوت الرؤية فى درجات التحلى (لطيفة) من أراد أن يستوقد سراجاً أحتاج إلى سبعة أشياء زنادو حجر وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالعبد إذا طلب سراج المعرفة فلابد من زنادا الجهد والذين جاهدوا فينا لهدينهم سلنا وحجر التضرع أدعوا ربكم تضرعاً وأما الحراق فهو احتراق النفس قال تعالى «ونهى النفس عن الهوى»(٤٩) والرابع كبريت الإنابة وأنيبوا إلى ربكم والخامس مسرجة الصبر واصبروا أن الله مع الصابرين. والسادس فتيلة الشكر واشكروا نعمة الله. والسابع دهن الرضاء بقضاء الله قال تعالى «واصبر لحكم ربك»(٥٠) وحكى أنه كان لبعض الصالحين أخ مات فرآه فى المنام فقال له ما فعل الله بك فقال أدخلنى الجنة آكل وأشرب وأنكح فقال ليس عن هذا سألتك هل رأيت ربك قال لا ما يراه إلا من يعرفه.

فصل

فى الذكر وقراءة القرآن أيهما أفضل قال الإمام الغزالى قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم إلا الذاهب إلى الله تعالى فى جميع أحوال بدايته وفى بعض أحوال نهايته فأن القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف والأحوال والإرشاد إلى الطريق. فما دام العبد

مفتقر إلى تهذيب الأخلاق وتحصيل المعارف فالقرآن أولى به إنتهى فأذا كان هو الأفضل في حقك فعليك بتلاوته وتدبره وانظر فى تلاوتك إلى ما وجد فيه من النعوت والصفات التنى وصف بها من أحب من عباده فأتصف بها وماذم الله تعالى فى القرآن من النعوت والصفات التى اتصف بها من مقته الله فأجتنبها فأن الله تعالى ما ذكر هالك وأنزلها فى كتابه عليك وعرفك بها إلا لتعمل بذلك وأجتهد أن تحفظ القرآن بالعمل كما حفظته بالتلاوة فأنه لا أحد أشد عذاباً يوم القيامة من شخص حفظ آية ثم نسيها كذلك من حفظ آية ثم ترك العمل بها كانت عليه شاهدة يوم القيامة وحسرة.
وقد قال صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب يعنى به التلاوة والقراءة فأنها أنفاس تخرج فشبهها بالروائح فطيبها الأنفاس وطعمها طيب يعنى به الإيمان»(٥١) ولذلك قال «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً»(٥٢) فنسب الطعم للإيمان ثم قال «ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة طعمها طيب»(٥٣) من حيث أنه يؤمن ذو إعلان ولا ريح لها من حيث أنه غيرتال فى الحال التى لا يكون فيها تاليا وإن كان من حفاظ القرآن ثم قال ومثل الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب لأن القرآن طيب وليس سوى أنفاس التالى والقارىء فى وقت تلاوته وحال قراءته وطعمها مر لأن النفاق كفر الباطن لأن الحلاوة للإيمان لأنها مستلذة ثم قال ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها لأنه غير قارىء فى الحال وعلى هذا المساق كل كلام طيب فيه رضا الله تعالى صورته من المؤمن والمنافق صورة القرآن فى التمثيل غير أن القرآن منزلته لا تخفى فأن كلام الله لا يضاهيه شىء من كل كلام مقرب إلى الله تعالى فينبغى للذاكر أن يتخذ ذكره من الأذكار الواردة فى القرآن فيذكر الله به فيكون قارئا فى الذكر فلا يحمد الله ولا يسبحه ولا يهلله إلا بما ورد فى القرآن عن استصحاب منه لذلك انتهى قال الغزالى ورذا كان العبد غير مفتقر إلى تهذيب الإخلاق وتحصيل المعارف بل جاوز ذلك واستولى النظر على قلبه بحيث يرجى له أن [يفضى](٥٤) به ذلك إلى الأستغراق فداومة الذكر أولى فأن القرآن بحادث خاطره ويسرح به فى رياض الجنة والمريد الذاهب إلى الله لا ينبغى أن يلتفت إلى الجنة

ورياضها بل ينبغى أن يجعل همه هما واحدا وذكره ذكراً واحداً حتى يدرك درجة الفناء والأستغراق ولا يدوم ولا ثبت عليه فإذا رد إلى نفسه فقد تنفعه تلاوة القرآن وهذه حالة نادرة عزيزة كالبريت الأحمر يحدث به ولا يوجد فتكون تلاوة القرآن أفضل مطلقاً لأنه أفضل فى كل حال إلا في حال من شغله المتكلم عن الكلام إذ لباب القرآن معرفة المتكلم بالقرآن ومعرفة جماله والإستغراق به والقرآن سابق إليه وهاد نحوه ومن أشرف على المقصد لم يلتفت إلى الطريق وتقدم أن حقيقة الذكر إستيلاء المذكور على القلب وهو واحد والتفرقة والكثرة قبل ذلك مادام الذاكر فى مقام الذكر باللسان أو بالقلب فحينئذ ينقسم إلى الأفضل وغيره وفضله بحسب الصفات التى يعبر عنها بالأذكار والصفات والأسماء الواردة فى الله تعالى تنقسم إلى ما هو حقيقة فى حق العباد مسؤله فى حقه تعالى كالصبور والشكور والرحيم والمنتقم وإلى ما هو حقيقة فى حقه وأذا استعمل فى حق غيره كان مجازاً فمن أكبر الأذكار لا اله إلا الله الحى القيوم فأن فيه اسم الله الأعظم إذ قال صلى الله عليه وسلم «اسم الله الأعظم فى آية الكرسى وآل عمران ولا يشتركان إلا فى هذا»[٥٥] وله سر يدق عن فهمك ذكره والقدر الذى يمكن الرمز إليه أن قولك لا اله إلا الله يشعر بالتوحيد ومعنى الوحدانية فى الذات والرتبة حقيقى فى حق الله تعالى غمر مؤول بل فى حق غيره ومؤول وكذلك الحى فأن معنى الحى هو الذى يشعر بذاته والميت هو الذى لا خبر له من ذاته وهو أيضاً حقيقى لله غير مؤول ولا يوجد لغيره وما عداها من الأسماء الدالة على الأفعال كالرحيم والمقسط والجامع والعدل وغيره فهو دون ما يدل على الصفات لأن مصادر الأفعال هى [الصفات][٥٦] والصفات أصل والأفعال تبع وما عداها من الصفات التى تدل على القدرة والعلم والإرادة والكلام والسمع والبصر فذلك مما يظن أن الثابت منها لله تعالى مفهوم ظواهرها وهيهات أن المفهوم من ظواهرها أمور تناسب صفات الإنسان وكلامه وقدرته وعلمه وسمعه وبصره بل لها حقائق يستحيل ثبوتها للإنسان فيستخرج من هذه الأسامى بنوع من التأويل ويقرب من ذلك قول سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر لأن سبحان الله تقدس وهو حقيقى فى حقه فأن القدس الحقيقى لا يتصور إلا له وقولك الحمد لله مشعر بإضافة النعم كلها إليه وهو حقيقى أذهو المنفرد بالأفعال

كلها تفرداً حقيقياً بلا تأويل وهو تبارك وتعالى المستوجب الحمد وحده إذ لا شركة لأحد معه فى فعله أصلاً ألبته كما لا شركة للقلم مع الكاتب فى استحقاق المحمدة عند حسن الخط وكل من سواه ممن يرى منه نعمة هو تعالى مسخر لها كالقلم فهو منفرد باستحقاق الحمد وقولك الله أكبر ليس المعنى به أنه أكبر من غيره إذ ليس معه غيره حتى يقال أكبر منه بل كل ما سواه نور من أنوار قدرته وليس لنور الشمع مع الشمس رتبة المعية حتى يقال أنها أكبر منه بل رتبة التبعية بل معناه أنه أكبر من أن ينال بالحواس ويدرك كنه جلاله بالعقل والقياس بل أكبر من أن يعرفه غيره فأنه لا يعرف الله إلا الله.

فصل

قال صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا اله إلا الله وذكرها الله تعالى فى كتابة العزيز فى سبعة وثلاثين موضعاً وهى كلمة جمعت بين النفى والأثبات والقسمة حاصرة دائرة بين النفى والأثبات فلا يعرف ما تجرى عليه هذه الكلمة إلا من عرف وأنها كما ورد فى الخبر الآنى وهى كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثله شىء إذ لو ماثله شىء ما كان واحداً ولكان أثنان فصاعداً فما ثم ما يزنه فأنه ما يزنه إلا المعادل والمماثل وما ثم معادل ولا مماثل فذلك هو المانع الذى منع لا اله إلا الله أن تدخل الميزان فأن العامة من العلماء يرون أن الشرك هو الذى يقابل التوحيد لا يصح وجود القول به من العبد مع وجود التوحيد فالإنسان أما مشرك وأما موحد فلا يزن التوحيد إلا الشرك فلا يجتمعان فى ميزان وأما صاحب السجلان فما مالت الكفة إلا بالبطاقة لأنها هى التى حواها الميزان من كون لا اله إلا الله المكتوبة المخلوقة فى النطق ولو وضعت لكل أحد ما دخل النار من تلفظ بتوحيد وإنما أراد الله أن يرى فضلها أهل الموقف فى صاحب السجلات ولا يراها ولا توضع إلا بعد دخلو من شاء الله من الموحدين النار فإذا لم يبق فى الموقف موحد قد قضى الله عليه أن يدخل النار ثم بعد ذلك يخرج بالشفاعة أو بالعناية الألهية عند ذلك يؤتى صاحب السجلات ولم يبق فى

الموقف إلا من يدخل الجنة ممن لاحظ له فى النار وهو آخر من يؤذن له من الخلق فأن لا إله إلا الله له البدء والختام وقد يكون عين بدئها خاتمها لصاحب السجلات.

فصل

ما وضع فى العموم إلا أفضل الأشياء وأعمها نفعاً وأثقلها وزناً لأنه يماثل بها أضداداً كثيرة فلابد أن يكون فى ذلك الموضوع فى العامة من القوة ما يقابل به كل ضد قال عليه الصلاة والسلام أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله فظهر مرجوحية قول من أدعى الخصوص من الذكر قول الله الله وهو هو إذ هو من جملة الأقوال التى لا إله إلا الله أفضل منها عند العلماء بالله فعليك بلا إله إلا الله فأنه الذكر الأقوى وله النور الأضو أو لا يشعر بذلك إلا من لزمه وعمل به حتى أحكمه فأن الله ما وضع رحمته إلا للشمول وبلوغ المأمول هذا على طريقة بعضهم ومن يرى التدريج على الأذكار بحسب المقامات والأحوال يرى الأفضل فى كل حال ما يناسبها كما تقدم وأعلم أن من العارفين من أختار السكوت عن الذكر فى النهاية، روى أنه عليه الصلاة والسلام قال عرف الله كل لسانه ويروى أن الجنيد رحمه الله كان فى الكلام فزعق الشبلى وقال الله قال الجنيد الغيبة حرام معناه أنك أن كنت غائباً فذكر الغائب غيبة وأن كنت حاضراً فذكر الأسم فى الحضرة سوء أدب (تنبيه وايقاظ) أياك ومعادات أهل لا إله إلا الله فأن لها من الله الولاية العامة فهم أولياء الله وان خطئوا وجاؤا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله لقيهم الله بمثلها مغفرة ومن تثبت ولا يته حرمت محاربته ومن حارب الله فقد ذكر الله جزاء فى الدنيا والآخرة وكل من لم يطلعك الله على عداوته لله فلا تتخذه عدوا فأقل أحوالك إذا جهلته أن تهمل أمره فإذا تحققت أنه عدو لله وليس إلا الشرك فتبرأ منه، كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام فى حق أبيه آزر قال الله تعالى «فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه هذا ميزانك»(٥٧) قال الله تعالى «لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم»(٥٨) كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام أو أبناءهم أواخوانهم أو عشيرتهم

حتى تعلم ذلك ولا تعادى عباد الله بالامكان ولا بما ظهر على اللسان وينبغى أن تكره فعله لا عينه والعدو لله إنما يكره عينه وقال عليه السلام «من عادى لى وليا فقد آذنته بحرب فأنه إذا جهل أمره وعاداه فما وفى حق الحق فى خلقه»(٥٩) فأنه ما يدرى ما علم الله فيه حتى تبرأ منه وأتخذه عدواً وإذا علم حاله الظاهر وإن كان عدوا لله فى نفس الأمر وأنت لا تعلم فواله لإقامة حق الله ولا تعاده فأن الأسم الألهى الظاهر يخاصمك عند الله ولا تجعل لله عليك حجة فتهلك فأن لله الحجة البالغة فعامل عباد الله بالشفقة والرحمة كما أن الله يرزقهم على كفرهم مع علمه بهم وما رزقهم إلا لعلمه بأن الذى هم فيه ما هم فيه فهم وهم فيه به لما قد ذكرناه بلسان العموم فأن الله خالق كل شىء وكفرهم مخلوق فيهم وبلسان الخصوص ما ظهر حكم فى موجود إلا بما هو عليه فى حال العدم فى تنويه الذى عليه له منه فالله الحجة البالغة على كل أحد فعم برحمتك وشفقتك جميع الحيوان والمخلوقين ولا تقل هذا جماد ما عندهم خبز نعم عندهم أخبار أنت ما عندك خبر فأترك الوجود على ما هو عليه وارحمه برحمة موجده فى وجوده.

فصل

افات المسير إلى الله تعالى القاطعة على بعض السائرين طريقهم عشرة رؤية العمل وامتداد الأمل وتحدث النفس ببلوغ الولاية والركوب لاقبال الخلق والمقنع بمرآى الأحلام والتأنس بالورد والتلذذ بالوارد والسكون للوعد والأكتفاء بالزعم والغرة بالله وعلامات السقوط من عين الله ثلاث الرضى عن النفس وعدم الرضى عن الله ومزاحمة الحق بالقضاء والقدر وعلامات القرب من الله ثلاث ترك الحظ والقيام بالحق والتواضع لله فى الخلق وعلامات الوصول إلى الله ثلاث الفهم عن الله تعالى والأستماع من الله والأخذ عن الله وعلامات الأختصاص بالله ثلاث ترك الأختيار وسلب التدبير وسلب الأرادة وعلامات النيابة عن الله ابدال أوصاف فانية بأوصاف باقية وصفات فانية بصفات باقية ومحوذات فانية فى ذات باقية والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم وعلامات صحة محبة العبد ربه ثلاث عدم الأختيار واستحلاء كل واقع من الأقراد

ورؤية كمال المحبوب فى كل شىء رضى عنه بكل شىء وإسلاما له فى كل شىء وعلامات ثبوت حب الله عبده ثلاث رضاه عنه فى كل ما يقع منه والأذن بالتحدث عنه والقاء السر عليه بحكم حكمته البالغة الدالة عليه.

باب ما ينبغى لأهل الطريق أن يأخذوا أنفسهم به ويلازموه

أعلم أن طريق الله بعيد عن المنازعة وظهور النفس النازعة ولا أعتذار فيه ولا مسامحة ولادعة فيما يؤدى إلى الخروج عن الطريق وعندهم المؤاخذة باللسان وعدم الصفح فيما لا يسمح فيه الشرع ويسامحون فى حقوقهم وما يرجع إليهم من شرط أهل هذه الطريق أن ينصفوا الناس من أنفسهم ولا ينتصفون من أحد ويقبلون المعذرة من الأجانب ولا يعتذرون وينصرون ولا ينتصرون ويعاملون الناس بالرحمة والشفقة ويتعاملون فيما بينهم بالمناصحة ولا يسلم واحد منهم لصاحبه مالا تقضيه طريقهم هذا إذا كانوا متساوين فى الرتبة فأن كان صاحب الحركة أعلى فالتسليم واجب وليس بينهم بغضاء ولا شحناء ولا تحاسد فى مواهب الله ولا يقول أحدهم لى ولا عندى لا متاعى ولا بغلى ولا ثوبى وهم سواء فيما يفتح عليهم ليس، لواحد منهم ملك دون صاحبه ومن طريقهم ترك موافقة النسوان ومجالستهم ومؤاخاتهن وترك صحبة الآحداث ومكالمتهم ومن شرطهم أن لا يعدوا فمن غلط ووعد عليه الوفاء وصدق الحديث والورع فى المنطق والمطعم والنظر وغير ذلك وعدم المرآة وحفظ آداب الشريعة دقيقها وجليلها إذا علمها ويسأل أذا لم يعلم عن كل حالة يكون عليها ما حكمها فى الشرع فالخائن فى الآداب الشرعية أخرى أن يخون فى الأسرار الألهية والله تعالى لا يهب أسراره لا للأمناء ومن طريقهم أن يختاروا لأنهم مع ما أختار الله لهم وأن لا يعرجوا على مباح لأنه تضييع للوقت ومن دخل هذه الطريق وهو ذو زوج فلا يطلق، أو أعزب فلا يتزوج حتى يكمل فأذا كُمل فهو فى ذلك على ما يلقى إليه ربه ومن شرط السالك أن لا يبيت على معلوم مع تحقيق الورع فى الأخذ ولا يأخذ السالك ليعطى أحدا فأنه حجاب وللكامل أن يأخذ ويمسك إن شاء ويعطى إن شاء فأنه مع ما يلقى الله إليه فى الحكم كصورة

التلميذ مع شيخه فكما لا يعترض على التلميذ فى الفعل الذى يأمره شيخه كذلك لا يعترض على الشيخ فيما يفعله فأنه عن الله أذا كان شيخاً حقيقة ومن شرطهم ترك الأعتراض إلا أن يكون المعترض أعلى فأنه حينئذ تأديب فأن كان دونه فعليه الصمت فأن أنكر فقد أبطل أصل عقد طريقه فأنهم أهل صدق لا ينطقون إلا بما يشاهدون وإذا زار المريد شيخاً فليفرغ قلبه من جميع ما عنده ليقبل ما يلقى الشيخ فلا يحصل أنكار فأن وقع مالا يقبله لام نفسه وقال هذا مقام لم أصل إليه ولا ينسب الشيخ إلى الخطأ ومن دخل على الشيخ ليختبره فهو جاهل ولا يطلب من الشيوخ الكلام على الخاطر إنما يطلب منهم معرفة دسائس النفوس وأدويتها والمكاشفات من أحوال المريدين لا أحوال العارفين وإذا شاهدوا عاصياً فى حال معصيته لا يعتقدون فيه الأصرار ويقولون لعله تاب فى سره أو لعله ممن لا تضره المعاصى لاعتناء البارى به فى عاقبة أمره ولا يعتقدون فى أحدسوأ إلا فيمن أطلعهم الله على عاقبة أمره لكنهم لا يعبرون أحداً وأهل هذه الطريق لا يرون أنفسهم خيراً من أحد ومن رأى نفسه خيراً من أحد غير أن يعرف مرتبته ومرتبة ذلك الآخر بالغاية لا بالوقت فهو جاهل بالله مخدوع لا خير فيه ولو أعطى من المعارف ما أعطى والازدراء بالعلم من جانب الحقيقة هو الازدراء بالله تعالى وهو نقيض الولاية ومن أوصافهم تطهير النفس من كل خلق دنىء وتحليتها بكل خلق سىء ويتحملون الاذى ولا يؤذون ويحملون كل الناس ولا يحملون كلهم على أحد ويعينون على أسباب البر ويغيثون الملهوف ويرشدون الضال ويعلمون الجاهل وينبهون الغافل ولا يتخذون حجاباً ولا حجاباً وكل من طلبهم وجدهم وكل من أرادهم وصل إليهم لا يستترون عن أحد ولا يمنعون سائلا يقرون الضيف ويؤنسون المستوحش ويؤمنون الخائف ويشبعون الجائع ويسقون العطشان ويكسون العارى ويعينون الخادم ولا يتركون فضيلة ولا يفعلون رذيلة ومن أوصافهم المجاهدات البدنية من الجوع والعطش والعرى ومقاسات الأربع الموت الأبيض وهو الجوع والموت الأحمر وهو مخالفة الهوى والموت الأسود وهو تحمل الأذى والموت الأخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض ومن أوصافهم ترك الكونين من قلوبهم والأيثار بما فى أيديهم على أخوانهم من خلق الله والأعتماد على الله فى جميع أمورهم والرضا بكل ما يجر عليهم مما

تكرهه النفوس والصبر على الآلام والأغتراب عن الأوطان وهجران الخلائق من غير اعتقاد سوء فيهم بل إيثارا للحق على الخلق وقطع العلائق، والعوائق والسعى فى قضاء حوائج الناس بعد الفراغ من نفوسهم ومن سعى فى ذلك قبل فراغه من نفسه فهو طالب لرئاسة وذكر جميل ومن أخلاقهم القناعة وهى وقوف النفس عند ما رزقت من غير أن تتشوف إلى زيادة وأن لا يحلقوا شعراً ولا يقصروه ولا يقصوا ظفراً ولا يتجردون عن ثوب يعطونه لأحد الأعلى طهارة لأنهم يقصدون أن يفارقهم شىء إلا وهم على طهارة تقول الملائكة تركناهم يصلون ومن أوصافهم الدعاء إلى الله وفاء بالعبودية والفقر والذلة والخشوع والتواضع لله تعالى لظهور الزسماء التى تقابل هذه الصفات فأنه لا يعرف سر هذه الزسماء الألهية إلا من اتصف بهذه الصفات التى تقابلها فأنها روح العبودية ومن أحوالهم النظر فى عيوبهم والأشتغال بنفوسهم والتعامى عن عيوب الناس ولا يعتقدون فى أحد الأخير أو يعودون ألسنتهم الخير ويغضون البصر عن فضول النظر والأسراع فى المشى والصمت إلا عن الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند من يخاف ويرجى من الملوك وسلامة الصدر لجميع الخلق والدعاء للمسلمين بظهر الغيب وخدمة الفقراء والشفقة والرحمة لجميع عباد الله من إنسان أو حيوان غير إنسان وذكر أنه كان ببنحاى وال وكان من أظلم الناس فركب يوماً فرأى كلباً أجرب وكان ذلك اليوم فيه برد شديد فقال لبعض رجال الدار أرفعوا ذلك الكلب فرفع إلى داره فتلطف به وأحس إليه فلما جاء الليل نودى فى منامه كنت كلبا فوهبناك لكلب ومن أحوالهم نشر محاسن الناس وستر عيوبهم إلا المبتدعة فيجب على كل أحد التعريف بحالهم ليأخذ الناس حذرهم منهم ومن أحوالهم النظر بعين التعظيم لا بعين الأزدراء ولا يرون أنفسهم أفضل من أحد ولا يرون لهم فضلاً على أحد ولا حقاً وإن كان للخق عليهم حقوقاً ولا يقرضون أحداً شيأ وأن طلب محتاج منهم شيأ أعطوه ولا يحدثون أنفسهم أنهم يأخذون منه شيأ وأن رد إليهم ساسوه فى إمساكه بلطافة فأن أبى أخذوه منه ودفعوه إلى محتاج إليه ولا يدخل لهم فى ملك ألبتة فإنهم لا يرجعون فيما خرجوا منه إذا سقط من أحد منهم شىء فى الطريق أما ثوب أو مال ولو كان ألف دينار أو يكونون قد مشوا عنه فأنهم لا يطلبونه ولا يرجعون لطلبه ولا ينشدونه فأن تغيرت

نفوسهم عند ذلك فهم أصحاب علة وللكون فى قلوبهم حظ فليسعوا فى زوال هذه العلة فأن رده إليهم راد من غير طلب فأن شاؤا أمسكوه وإن شاؤا أخرجوه ومن أوصافهم تقديم الفقراء على الأغنياء وأبناء الآخرة على أبناء الدنيا وليس من شرطهم أن لا يكون عندهم مال بل منهم من عنده مال ومنهم من ليس عنده شيء ومن أوصافهم التلذذ بالطاعات فى الخلوات والجلوات ومراعاة الأنفاس مع الله وحفظ الخاطر مع الله فى تلقى الواردات فى الأوقات والرضا عن الله فى جميع الحالات والحمد لله على كل حال ومن خرق عادة فى نفسه مما أستمرت عليها نفوس الخلق ونفسه فإن الله يخرق له عادة مثلها فى مقابلتها تسمى كرامة عند العامة وأما الخاصة فالكرامة عندهم العناية الألهية التى وهبتهم التوفيق والقوة حتى خرقوا عوائد أنفسهم.

القسم الثانى من الكتاب فى شرح الأذكار
(وفيه فصول وخاتمة هى من جملة الأصول)

فصل فى مباحث تتعلق بكلمة لا إله إلا الله (الأولى) قال النحاة لا إذا دخلت على نكرة تكون للنفى العام فإذا قلت لا رجل فى الدار نفيت القليل من الرجال والكثير ولهذا لا يصح أن يقول بعد ذلك بل رجل أو رجلان (البحث الثانى) زعم جماعة من النحاة أن كلمة لا إله إلا الله فيها حذف واضمار والتقدير لا إله لنا إلا الله أو لا إله فى الوجود إلا الله وفيه نظر لأنه إن كان التقدير لا إله لنا إلا الله لم يكن لا إله إلا الله مفيداً للتوحيد الحق إذ يحتمل أن يقال هب أنه لا إله لنا إا الله فلم قلتم أنه لا إله لجميع المحدثات والممكنات إلا الله تعالى والهكم إله واحد قال بعده لا إله إلا هو الرحمن الرحيم بقى لقائل أن يقول هب أن إلهنا واحد فلم قلتم أن إله الكل واحد فازاله بقوله لا إله إلا هو والإلكان تكريراً محضاً التقدير الثانى أى لا إله فى الوجود إلا الله ففيه نظر أيضاً لأنه لا موجب لهذا الأضمار ولو قدرناه لكان نفياً لوجود الاله ولو لم نقدره وأجرينا الكلام على ظاهره نفياً لماهية الاله، ومعلوم أن نفى الماهية أقوى فى إثبات التوحيد من نفى الوجود فإن قيل نفى الماهية غير معقول لأن قولك السواد ليس

بسواد حكم بأن السواد قد انقلب إلى نقيضه وصيرورة الشيء عين نقيضه محال أما إذا قلنا السواد غير موجود فهو معقول والجواب لا نسلم أن نفى الماهية غير معقول فأنك أذا قلت السواد ليس بموجود تكون قد نفيت الوجود لكن الوجود من حيث هو ماهية فأذا نفيت الماهية نفيت الماهية المسماة بالوجود فنفى الماهية معقول فيجوز إجراء كلمة لا إله إلا الله على ظاهرها فإذا قلت السواد ليس بموجود نفيت الماهية وما نفيت الوجود وإنما نفيت موصوفية الماهية بالوجود فموصوفية الماهية بالوجود هل هى أمر مغاير للماهية والوجود أم لا فأن كانت مغايرة لهما كانت تلك المغايرة ماهية فكان قولنا السواد ليس بموجود نفياً لتلك الماهية المسماة بالموصوفية وحينئذ يعود الكلام المذكور وأما أن قلنا أن موصوفية الماهية بالوجود ليس أمراً مغايراً للماهية والوجود أمتنع توجه النفى إليها وأذا أمتنع ذلك بقى النفى متوجهاً إما إلى الماهية وإما إلى الوجود وحينئذ يحصل غرضنا من أن الماهية يمكن نفيها فصح قولنا لا إله إلا الله من غير اضمار (البحث الثالث) قولنا الله من لا إله إلا الله ارتفع لأنه بدل من موضع لا مع أسمها لأنك أذا قلت ما جاءنى رجل إلا زيد فقولك إلا زيد مرفوع بالبدلية لأن إلا بدال هو الأعراض عن الزول والأخذ بالثانى فصار التقدير ما جاءنى إلا زيد وهذا معقول لأنه يفيد نفى المجيء عن الكل إلا عن زيد وقولك جاءنى القوم إلا زيد البدلية فيه غير ممكنة لأن التقدير حينئذ جاءنى إلا زيد فيقتضى أنه جاءه كل أحد إلا زيد وهو محال (البحث الرابع) أتفق النحاة على أن محل إلا فى هذه الكلمة محل غير فالتقدير لا إله غير الله قال الشاعر.

وكل أخ مفارقة أخوه * لعمر أبيك إلا الفرقدان

المعنى كل أخ غير الفرقدين فأنه يفارقه أخوه قال الله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله تقدير لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا لانالو حملنا الأعلى الأستثناء لم يكن لا إله إلا الله توحيداً محضاً لأنه يصيراً لتقدير لا أله يستثنى عنهم الله فيكون نفى الآلهة استثنى عنهم الله بل عند من يقول بدليل الخطاب يكون إثباتاً لذلك وهو

كفر فثبت أنه لو كانت كلمة إلا محمولة على الأستثناء لم يكن قولنا لا اله إلا الله توحيداً محضاً وأجمعت العقلاء على أنه يفيد التوحيد المحض فوجب حمل الأعلى معنى حتى يكون معنى الكلام لا إله غير الله (البحث الخامس) قال جماعة من الأصوليين الأستثناء من النفى لا يكون أثباتاً احتجوا بأن الأستثناء مأخوذ من قولك ثنيت الشىء عن جهته إذا صرفته عنها وإذا قلت لا عالم ففيه الحكم لهذا العدم ونفى هذا العدم ثم أذا قلت عقبه إلا زيد فهذا الأستثناء يحتمل أن يعود إلى الحكم بالعدم وعند زوال الحكم بالعدم يبقى المستثنى مسكوتاً عنه غير محكوم عليه لا بالنفى ولا بالأثبات فلا يلزم الثبوت أما أن كان تأثير الأستثناء فى صرف العدم ومنعه فيلزم تحقق الثبوت لأنه لما أرتفع العدم وجب حصول الوجود ضرورة إذ لا واسطة بين النقيضين إذا ثبت ذلك فعود الأستثناء إلى الحكم بالعدم أولى من عوده إلى نفس العدم لأن لألفاظ وضعت دالة على الأحكام الذهنية لا الموجودات الخارجية فصرف ذلك الأستثناء إلى الحكم بالعدم أولى من صرفه إلى نفس ذلك العدم وأيضاً عدم الشىء فى نفسه ووجوده لا يقبل تصرف هذا القائل بل القائل لتصرفه هو حكمه بذلك الوجود والعدم فعود الأستثناء إلى الحكم أولى من عوده إلى المحكوم به (الحجة الثانية) فى بيان أن الأستثناء من النفى ليس بأثبات وقد جاء فى الحديث والعرف صور كثيرة فى الأستثناء من النفى مع أنه لا يقتضى الثبوت كقوله صلى الله عليه وسلم «لانكاح إلا بولى وقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة إلا بطهور ويقال فى العرف لا عز إلا بالمال ولا مال إلا بالرجال والمراد من الكل الأشتراط وإن ورد فى صور أخر أن الأستثناء من النفى اثبات فنقول لأبد أن يكون مجازاً فى أحد القسمين إلا أنا نقول أذا لم يقتض أن يكون الخارج من النفى أثباتاً فحيث أفاد ذلك أحتمل أن يكون ذلك تركالمادل عليه اللفظ فأن قلنا يقتضى أن يكون الخارج من النفى أثباتاً فحيث لا يكون ذلك لزمنا ترك العمل بما يكون اللفظ دليلاً عليه ومعلوم أن الأول أولى لأن أثبات الأمر الزائد بدليل زائد ليس فيه مخالفة الدليل بل ترك ما دل الدليل عليه يكون مخالفاً للدليل بالأستثناء من النفى ليس بأثبات فقولنا لا إله إلا الله تصريح بنفى سائر الآلهة فلا يكون أعترافاً بوجود الله تعالى فلا يكون كافياً فى صحة الإيمان وأيضاً تقدم أن لا بمعنى غير فقولنا

لا إله إلا الله معناه لآ إله غير الله فيصير المعنى نفى اله يغاير الله تعالى فلا يلزم نفى ما يغاير الشىء أثبات هذا فيعود الأشكال (والجواب) أن أثبات الأله كان متفقاً عليه بين العقلاء قال تعالى «ولئن سألتم من خلقهم ليقولن الله» إلا أنهم كانوا يثبتون الشركاء والأنداد فكان المقصود بلا إله إلا الله نفى الشركاء والأنداد وأثبات الأله من لوازم العقول سلمنا أن لا إله إلا الله دلت على نفى سائر الألهة وعلى أثبات الهية الله تعالى إلا أنها بوضع الشرع لا بمفهوم أصل اللغة (البحث السادس) يجوز أن يقال لا رجل فى الدار ولا رجل إلا فى الدار أما الأول فأنه يوجب نفى الرجال بالكلية فأن لا دخلت على نكرة فافادت النفى العام فلا يصح أن تقول بعد ذلك بل رجلان فأنه نفى للماهية ونفى الماهية يقتضى نفى جميع أفرادها وأما قولنا لا رجل إلا فى الدار فهو نقيض لا رجل فى الدار لكن قوله لا رجل إلا فى الدار يعيب بثبوت رجل واحد فأذا قلنا لا رجل فى الدار وجب أن يفيد عموم النفى ليتحقق التناقض بين القولين فتبين أن لا رجل فى الدار أقوى فى الدلالة على عموم النفى من قولنا إلا رجل مع أن كل واحد منهما يفيد عموم النفى ولما كان البناء على الفتح أقوى فى الدلالة على العموم اتفقوا عليه فى قولنا لا إله إلا الله (البحث السابع) قيل تصور الأثبات مقدم على تصور النفى لامكان تصور الأثبات وإن لم يخطر معنى النفى والعدم على البال ويمتنع تصور العدم والنفى قبل تصور الأثبات لأن العدم غير معقول إلا بالأضافة إلى أمر معين وإذا كان تصور الأثبات مقدماً على تصور النفى فلم جعل النفى الذى هو الفرع مقدماً فالجواب أن فى تقديمه أمور الأول أن نفى الربوبية عن غيره تعالى ثم أثباتها له آكد من أثباتها له من غير نفيها عن غيره وقولنا ليس فى البلد عالم غير زيد أمدح من زيد عالم البلد الثانى أن لكل إنساناً قلباً واحداً والقلب الواحد لا يسع الأشتغال بشيئين فى وقت واحد فأذا أشتغل بأحد الشيئين يبقى محروما من الشىء الاخر بقدر اشتغاله بالآخر فينبغى لقائل لا اله إلا الله أن ينوى بلا إله اخراج ما سوى الله من قلبه فإذا صادف القلب خالياً مما سوى الله ثم حضر فيه سلطان الله أشرق نوره أشراقاً تاماً وكمل استيلاؤه عليه الثالث النفى جار مجرى الطهارة والأثبات جار مجرى الصلاة فكما أن الطهارة مقدمة على الصلاة فكذلك لا إله مقدم على إلا الله ويجرى مجرى تقدم

الأستعاذة على القرءاة وكما يقدم تطهير البيت عن الأقذار لنزول الملك فيه فكذلك ههنا ولهذا قال المحققون النصف الأول من هذه الكلمة تنطيق الأسرار والثانى حلول الأنوار عن حضرة الجبار والنصف الأول انفصال والثانى اتصال والنصف الأول إشارة إلى قوله ففروا إلى الله والثانى إلى قوله قل الله ثم ذرهم (البحث الثامن) لقائل أن يقول من عرف أن للعالم صانعاً قادراً عالماً موصوفاً بصفات الألوهية الثبوتية والسلبية عرف الله معرفة تامة وعلمه بعدم الأله الثانى لا يزيده علماً بحقيقة الأله وصفاته لأن عدم الأله الثانى ليس عبارة عن وجود الأله الأول ولا صفة من صفاته والعلم بذات الأله وصفاته لا يكفى فى تحقيق النجاة بل ما لم يعلم عدم الأله الثانى فلا يحصل العلم المعتبر فى النجاة فإن قلت لم كانت معرفة ذات الله تعالى وصفاته غير كافية فى تحقيق النجاة وكان العلم بعدم الأله الثانى معتبراً فى تحقيق النجاة فالجواب أن بتقدير أن يكون ألهان تعالى لا يعلم العبد أنه عبد هذا أو عبد ذاك أو هما معا فيحتمل أن يكون عابد الغير خالقه، أما إذا عرف أنه لا إله إلا الله فيكون جاز ما بكونه عابداً مولاه وخالقه فلا تحصل النجاة إلا بالتوحيد قلت وعندى أنه يستحيل عقلاً فرض وجود الهين لأن الأله من له صفات الجلال والجمال الثبوتية والسلبية ثم من سواه وهى فى سواه مكتسبه منه فلا يكون الأله واحداً وهو الله بدليل قوله تعالى «لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا»[٦٠] (البحث التاسع) فى قول هذه الكلمة على أحوال أدناها التلفظ بها فتحقن دم قائلها وتحرز ماله عليه السلام «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فأذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ويشترك فى ذلك المخلصون والمنافقون فكل من تعلق بهذه الكلمة نال من بركتها وأحرز خطأ من فوائدها فمن طلب بها الدنيا نال الأمن فيها والسلامة ومن طلب الآخرة فقد جمع بين الخطين وحاز السعادة فى الدارين وليس للأقرار باللسان سوى درجة واحدة، **الحال الثانى** أن يضم إلى القول الأعتقاد بالقلب على سبيل التقليد فالمقلد ليس بعالم ولا عارف بل اختلفوا هل يكون مسلماً أم لا وللأعتقاد بالقلب درجات بحسب قوة الأعتقاد وضعفه وكثرة الأعتقادات وقلتها **الحال الثالث** أن يضم إلى الأعتقاد بالقلب معرفة الدلائل الأقناعية المقوية له والخلق فيها متفاوتون تفاوتاً غير مضبوط **الحال الرابع**

أن يثبت اعتقاده بالبراهين القطعية إلا أنه ليس من أهل المشاهدات والمكاشفات والتجليات **الحال الخامس** أن يكون من أهل المشاهدات والمكاشفات والتجليات ونسبتهم إلى أصحاب البراهين القطعية كنسبة أصحاب البراهين إلى عوام الخلق وأعلم أن علوم المكاشفات لا نهاية لها ، لأنها عبارة عن سفر العقل فى مقامات الجلال والجمال والعظمة والكبرياء والقدس (تنبيه) من أنكشف له عن أسرار لا إله إلا الله أقبل على الله وأخلص فى عبادته لله ولم يلتفت إلى أحد سواه فلا يرجو ولا يخاف غيره ولا يرى الضر والنفع إلا منه وترك من سواه وتبرأ من شرك الباطن والظاهر.

فصل

فى أقامة الدليل على أنه واحد لا شريك له عقلاً ونقلاً أما عقلا فمن وجوه الأول وجود إلهين محال أذلو فرضنا وجودهما لكان كل واحد منهما قادراً على كل المقدورات، فلو فرضنا أن أحدهما أراد تحريك زيد والآخر تسكينه فأما أن يقع المراد أن وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لأن المانع من وجود مراد كل منهما حصول مراد الأخر ولا يمتنع وجود مراد هذا إلا عند وجود مراد الآخر وبالعكس فلو أمتنعا معا لوجدا معا وذلك محال لوجهين الأول أنه لما كان كل واحد منهما قادراً على ما لا نهاية له أمتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل يستويان فى القدرة فيستحيل أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من الآخر إذ يلزم ترجيح أحد المتساويين من غير مرجح وهو **محال الثانى** أنه أن وقع مراد أحدهما دون الاخر فالذى يحصل مراده اله قادر والذى لا يحصل مراده عاجز فلا يكون اله فلا يكون اله الخلق وإن قيل لا نسلم صحة المخالفة فى الأرادة لوجهين أحدهما أنه لابد أن يكون كل واحد منهما عالماً بجميع المعلومات فيكون كل واحد منهما عالماً بأن أحد الضدين يقع والآخر لا يقع وما علم الاله أنه لا يقع كان وقوعه ممتنعا وما كان ممتنع الوقوع فالعلم بإمتناعه لا يريده فكل واحد لا يريد إلا ايقاع شىء واحد **الوجه الثانى** أن كل واحد يجب أن يكون حكيماً فيكون عالماً بالأصلح وغير الأصلح فيتفقان فى إرادة الأصلح

فيمتنع وقوع المخالفة سلمنا صحة المخالفة لكنها جائزة غير واقعة فلا يلزم محال والجواب لو كان العلم بالأصلح موجباً لإرادته لزم أن يكون الأله موجباً لافعاله لا موجداً لها أختيارً والكلام فى الوحدانية فرع الكلام فى إثبات القادر المختار (الحجة الثانية) لو فرضنا الهين كان كل واحد قادراً على جميع المقدورات فيقضى إلى وقوع مقدورى قادرين مستقلين وهو محال فوجود الهين محال بيان الملازمة أنه إذا كان كل واحد منهما مقدور للآخر فأذا اتفقا على أيجاد مقدور لا يكون أتخاذه بقدرة أحدهما أولى من الآخر لأن كل واحد مستقل بالإيجاد ومريد له مرجح لواحد وأنما قلنا وقوع مقدورى قادرين مستقلين محال لأن ذلك الفعل مستغن بكل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجاً إليهما وغنياً عنهما وهو جمع بين النقيضين (الحجة الثالثة) أذا فرضنا ألهين فأما أن يصح الإختلاف عليهما فيفضى إلى عجز أحدهما أو لا يصح فيفضى إلى عجز أحدهما أيضاً فيكون كل واحد منهما عاجزاً عن اظهار مخالفة صاحبه فيعود الأمر إلى كون كل واحد منهما عاجزاً والعاجز لا يكون الها وأذا علمت ذلك أن جميع ما فى العالم العلوى والسفلى من المحادثات والمخلوقات دليل على وحدانية الله تعالى فأنه لو أراد أحدهما أن يكون صيفاً وأراد الآخران يكون شتاء أو أراد أحدهما أن يكون هذا صحيحاً وأراد الآخر أن يكون مريضاً يعود ما تقدم وقلت فى أبيات.

سماء وأرض وشم الجبال * كذالك البحار له شاهد
وعجز جميع الورى عن أقل * أقل ذباب له عابد
وفى كل شىء له آية * تدل على أنه واحد

(الحجة الرابعة) لو فرضنا موجودين واجبى الوجود لذاتيهما لزم أن يكون كل واحد مشار كاللآخر فى الوجود ومباينا له فى نفسه وما به المشاركة غير ما به المباينة وكل واحد مركب من الوجود الذى به يشاركه الآخر ومن التباين الذى به باين الاخر وكل مركب محتاج إلى كل جزء من أجزائه وأجزاؤه غيره وكل مركب محتاج وكل

محتاج ممكن بالقول بأن واجب الوجود أكثر من واحد محال (الحجة الخامسة) لو فرضنا الهين كل واحد منهما واجب الوجود لذاته فيمتاز كل واحد بمميز والألم يحصل التعدد فما به التمايز أما أن يكون صفة كمال أم لا فأن كان صفة كمال فالخالى عنها خال عن صفة كمال فيكون ناقصاً والناقص لا يكون الهاً وإن لم يكن صفة كمال فما لا يكون صفة كمال فهو صفة نقص والناقص لا يكون إلهاً (الحجة السادسة) ما به الأمتياز إما أن يكون معتبراً فى تحقيق إلهيته أولا فأن كان معتبراً كان الخالى عنها ليس باله وإن لم يكن معتبراً لم يكن الأتصاف به واجباً فيفتقر إلى المخصص والمفتقر محتاج ليس باله (الحجة السابعة) لو فرضنا إلهين لابد أن يتمكن العبد من التمييز بينهما وهو فى عقولنا بالتباين فى المكان أو الزمان أو الأمكان وذلك على الأله محال (الحجة الثامنة) لو فرضنا إلهين فأحدهما ما أن يكون كافياً فى تدبير العالم وتخليقه أم لا فأن كان كافياً كان الثانى غير محتاج إليه وهو نقص أو لا يكون كافياً فهو ناقص والناقص لا يكون إلها (الحجة التاسعة) العقل يحكم بأحتياج الفعل إلى فاعل وفاعل واحد كاف ونقول فيما زاد على الواحد ليس احتياجه إلى أثنين بأولى من ثلاثة ولا ثلاثة بأولى من أربعة وهلم جرا إلى ما لأنها له فالقول بالآلهين محال (الحجة العاشرة) أحد الآلهين أما أن يقدر على تمييز نفسه وتعيينه أولاً الأول محال لأن دليل أثبات الصانع ليس الأعلى حدوث المحدثات وإمكانها وليس فيه ما يدل على تعيين والثانى باطل لافضائه إلى العجز (الحجة الحادية عشر) أحد الألهين أما أن يقدر على ستر شىء من أفعاله فيلزم كون المستور عنه جاهلاً أو لا يقدر فيلزم كونه عاجزاً (الحجة الثانية عشر) مجموع قدرتهما أقوى من قدرة كل واحد فقدرة كل أحد متناهية هو عاجز (الحجة الثالثة عشر) العدد ناقص لاحتياجه إلى الواحد وأيضاً الواحد الذى يوجد من جنسه ونوعه ناقص لأن مجموع العدد أزيد منه الناقص ليس باله (الحجة الرابعة عشر) لو فرضنا إلهين وفرضنا معدوماً ممكن الوجود فأن لم يقدر أحدهما على إيجاده كانا عاجزين وأن قدر أحدهما فالعاجز ليس باله وإن قدرا جميعاً فأن أوجداه بالتعاون فكل واحد محتاج إلى الآخر فكل واحد عاجز وإن قدر كل واحد على إيجاده مستقلاً فإذا أوجده أحدهما فأما أن يبقى الثانى قادراً عليه وهو محال لأن أيجاد الموجود محال وأن

لم يبق فيكون الأول قد أزال قدرته وعجزه فهو مقهور فليس باله فإن قيل فالواحد أذا وجد مقدور زالت قدرته فيلزم أن يكون هذا الواحد جعل نفسه عاجزاً قلنا إذا وجد مقدوره بعدت قدرته وبعاد القدرة ليس بعجز وأما الشريك فما نفذت قدرته بل زالت بسبب قدرة الأول فيكون ذلك تعجيزاً (الحجة الخامسة عشر) أنا نقول لو قدرنا الهين فأما أن يكون كل واحد قادراً على أيجاد الحركة فى هذا الجسم المعين بدلا عن السكون وبالعكس أم لا فإن لم يقدر فهو عاجز وإن قدر فإذا خلق فيه الحركة امتنع على الثانى خلق السكون فيه فهو عاجز فليس باله (الحجة السادسة عشر) لو قدرنا الهين كانا عالمين بجميع المعلومات فعلم كل واحد منهما متعلق بعين معلوم الآخر فوجب تماثل والقابل لأحد المثلين قابل للآخر واختصاص الذوات بهذا العلم مع جواز اتصافهما بذلك العلم بدلا عن هذا أمر جائز فيستدعى مخصصا لكل واحد منهما بعلمه وقدرته فكل واحد ناقص مفتقر لا إله وهو محال (الحجة السابعة عشر) أن الشركة فى الملك عيب فى الشاهد والفردانية والتوحيد والإستقلال بالملك صفة كمال والملوك يكرهون الشركة فى هذا الملك الحقير وكلما كانت المملكة أعظم كانت النفرة عن الشركة أشد فما ظنك بملك الله تعالى وملكوته فإذا قدر أحدهما على استخلاص الملك لنفسه كان الآخر عاجزاً (الحجة الثامنة عشر) لو قدرنا الهين تعالى الله لكان أما أن يكون كل واحد محتاجاً إلى الآخر أو مستغنياً أو أحدهما محتاج والاخر مستغن فأن كان الأول كانا محتاجين وإن كان الثانى كان كل واحد مستغنى عنه فكان ناقصاً ألا ترى أن البلد أذا كان له رئيس والناس يفعلون مصالح تلك البلد من غير مراجعة ولا التفات إلى الرئيس كان فى غاية الذلة والمهانة والاله الذى يستغنى به لا يستغنى عنه وأن أحتاج أحدهما إلى الآخر من غير عكس كان المحتاج ناقصاً والمستغنى هو الاله وهذه الوجوه منها قطعى ومنها أقناعى أما الدلائل السمعية فالأول قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله إلا هو وقوله قل هو الله أحد وقوله وقال الله لا تتخذوا الهين أثنين أنما هو اله واحد الثانى قوله تعالى هو الأول والآخر الأول هو الفرد السابق حتى لوقال قائل أول عبد أشتريته حر فأشترى أو لا عبدين لا يعتق أحد منهما لأن الأول يجب أن يكون فرداً ولو أشترى بعد ذلك واحدا لم يعتق أيضاً لأن الأول يجب أن يكون سابقاً فلما وصف الله تعالى

نفسه بأنه أول لزم أن يكون فرداً سابقاً فاقتضى أن لا يكون له شريك الثالث قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ولو كان له شريك لعلمها والنص يقضى أن لا يعلمها سواه الرابع كلمة لا إله إلا الله ذكرت فى سبع وثلاثين موضعاً الخامس قوله تعالى «كل شىء هالك إلا وجهه»[٦١] حكم بأن ما سوأه هالك وما جاز عدمه فعند وجوده لا يكون قديماً فأثبت قدمه امتنع عدمه وغير القديم باله السادس وأن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو الذين أثبتوا شريكاً مع الله أما علوى وأما سفلى والعلوى الكوكب والشمس والقمر وأبطله الله بدليل الخليل وهو قوله لا أحب الآفلين ومن زعم الشريك النور أو الظلمة أبطله الله بقوله وجعل الظلمات والنور ومن قال يزدان واهرمز أبطله الله بقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وبقوله إذا لا تبغوا إلى ذى العرش سبيلاً وبقوله ولعلا بعضهم على بعض والشريك السفلى قيل المسيح وأبطله الله بقوله لن يستنكف المسيح أن يكون عبدالله وقيل الوثن وأبطله الله بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق الاية السابع ذكر الله سبحانه على صحة التوحيد ثلاثة أدلة لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقوله ولعلا بعضهم على بعض وقوله إذا لا تبغوا إلى ذى العرش سبيلاً الآية فسبحان الله رب العرش وذلك تنبيه على أن الأشتغال بالتسبيح إنما ينفع بعد إقامة الدليل على كونه منزها وقال سبحان الله رب العرش عما يصفون ولم يقل فسبحان الله عما يصفون تنبيه على أنه كيف يجوز للعاقل أن يجعل الجماد الذى لا يحيى ولا يعقل شريكاً فى الألهية لخالق العرش العظيم وموجد السموات والأرض (خاتمة) الإيمان مركب من حصول المعرفة فى القلب وهو الأصل قال تعاليفأعلم أنه لا إله إلا الله ومن الأقرار باللسان والتوحيد قال تعالى «قل هو الله أحد»[٦٢] فأن قل أمر للمكلف بأن يقول بلسانه ما يدل على التوحيد ريؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أمرن أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله واشترط النطق باللسان لأن الإيمان له أحكام تتعلق بالباطن وهى أحكام الآخرة وهو متفرع على العلم الذى هو باطن عن الخلق وله أحكام تتعلق بالظاهر وهى أحكام الدنيا ولا يمكن إقامتها إلا بعد معرفة إسلام المكلف ولا نعرفه إلا بالقول فالمعرفة ركن أصلى فى حق الله تعالى والقول ركن

شرعى فى حق الخلق وإليه الإشارة بقوله «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن»(٦٣) قال عليه السلام من قال «لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة»(٦٤) وقال الدقاق من قالها مخلصاً فى مقالته دخل الجنة فى حالته قال تعالى «ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة فى الوقت وهى جنة المعرفة وجنة فى العقبى وهى جنة الآخرة»(٦٥)

فصل

يروى عن محمد الحكيم الترمذى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من نفس تموت فتشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله يرجع ذلك إلى قلب مؤمن إلا غفر الله له»(٦٦) قال الشيخ لأن هذه شهادة تشهد بها عند الموت وقد ماتت منها الشهوات ولأنت نفسه المتمردة وذهب حرصه وألقى نفسه بين يدى قدرة رب العالمين واستوى منه الظاهر والباطن ولقى الله مخلصاً بتلك الشهادة فغفر له بتلك الشهادة الصادقة التي وافق ظاهرها باطنها أما الذى يقول وهو صحيح فذلك قول مع التخليط لأنه يشهد هذه الشهادة وقلبه مشحون بالشهوات ونفسه أشرة بطرة فهذا هو التفاوت بين ذكر الشهادة حالة الصحة وذكرها فى آخر زمن الحياة إنتهى وتممه الإمام فخر الدين فقال إن الإنسان قلبه مفتون بدنياه مأسور فى يد الشهوات سكران عن الآخرة حيران عن الله تعالى لم يحصل فيه اليقين ألبتة لأن قلبه مملوء بالميل إلى غير الله تعالى فلا يحصل فيه الميل إلى الله تعالى أما إذا حصل فى القلب اليقين بالله تعالى كان الأمر بخلاف ذلك لأن اليقين سمى يقيناً لاستقراره فى القلب وهو النور يقال تقين الماء فى الحفرة إذا استقر فيها فإذا استقر النور دام وإذا دام صارت النفس صاحبة بصيرة فاطمأن القلب بجلال الله ثم انقطع عن غير الله فوقف عاجزاً فاستغاث بالله صارخا مضطراً فأجابه الذى يجيب دعوة المضطر إذا دعاه فيستقر ذلك النور المتلألى فى القلب فيتعلق به ظلمات الأشغال بغير الله فيصير أمر الملكوت مشاهدا له وهو قول حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نور الله الإيمان فى قلبه وقد جاء فى الأخبار

أن إدريس عليه السلام وموسى ومحمداً صلوات الله عليهم كل واحد منهم فى زمانه مواظباً على هذا الدعاء يا نور كل شىء أنت الذى فلق الظلمات نوره ومما يحقق ذلك قوله عليه السلام من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير مخلصاً بها روحه مصدقا بها قلبه ولسانه فتقت السموات فتقا حتى ينظر الرب إلى قائلها من أهل الدنيا عن زيد بن أرقم(٦٧) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله إلا الله مخلصاً دخل الجنة قيل يا رسول الله وما اخلاصها قال أن تحجزه عن المحارم وقال عليه السلام أخلص يكفك القليل وعن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عهد إلى أن لا يأتينى أحد من أمتى بلا إله إلا الله لا يلحظ بها شيئاً إلا وجبت له الجنه قالوا يا رسول الله وما الذى يلحظ بها قال حرصاً على الدنيا وجمعا لها ومنعها يقول بقول الأنبياء ويعمل عمل الجبابرة والحاصل أنه لابد من اليقين عند التلكم بهذه الكلمة حتى تكون نافعة ولا يحصل اليقين بها إلا بموت الشهوات ولا يحصل موت الشهوات إلا بأحد طريقين أحدهما أن يروض نفسه حتى تموت شهواته حال حياته والثانى أنه أن ماتت شهواته عند وفاته وعظم رجاؤه وخوفه من ربه وانقطع نظره بالكلية أضطراراً فأذا نطق بهذه الكلمة فى تلك الحالة استوجب المغفرة فلهذا السبب استحب السلف أن يلقنوا المحتضر هذه الكلمة وقال عليه السلام لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فالإنسان عند القرب من الموت فنيت شهوته فحصل له نور اليقين فصارت هذه الكلمة مقبولة منه وأما الأول وهو الذى يروض نفسه قد فتح الله له روزنة إلى الغيب فركبته أحوال سلطان الجلال فنطق بها من القلب الصافى فهو بالمغفرة أولى إنتهى.

فصل

هذه الكلمة لما كانت أفضل الذكر فزع إليها الولى والعدو وعند المحنة ففرعون لما قرب من الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى أمنت به بنوا اسرائيل أى لا إله يقدر على أن يجعل النار راحة كما فى حق الخليل والماء عذابا كما فى حقه إلا الذى أمنت به بنوا

اسرائيل ويونس عليه السلام قال الله تعالى «فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت»(٦٨) أى فأنك أنت الذى تقدر على حفظ الإنسان حيا فى بطن الحوت ولا قدر لغيرك على ذلك فقبل نداء يونس ولم يقبل نداء فرعون لأن يونس عليه السلام سبقت له المعرفة وقال تعالى «ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم»(٦٩) وقال تعالى «فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون»(٧٠) وفى هذا تنبيه على أن من حفظ الله فى الخلوات حفظه فى الخلوات ويونس عليه السلام أنما ذكر هذه الكلمة مع الحضور والشهود والإنكسار فقال لا إله إلا أنت وفرعون قالها فى الغيبة فقال لا إله إلا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وفرعون سبق له الكفر وما ذكرها عبودية بل لطلب الخلاص من الغرق لقوله تعالى «فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا اسرائيل»(٧١) والله تعالى أمرك بطاعات كثيرة ويستحيل أن يوافقك فى شىء منها وأمرك بلا إله إلا الله ووافقك فيها فقال شهد الله أنه لا اله إلا هو الآية والإشارة بتكرير هذه الكلمة فى الآية الإشارة إلى تكريرها طول عمرك ويروى أن يوسف عليه السلام أراد أن يتخذ وزيرا فجاءه جبريل عليه السلام قال أن الله يأمرك أن تتخذ فلانا وزيراً لك فنظر يوسف إليه وكان الرجل فى غاية الدمامة فسأل جبريل عن السبب فقال أن له عليك حق الشهادة أنه هو الذى شهد إن كان قميصه قد من قبل الآية والإشارة فى ذلك أن من شهد لمخلوق وجد وزارته فى الدنيا فمن شهد لله بالتوحيد فى الحال كيف لا يجد رحمته فى العقبى. وفى الحديث أن لله ملائكته يؤمنون عند تأمين الإمام فمن وافق تأمينة الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه فمن وافق تأمينة تأمين الملائكة مرة صار مغفورا له فمن وافقت شهادته وحدانية الله تعالى وشهد لله ألف مرة أولى بأن يصير مغفورا له. حكى عن الحجاج أنه أمر بقتل رجل فقال لا تقتلنى حتى تأخذ بيدى وتمشى معى فأجابه فقال الرجل بحرمة صحبتى معك فى هذه الساعة لا تقتلنى فعفى عنه وقد وقعت للمؤمن صحبة مع الله تعالى فى شهادة أن لا إله إلا الله فيرجى له المغفرة وكلمة لا إله إلا الله تصعد إلى الله بنفسها وغيرها من الطاعات يصعد به الملك قال تعالى إليه «يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح»(٧٢) يرفعه قال بعضهم أى العمل الصالح ترفعه الملائكة وجميع الطاعات تزول يوم القيامة وطاعات التهليل

والتحميد لا يزول قال تعالى حكاية عن أهل الجنة وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وروى فى الآثار أنه من قال لا إله إلا الله فأنه تعالى يعطيه من الثواب بعدد كل كافر وكافرة يثبت الله ضداً أو ندا أو شركاء فلا جرم يستحق الثواب بعددهم قيل أذا كان آخر الزمان فليس لشىء من الطاعات فضل كفضل لا إله إلا الله لأن صلاتهم وصيامهم يشو بها الرياء والسمعة وصدقاتهم يوبها الحرام ولا إله إلا الله ذكروا المؤمن لايذكر الله إلا عن صميم قلبه.

فصل

فى فضل لا إله إلا الله روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال ليس على أهل لا إله إلا الله وخشعة فى الموت ولا عند النشر وكأنى أنظر إلى أهل لا اله إلا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ويروى أن المأمون لما أنصرف من مرو يريد العراق وأختاز بنسيابور وكان على مقدميه على بن موسى الرضى فقام إليه قوم من المشايخ قالوا نسألك بحق قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحدثنا بحديث ينفعنا فروى عن أبيه عن آبائه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا إله إلا الله حصنى من دخل حنى أمن من عذابى وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يفتح الله أبواب الجنة وينادى مناد من تحت العرش أيتها الجنة وكل ما فيك من النعيم لم أنت فتنادى الجنة وما فيها نحن لأهل لا إله إلا الله ونشتاق إلى أهل لا إله إلا الله ولا غلبنا إلا أهل لا إله إلا الله ونحن محرمون على من لم يقل لا إله إلا الله ولم يؤمن بلا إله إلا الله وعنه هذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب لا يدخلى إلا من أنكر لا إله إلا الله ولا أطلب إلا من كذب بلا إله إلا الله وأنا حرام على من قال لا إله إلا الله ولا أمتلىء إلا ممن جحد لا إله إلا الله وليس غيظى الأعلى من أنكر لا إله إلا الله قال فتجىء مغفرة الله ورحمته ويقولان

أنا لأهل لا إله إلا الله وناصران لمن قال لا إله إلا الله ومحبان لمن قال لا إله إلا الله ومتفضلان على من قال لا إله إلا الله ويقول الله أبحت الجنة لمن قال لا إله إلا الله وحرمت النار على من قال لا إله إلا الله وأغفر كل ذنب لمن قال لا إله إلا الله فلا أحجب رحمة وولا مغفرة عمن قال لا إله إلا الله وما خلقت الجنة إلا لأهل لا إله إلا الله ولا تخالطوا أهل لا إله إلا الله إلا بما يوافق لا إله إلا الله وقال عليه السلام أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله.

فصل

ذكر العارفون فى تفسير لا إله إلا الله وجوهاً أحدها قال ابن عباس لا إله إلا الله لا نافع ولا ضار ولا معز ولا مذل ولا معطى ولا مانع إلا الله ثانيها لا إله إلا الله من يرجى فضله ويخاف عذابه ويؤمن جوره ويؤكل رزقه وينزل أمره ويسئل عفوه ولا يرتكب نهيه ولا يحرم فضله إلا الله وأيضاً قول لا إله إلا الله إشارة إلى المعرفة والتوحيد بلسان الحمد والتشهيد إلى المجيد، وإذا قال العبد لا إله إلا الله فمعناه لا إله له الآلاء والنعماء والقدرة والبقاء والعظمة والسناء والعز والثناء والسخط والرضى إلا الله الذى هو رب العالمين وخالق الأولين والآخرين وديان يوم الدين وأيضا لا أله للرغبة ولا اله للرهبة إلا الله كاشف الكربة وقيل كلمة لا إله إلا الله أثنا عشر حرفاً فلا جرم وجب بها أثنتا عشرة فريضة ستة ظاهرة وستة باطنة أما الظاهرة فالطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وأما الباطنة فالتوكل والتفويض والصبر والرضى والزهد والتوبة قال بعضهم الحكمة فى سؤال الملكين أن الملائكة طعنت فى بنى آدم بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها الآية فقال تعالى أنى أعلم مالا تعلمون وأذا مات المؤمن بعث الله إلى قبره ملكين يقولان له من ربك وما دينك فيقول ربى الله ودينى الإسلام فيأمرهم الله تعالى ويقول اشهدا بما سمعتما لأن أقل الشهود أثنان ثم يقول الله تعالى لملائمته أنظروا إلى عبدى قد أخذت روحه وماله وزوجته فما له أخذوه وزوجته فى حجر

غيره وضيعته فى يد غيره ثم أن الملائكة سألوه فى بطن الأرض فلم يذكر عن شىء إلا عن توحيدى وتنزيهى ليعلموا أنى أعلم مالا تعملون وأيضاً فى هذا السؤال أن الله تعالى قال فى الإبتدأ ألست بربكم قالوا بلى فشهد الله عليهم فلما جاؤا إلى الدنيا شهدوا بالتوحيد وشهد عليهم الأنبياء والمؤمنون بذلك فأذا مات وأدخل القبر سأله الملكان على هذه الشهادة فيشهد بها فى قبره فيسمع تلك الشهادة فإذا جاء يوم القيامة جاءا بليس وأراد أن يأخذه ويقول هذا من شيعتى لأنه تبعنى فى المعاصى فيقول الله تعالى لا سلطان لك عليه لأنى سمعت منه التوحيد فى الإبتداء والإنتهاء والرسل سمعوا منه ذلك فى الوسط والملائكة سمعوا منه ذلك فى الإنتهاء فكيف يكون من شيعتك وكيف يكون لك عليه سلطان أذهبوا به إلى الجنة.

فصل

فى أسماء لا إله إلا الله (الأول كلمة التوحيد لأنها) تدل على نفى الشرك على الأطلاق ومعنى على الأطلاق أنه تعالى قال والهكم اله واحد فربما خطر ببال أحد أن يقول هب أن الهنا واحد لكن يمكن أن يكون لغيرنا أله معاند لا لهنا فأزال الله هذا التوهم بقوله لا إله إلا هو لأن قولنا لا رجل فى الدار يقتضى نفى الماهية ومتى انتفت الماهية انتفى جميع أفرادها أذلو حصل فرد من أفراد تلك الماهية تحصلت تلك الماهية لأن كل فرد من أفراد الماهية مشتمل على تلك الماهية وإذا وجت الماهية فذلك يناقض نفى الماهية فيثبت أن قولنا إلا رجل فى الدار يقبل النفى العام الشامل وأذا قيل بعد ذلك إلا زيد أفاد التوحيد الكامل ولهذه الكلمة ثمرتان الأولى أن جوهر الأنسان خلق فى الأصل مشرفاً مكرماً قال الله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم وإذا كان الأصل فيه مكرماً كان كونه مطهراً على وفق الأصل وكونه متنجا على خلاف الأصل ثم أنا إذا رأينا الإنسان متى أشرك صار نجسا لقوله تعالى «إنما المشركون نجس»[٧٣] فالنجاسة على خلاف الأصل وكونه موحداً يقتضى الطهارة أولاً لأنه على وفق الأصل فالموحد من خواص الله لقوله تعالى «الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات» الثمرة الثانية أن

الشرك سبب الخراب العالم فالتوحيد سبب لعمارة العالم لأن الضدين مختلفان فى الحكم وإذا كانت كلمة التوحيد سبب عمارة العالم فأولى أن يكون سبب العمارة القلب الذى هو محل الواحدانية ولعمارة اللسان الذى هو محل ذكر الوحدانية وذلك يناسب عفو الله عن أهل التوحيد (الأسم الثانى كلمة الإخلاص) سميت بذلك لأن الأصل فيها عمل القلب وهو كون الإنسان عارفاً بقلبه وحدانية الله تعالى وهذه المعرفة الحاصلة فى القلب يستحيل أن يأتى بها الإنسان لغرض آخر سوى طاعة الله وحبه وعبوديته فهذه المعرفة طلبت لوجه الله لا لغرض آخر ألبتة بخلاف سائر الطاعات البدنية فأنها كما يؤتى بها لتعظيم الله تعالى فقد يؤتى بها لسائر الأغراض العاجلة من الرياء والمدح والثناء فلذلك سميت كلمة الإخلاص (القسم الثالث كلمة الإحسان) قال تعالى «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان»[٧٤] أى هل جزاء الإيمان وأعلم يا هذا إن عليك عهد العبودية وعلى كرمه عهد الربوبية كما قال تعالى وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وعهد عبوديتك أن تكون عبداله لا لغيره وأن تعرف أن كل ما سوى الله هو عبدالله كما قال تعالى أن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا وقول لا إله إلا الله يدل على اعترافه بأن كل ما سواه هو عبده فثبت أن قول لا إله إلا الله إحسان من العبد فقوله له هل جزاء الإحسان إلا الإحسان أى هل جزاء من أتى بقول لا إله إلا الله إلا أن أجعله فى حماية لا إله إلا الله وقال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزياده والمراد من قوله أحسنوا هو قول لا إله إلا الله بأتفاق أئمة التفسير لأنه لوقال ذلك ومات دخل الجنة وقال تعالى «ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله اتفقوا»[٧٥] أنها نزلت فى فضيلة الأذان لاشتماله على لا إله إلا الله وقال تعالى «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأحسن القول لا إله إلا الله وقال تعالى «أن الله يأمر بالعدل والإحسان»[٧٦] قيل العدل الأعراض عما سوى الله والإحسان الأقبال على الله. وقال تعالى «أن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم»[٧٧] الإحسان قول لاإله إلا الله. وروى عن أبى موسى الأشعرى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين أحسنوا الحسنى أى الذين قالوا لا إله إلا الله الحسنى هى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الكريم وكلما كان الفعل أشد حسنا كان فاعله أشد إحساناً وأحسن الأذكار لا إله إلا الله وأحسن المعارف معرفة

لا إله إلا الله فتكون هذه المعرفة وهذا الذكر إحساناً (الأسم الرابع دعوة الحق) قال تعالى فى سورة الرعد له دعوة الحق وهو يفيد الحصر أى له هذه الدعوة لا لغيره كقوله تعالى «لكم دينكم ولى دين» أى لكم دينكم لا لغيركم وجه أفادته الحصر أن الحق نقيض الباطل والحق هو الموجود والباطل هو المعدوم، ولما كان الحق سبحانه حقاً فى ذاته لذاته ولصفاته وكان ممتنع التغير فى حقيقته كانت معرفته ، المعرفة وذكره هو الذكر الحق والدعوة إليه هى الدعوة الحقة وأما ما سواه فهو ممكن لذاته فلا تكون معرفته واجبة التحقيق ولا ذكره ولا الدعوة إليه ودعوة الحق تارة تكون من الحق للحق إلى الحق وتارة تكون من الخلق للخلق إلى الخلق أما أن دعوة الحق تكون من الحق فلانه هو الذى دعا القلوب إلى حضرته فلولا دعوته إلى تلك الحضرة وتوفيقه فى ذلك الوصول وإلا فمن أين يمكن للعقل البشرى الوصول إلى جلال حضرة الله تعالى وأيضاً فمبادى الحركات وأوائل المحدثات تنتهى إلى قدرة الله تعالى وقضائه قال الله تعالى «لله الأمر من قبل ومن بعد» وأما أن تلك دعوة الحق فقال الله تعالى «لمن الملك اليوم» وأما الإنتهاء إلى الحق فقال الله تعالى «وأن إلى ربك المنتهى» وأما أن دعوة الحق تارة تكون من الخلق فقال ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال تعالى «أننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان»(٧٨) (الأسم الخامس كلمة العدل) قال تعالى «أن الله يأمر بالعدل والإحسان وفى الحديث أن جبريل عليه السلام قال يا محمد أن الله يأمر بالعدل والإحسان» وقال ابن عباس العدل شهادة أن لا إله إلا الله والإحسان القيام بالعبودية، وقيـل العدل شهادة أن لا إله إلا الله والإحسان الإخلاص فيه وقيل العدل مع الناس والإحسان مع نفسك بالطاعة قال تعالى «أن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم» وقيل يأمر بالعدل مع الأعضاء وبالإحسان مع القلب بأن يربيه بعد التوحيد وشراب المحبة وقيل بالعدل رؤية الأفتقار إلى الحق والإحسان مشاهدة إحسان الخالق على كل شىء فى الخلق وسبب تسميه هذه الكلمة بكلمة العدل وجوه الأول أن العدل فى كل شىء تحصيل سبب أعتداله وكمال حاله وكما حال القوى الحساسة فى إدراك المحسوسات وكمال حال القوى النفسانية فى طلب الأشياء النافعة الجسمانية وكمال حال القوة العصبية فى دفع الأشياء المنافية للجثمانية وأما القوة العقلية فكمال حالتها وغاية سعادتها أن ترسم

فيها صور الحقائق واشباه المعقولات كما هى حتى تصير القوة العقلية كالمرآة التى تجلت فيها صور الوجوه بنمامها وأشرف المعقولات وإعلاها معرفة جلال وقدسه وعظمته وعزته فكان غاية العدل والأعتدال للأرواح البشرية والقوى العقلية وكونها مقبلة على هذه الحال مستغرقة فيها السبب الثانى أن معرفة الله متوسطة بين الأفراط الذى هو التشبيه والتفريط الذى هو التعطيل فمن بالغ فى الأثبات وقع فى التشبيه ومن بالغ فى النفى وقع فى التعطيل فالحق الأعتدال بين الطرفين السبب الثالث من ترك النظر والأستدلال فى معرفة الله تعالى وعدل إلى ما ألفه من الحس والخيال وقع فى الضلال وأما من توغل فى البحث وأراد الوصول إلى كنه العظمة وتردد بل عمى فأن نور جلال الالهية يعمى أحداق العقول البشرية فصار هذان الطرفان مذمومين فأولاً البحث فى الأعتدال وترك التعمق فعنه عليه السلام أنه قال تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فأمر تعالى بالعدل فى التوحيد وقال «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم أظهر العجز عن الضعف وأقدر على الشريف ليعلم أن الكل منه»(٧٩) (الأسم السادس الطيب من القول) قال تعالى «وهدوا إلى الطيب منن القول» أى إلى لا إله إلا الله والألف واللام للاستغراق كأنه قال لا لذيذ ولا طيب إلا هذا لأن طيب غيره بالنسبة إلى كلاً طيب وأى كلمة أطيب وأظهر من كلمة التوحيد والكفر سبب للنجاسة سبعين سنة ونزول النجاسة بذكر هذه الكلمة مرة واحدة وذلك أن الطيب هو اللذيذ واللذيذ إدراك الملائم والملائم للقوى الحساسة المحسوسات والملائم للقوة العقلية إدراك جلال الله تعالى وقدسية وإدراك القوة الحساسة أما مدرك القوى الحساسة فهى الأعراض القائمة بالإجسام الكائنة الفاسدة ومدرك القوة العقلية هو ذات الله تعالى وعظمته وكلما كان الإدراك أقوى والمدرك أشرف كانت اللذة الحاصلة بسبب ذلك الإدراك أشرف وأعلى فعلى هذا نسبة اللذة العقلية للحسية فى الشرف والقوة كنسبة الإدراك العقلى إلى الإدراك الحسى كنسبة ذات الله تعالى فى صفاته فى الشرف والتعالى عن الأعراض القائمة والأجسام وكما أنه لا نهاية للنسبة الحاصلة بين هذين الإدراكين وبين هذين المدركين فكذلك لا نهاية للنسبة الحاصلة بين اللذات العقلية الحاصلة من إدراك جلال الله

ومن اللذات الحاصلة بسبب إدراك الطعوم والروائح وسائر الحواس فتبين أن الطيب المطلق معرفة لا إله إلا الله وذكر لا إله إلا الله والأستغراق فى نور جلال لا إله إا الله (الأسم السابع الكلمة الطيبة) قال الله تعالى ومثل كلمة طيبة الآية سميت بذلك لأنها ظاهرة عن التشبيه والتعطيل لكنها طريقة متوسطة بينهما مباينة لكل واحد منهما كما أن اللبن خارج من بين فرث ودم وهو مبرأ عن كل واحد منهما وقال المفسرون الشجرة الطيبة النخلة وشبهت بكلمة التوحيد لأنها تثبت فى بعض البلاد دون بعض وكلمة التوحيد تجرى على لسان بعض الناس دون بعض ومعرفة التوحيد تحصيل فى قلب دون قلب ولأن النخلة أطول الأشجار وكلمة التوحيد أعلى الكلمات ولأن النخلة ثابتة فى الأرض وفروعها فى السماء والكلمة الطيبة أصلها ثابت فى القلب وهو المعرفة وفرعها ثابت فى السماء إليه يصعد الكلم الطيب (الأسم الثانى الكلمة الثابتة) قال تعالى «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة»[٨٠] سميت بذلك لأن المذكور والمعلوم ثابت واجب الثبوت لذاته ممتنع العدم لذاته فالقول كذلك (الأسم التاسع كلمة التقوى) قال الله تعالى «وألزمهم كلمة التقوى»[٨١] وسميت بذلك لأن قائلها أتقى الكفر ولأنها واقية لبدنك من السيف ولمالك من أن يغم ولاولادك عن الأسر فأن انضاف إلى القلب اللسان صارت واقية لقلبك من الكفروان وفقت صارت واقية لجوارحك من المعاصى (الأسم العاشر الكلمة الباقية) قال كثير من المفسرين فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبة أنها قول لا إله إلا الله لقوله قبل ذلك أننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى فأنه سيهدين ومعنى أننى برآء مما تعبدون نفى الألهية عن الأشياء التى كانوا يعبدونها ثم قال إلا الذى فطرنى فكان فيه أثبات الألهية للذى فطره ومجموع ذلك لا إله إلا الله (الأسم الحادى عشر الأستقامة) قال الله تعالى «إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا هو قول لا إله إلا الله»[٨٢] وقولهم ربنا الله اقرار بوجود الرب تعالى ثم من المفترين من أثبت له ندا وشريكا تعالى الله ومنهم من نفى ذلك وهم الذين استقاموا على الصراط المستقيم والأستقامة فى القيامة بقدر الأستقامة فى نفى الشركاء (الأسم الثانى عشر كلمة العليا) قال تعالى «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا»[٨٣]

وذلك أن القلب إذا تجلى فيه نور هذه الكلمة استعقب حصول القوة بالله ولهذا صار العارفون المستغرقون فى نور جلال الله يستحقون الأحوال الدنيوية وعظماء الملوك ولا يبالون بالقتل ولا يقيمون لطيبات الدنيا وزينتها وزنا ألبته ألا ترى إلى سحرة فرعون لما تجلى لهم نور هذه الكلمة كيف لم يلتقون إلى قطع الأيدى والأرجل وإلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما استغرق فى هذا النور لم يلتفت إلى الملكوت كما قال تعالى «مازاغ البصر وما طغى»[٨٤] وهى مستعلية فى الدنيا على سائر الأديان قال تعالى «ليظهره على الدين كله»[٨٥] ومستعلية على جميع الذنوب فأنها مزيلة جميع الذنوب ولا يزيلها ذنب (الأسم الثالث عشر المثل الأعلى) قال قتاده[٨٦] فى قوله تعالى ولله المثل الأعلى معناه قول لا إله إلا الله ومعنى المثل هنا الصفة كذا قال أهل اللغة ونظيره قوله تعالى «مثل الجنة التى وعد المتقون» أى صفتها (الأسم الرابع عشر العهد) قال ابن عباس فى قوله تعالى «لا يملكون الشفاعة إلا من أتخذ عند الرحمن عهداً العهد»[٨٧] قول لا إله إلا الله (الأسم الخامس عشر مقاليد السموات والأرض) قال ابن عباس قول لا إله إلا الله لأن الشرك سبب لفساد العالم قال الله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا أن دعوا للرحمن ولدا ورذا كان كذلك كان التوحيد عمارة العالم ولا تفتح أبواب السماء عند الدعاء إلا بقول لا إله إلا الله وأبواب الجنان لا تفتح إلا بهذا القول وأبواب النيران لا تغلق إلا بهذا القول وأبواب القلب لا تفتح إلا بهذه الكلمة وأنواع الوساوس لا تندفع إلا بهذا القول فهى أشرف مقاليد السموات والأرض وأعز مفاتيح الأرواح والنفوس والأجسام والعقول (الأسم السادس عشر كلمة الحق) لقوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون أى قول لا إله إلا الله (الأسم السابع عشر العروة الوثقى) قال تعالى «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى»[٨٨] يعنى قول لا إله إلا الله (الأسم الثامن عشر كلمة لصدق) لقوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به (الأسم التاسع عشر كلمة السواء) قال الله تعالى «تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم»[٨٩] قال أبو العالية هى كلمة لا إله إلا الله.

فصل

الأله أسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بالحق وأما الله فقيل مشتق وأختلفوا فيه على أقوال قيل مأخوذ من اله الرجل أذا فزع غيره من أمر نزل فألهه إذا أجاره وسمى الها كما سمى من أم بالناس أماماً وقيل مأخوذ من وله يوله وأصله ولاه فأبدلت الواو همزة كما قالوا فى وشاح أشاح والوله هو المحبة الشديدة وكان يجب أن يقال مألوه كما يقال معبود إلا أنهم نقلوه كما قالوا فى مكتوب كتاب ومحسوب حساب وقيل مأخوذ من ولاه يلوه إذا احتجب أى حجب العقول عن حقيقته وقيل من لاه يلوه إذا أرتفع يقال لاهت الشمس إذا أرتفعت وقيل من قولهم ألهت بالمكان إذا أقمت به وذلك إشارة إلى دوام وجوده قال الشاعر

الهنا بدار ما تبين رسومها * كأن بقاياها وسام على اليد

وقيل من أله يأله إذا تحير وذلك أشارة إلى تحير العقول فى فهم كنه حقيقته وقيل من التأله وهو التعبد يقال أله يأله الهة أى عبد يعبد عبادة قرأ ابن عباس ويذرك والهتك أى عبادتك قال التلمسان هو أقرب لقوله تعالى «وأسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون» ومعنى لا أله إلا الله لا معبود إلا الله وقيل الله ليس بمشتق وإنما أجرى مجرى الأعلام وإنما قلنا أجرى مجرى الإعلام لأنه يوصف بسائر الأسماء ولا يوصف به وذلك خاصية الإعلام وإنما لم نقل علماً لعدم الأذن الشرعى وهو أسم للموجود الحق الجامع لصفات الألهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقى وكل موجود سواه استفاد الوجود منه وهذا الأسم أعظم التسعة والتسعين أسماً لأنه دال على الذات الجامعة لجميع صفات الألهية وسائر الأسماء لا تدل الأسماء لا تدل آحادها الأعلى آحاد المعنى من علم ونحوه ولم يرد عن العرب قبل النبى صلى الله عليه وسلم ولا بعده أنه استعمل لفظ هذا الأسم على صيفته فضلا عن وضعه صفة لغيره وقد وردت الاثار أنهم كانوا يكتبون فى صحفهم فى الجاهلية باسمك اللهم وقال تعالى «هلى تعلم له سمياً»[٩٠] ولهذا قال الجنيد رحمه الله ما عرف الله إلا

الله وأعطى لخلقه الأسماء فحجبهم بها فقال فسبح بأسم ربك العظيم فوالله ما عرف الله إلا الله فى النشئتين والدارين واليومين وقبض الله تعالى بسط العقول والأرواح والقلوب فى ميدان هذا الأسم كما بسطهم فى ميدان الأسماء ولذلك لم يقع التجاسر ولا سنح للأفكار التسمية به مع وجود الجاحدين والفراعنة الطاغين وشدة كفرهم ولذلك كان كل أسم من أسمائه يصلح للتخلق إلا هذا الأسم فأنه للتعلق فينبغى أن يكون حظ العبد من هذا الأسم التأله وأعنى به أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله تعالى لا يرى غيره ولا يلتفت إلى سواه ولا يرجو ولا يخاف إلا أياه ولا يصح التعلق بهذا الأسم إلا بعد التخلق بمجموع الأسماء أقوالاً وأحوالاً وظاهراً وباطناً ومن أراد التقرب بهذا الأسم فعليه بسبعة أصول استحقار ما سوى الله حالاً والتعظيم لأوامر الله كشفاً وسقوط إلا كوان شهودا والفناء فى الجمع استغراقاً وتعلق الهمة بالله دأبا ومراقبة الأنفاعى سراً وذكر الأسم الأعظم ظاهراً أو باطناً إلى أن يتأله فى الوله يعنى يسترق سره فى وجوده فى حقيقة شهوده لا يرى غيره ولا يحس من سواه فيحرس الله عليه أحواله ويحفظ من الأغيار أسراره. وعن الشبلى ما قال أحد على الحقيقة الله إلا الله ومن قاله إنما قاله لحظه قال أبو سعيد(٩١) الخراز من جاوز حد نسيان نفسه وقع فى نسيان حظه من الله ونسيان حاجته إلى الله فلو تكلمت جوارحه لقالت الله الله فهؤلاء الذين ولهت أسرارهم بالله وأمحت آثارهم طمسا فى عين التوحيد فأستخدم الله لهم إلا كوان وسخر لهم الأسرار فمن أتخذ الخلوة بهذا الذكر إلى أن يتوله به الأستغراق وحقيقة التوله أن يستغرق ولا يحس إذا كرام صامت أو موجود أو معدوم إلى أن يغلب عليه فيسمع كل عضو منه يقول الله الله بلسان يسمعه فلو سقط دمه لكتب الله الله وهذا وأعلم أن فى كل دزة فما دونها من ذرات العالم سراً من أسرار أسمه ألله فبذلك السرفهم عنه وأقر له بالتوحيد كل عالم على نوعه الذى هو قائم به علم أم لم يعلم كما قال تعالى «ولله بسجد من فى السموات والأرض طوعاً وكرها» فألالف الأولى دلالة الذاب واللام الأولى دلالة صفات الذات واللام الثانية دلالة أسماء الأفعال واللام الثالثة دلالة أسماء المعانى القائمة بأسماء الصفات والهاء دالة أسماء الإشارة لبواطن الأسماء.

فصل

يحكى أن رجلاً كان واقفاًبعرفات وكان فى يده سبعة أحجار فقال ياأيها الأحجار السبعة أشهدوا لى أنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداًرسول الله فنام فرأى فى المنام كأن القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوجب له النار فلما ساقوا به إلى باب من أبواب جهنم جاء حجر من تلك الأحجار السبعة وألقه نفسى على ذلك الباب وأجتمعت ملائكة العذاب على رفعه فلم يقدروا ثم سيق إلى الباب الثانى فكان الأمر كما فى الأول وهكذا الأبواب السبعة فسيق به إلى العرش فقال الله سبحانه عبدى أشهدت الأحجار فلا نضيع حقك وأنا شاهد على شهادتك على توحيدى أدخل الجنة فلما قرب من أبواب الجنة فأذا أبوابها مغلقة فجاءت شهادة أن لا إله إلا الله وفتحت الأبواب ودخل الرجل وذكر أنه زاد الماء فى بغداد حتى أشرفت على الغرق فقال بعض الصالحين رأيت فى تلك الليالى كأنى واقف على طرف الدجلة وأقول لاَ حول ولا قوة إلا غرقت بغداد فجاء إنسان حسن الوجه وكنت أعلم أنه ملك وجاء ملك آخر من ناحية أخرى فقال أحدهما للآخر ما الذى أمرت به قال أمرت بتغريق بغداد ثم يهيت عنها فقال ولم قال رفعت ملائكة الليل أن البارحة أفتض ببغداد سبعمائة فرح حرام فغضب الله وأمرنى بتغريقها ثم رفعت ملائكة النهار فى صح هذا اليوم تسعمائة أذان وأقامة فغفر الله لهؤلاء بهؤلاء وقال صاحب لرؤيا فأنتبهت وجئت إلى الدجلة فرذا الماء قد نقص وقال بعضهم لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفاً وساعات الليل والنهار كذلك فكأنه قيل كل ذنب أذنبته من الصغيرة والكبيرة والسر والعلانية والخطأ والعمد والقول والفعل فى هذه الساعات فهى مغفورة بهذه الحروف والكلمات، وأيضاً قول لا إله إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة أعضاء وللنار سبعة أبواب فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق بابا من الأبواب السبعة عن عضو من الأعضاء السبعة وقيل إن كلمة لا إله إلا الله أثنا عشر حرفاً فلا جرم وجب به أثنتا عشرة فريضة ستة ظاهرة وستة باطنة أما الظاهرة فالطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وأما الباطنة فالتوكل والتفويض والصبر والرضاء والزهد والتوبة وأما هو فهو مركب من حرفين هما حقيقة النفسين داخل والخارج نطقت بها أو لم تنطق بالنفس

الداخل الهاء والخارج الواو وهو البسط فالهاء داخل بنفس الحياة والواو خارج بأحتراق الحرارات الباطنة فأن الله تعالى جعل الباطن محل الحرارات منها حرارة الشوق إلى الله تعالى ومنها حرارة الطلب ومنها حرارة الذكر ومنها حرارة الفكر ومنها حرارة لطبع فلا يزال القبض والبسط إلى أن يقضى أجل العبد فيحول الله بين الهاء والواو بحائل خفى عن أوهام العقل بل بما قدره الله تعالى فى سابق علمه القديم الأزلى فالموجودات كلها موحدة لله تعالى على لطيف الأنفاس مقهورين بقدرته ولولا ذلك لغشيهم العذاب ورحم الله الباطن ورحم من استيلاء الحرارات عليه بنفس الأسم الباطن وهو هو فإذا قال العارف هو أجتمعت تلك الحرارات المحرقة وخرجت بنفس النفس إلى روح الهواء فيرجع النفس ببرد الهواء وهو هو إلا أنه فى الظاهر برد وفى الباطن حر لأنه هواء فسر الألف الزائدة فيه عن هو تزايد حياة لأنه حمع بين باطن هو وظاهر الألف فى التوحيد وأما ذكر التنزيه وهو سبحان الله وبحمده التسبيح معناه التنزيه وقولهم سبحانه منصوب على المصدر تقول سبحت الله تسبيحاً وسبحانا فسبحان الله معناه براءة وتنزيها له من كل نقص وصفة لمحدث وقوله وبحمده أى وبحمدك سبحتك ومعناه بتوفيقك لى وهدايتك وفضلك على سبحت لا بحولى وقوتى ففيه شكراً لله تعالى على هذه النعمة والإعتراف بها والتفويض إلى الله تعالى فإن كل الأفعال له تعالى.

خاتمة الكتاب

وهى فيما ورد من الأذكار فى أحوال وأوقات فى الليل والنهار، كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر قال ياحى يا قيوم برحمتك أستغيث، كان إذا همه أمر نظر إلى السماء وقال سبحان الله العظيم، وقال من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات يقول أنا عبدك ابن عبدك ابن أمتك فى قبضتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل أسم هولك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن نور صدرى وربيع قلبى وجلاء حزنى وذهاب همى فقال رجل من القوم يا رسول الله أن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات

قال أجل فقولوهن وعلموهن فأنه من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله حزنه وأطال فرحه، عن على رضى الله عنه لقننى رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات وأمرنى أن نزل بى كرب أو شدة أن أقوالها لا إله إلا الله الكريم العظيم سبحانه تبارك الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين وكان عبدالله بن جعفر يلقنها وينفث بها على الموعوك ويعلمها المعتز من بناته. قال كلمات المكروب اللهم رحمتك فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت، أنى لا علم كلمة لا يقولها مكروب الأفراح الله عنه كلمة أخى يونس عليه السلام فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك أنى كنت من الظالمين، من قرأ آية الكرسى وخواتيم سورة البقرة عند كرب أغاثه الله، إذا خفت سلطاناً أو غيره فقل لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم لا إله إلا أنت عز جاركح وجل ثناؤك، كتب عبدالملك إلى الحجاج بن يوسف أن أنظر إلى أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم فادن مجلسه وأحسن جائزته وأكرمه قال فأتيته فقال لى ذات يوم يا أبا حمزة أنى أريد أن أعرض عليك خيلا فتعلمنى أين هى من الخيل التى كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرضها فقلت شتان ما بينهما تلك كانت أرواثها وأبوالها وأعلافها أجرا فقال الحجاج لولا كتاب أمير المؤمنين فيك لضربت الذى فيه عيناك فقلت ما تقدر على ذلك قال ولم قلت لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى دعاء أقوله لا أخاف معه من شيطان ولا سلطان ولا سبع قال يا أبا حمزة علم ابن أخيك محمد بن الحجاج فأبيت عليه فقال لأبنه ائت عمك أنسا فأسئله أن يعلمك ذلك قال أبان فلما حضرته الوفاة دعانى فقال يا أحمران لك إلى أنقطاعا وقد وجبت حرمتك وأنى معلمك الدعاء الذى علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعلمه من لا يخاف الله عز وجل أو نحو ذلك قال تقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر بسم الله على نفسى ودينى بسم الله على كل شىء أعطانى ربى بسم الله خير الأسماء بسم الله الذى لا يضر مع أسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء داء بسم الله افتحت وعلى الله توكلت ألله ألله ربى لا أشرك به أبدا أسألك اللهم يخيرك من خيرك الذى لا يعطيه أحد غيرك عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك أجعلنى فى عيادك من كل شر ومن الشيطان الرجيم

اللهم اني احترس بك من شر جميع كل ذى شر خلقته وأحترز بك منهم وأقدم بين يدى بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ومن خلفى مثل ذلك وعن يمينى مثل ذلك وعن يسارى مثل ذلك ومن فوقى مثل ذلك، عن على رضى الله عنه قال إذا كنت واد تخاف فيه السباع فقل أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد، بينما النبى صلى الله عليه وسلم يمشى هو وأصحابه إذا أنقطع شسعه فقال أنا لله وأنا إليه راجعون قالوا أو مصيبة هذه قال نعم كل شيء ساء المؤمن فهو مصيبة، يسأل أحدكم حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا أنقطع. عن عائشة رضى الله عنها قالت سلوا الله كل شيء حتى الشسع فأن الله أن لم ييسره لم يتيسر، ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله رب العالمين إلا كان أعطى خيراً مما أخذ، عن الزبير بن العوام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ هذه الآية شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم قال النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد أى رب، ما أنعم الله على عبد نعمة فى أهل ومال وولد فيقول ما شاء الله ولا قوة فيرى فيه آفة دون الموت.

فصل

ما من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ ويصلى ركعتين ويستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر له وتلى هذه الآية ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه الآية ح من أكثر من الأستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب، ما أصر من أستغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة، أنى لاستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة، من استغفر الله كل يوم سبعين مرة لم يكتب من الغافلين، يقول ربنا عز وجل حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعونى فأستجيب له من يستغفر فأغفر له حتى يطلع الفجر، يا رسول الله كيف أستغفر قال قل اللهم أغفر لنا وأرحمنا وتب علينا أنك أنت التواب الرحيم الأستغفار يوم الجمعة، فى يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد يستغفر الله إلا غفر له فجعل النبى صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد يوم

الجمعة أخذ بعضاً دنى باب المسجد ثم قال أجعلنى أوجه من توجه إليك وأقرب من تقرب إليك وزأضل من سألك ورغب إليك، من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبع مرات أعاذه الله بها من السوء إلى الجمعة الأخرى ح عن عمرو بن قيس الملائى قال بلغنى أن من صام الأربعاء والخميس والجمعة شهد الجمعة مع المسلمين ثم ثبت فسلم فى تسليم الإمام ثم قرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات ثم مديده إلى الله ثم قال اللهم أنى أسألك بأسمك الأعلى الأعلى الأعلى الأعز الأعز الأكرم الأكرم لا إله إلا الله الأجل الأجل العظيم الأعظم ثم يسأل الله شيأ إلا أعطاه أياه عاجلاً واجلا ولكنكم تعجلون ح من قال بعد ما تقضى الجمعة سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب ح أكثروا الصلاة على يوم الجمعة ح من ذكرت عنده فلم يصل على فقد شقى.

باب الرقى

عن علقمة بن عبدالله قال ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم رقية الحية فقال أعرضها فعرضتها عليه بسم الله شجنية قرينة ملحة بحر معطاه فقال هذه مواثيق أخذها سليمان بن داود لا أرى بها بأسا فلذغ رجل وهو مع علقمة فرقاه بها فكأنما نشط من عقال، وفى رواية أخرى قال عمر وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التفل بها ح عن عثمان بن أبى العاص قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كنت أذكر الناس ثم دخلنى شىء فنسيت بعضه فوضع يده على صدرى ثم قال اللهم أخرج عنه الشيطان فأذهب الله عنى النسيان قال عثمان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى أصابنى وجع قال لى ضع يدك وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد سبع مرات فأذهبه الله عنى ح وقال عثمان بن أبى العاص قلت يا رسول الله إن الشيطان حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يلبسها على فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ذاك شيطان يقال له خنرب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى خرجه مسلم وقال أبو داود(٩٢)

قلت لابن عباس ماشىء أجده فى نفسى يعنى شيئاً من شك قال إذا وجدت فى نفسك شيئاً فقل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم.

فصل

فى ذكر الصباح والمساء قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا وقال وسبح بحمد ربك بالعشى والأبكار وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب. عن طلق بن حبيب قال جاء رجل إلى أبى الدرداء فقال يا أبا الدرداء قد أحترق بيتك فقال ما أحترق لم يكن الله ليفعل ذلك لكلمات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسى ومن قالها آخر نهاره لم تصبه مصيبة حتى يصبح اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أعلم أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً اللهم أنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أن ربى على صراط مستقيم ح من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه خرجه مسلم، وخرج أيضاً كان نبى الله إذا أمسى قال أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير رب أسألك خير ما فى هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر ما فى هذه الليلة وشر ما بعد هارب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر رب أعوذ بك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر وأذا أصبح قال ذلك أيضاً أصبحنا وأصبح الملك لله ح قل هو الله أحد والمعوذتين حين يمسى وحين يصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شىء سيد الأستغفار اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما أستطعت

أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبى فأغفر لى فأنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة خرجه البخارى ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شىء صححه الترمذى وحسنه من قال حين يصبح أو يمسى اللهم أنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله الذى لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك أعتق الله ربعة من النار فمن قالها مرتين اعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار فأن قالها أربعاً أعتقه الله من النار. قال الترمذى حديث حسن غريب من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده ماذة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه خرجه مسلم من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه متفق عليه من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر متفق عليه ح أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بايهن بدأت سبحان الله والحمد لله ولا إله رلا الله والله أكبر خرجه مسلم ح قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شىء خرجه أبو داود والنسائى والترمذى وصححه وحسنه كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام قال بأسمك اللهم أموت وأحيا وإذا استيقظ من منامه قال الجمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور متفق عليه كان إذا آوى إلى فراشة كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ويمسح بهما ما أستطاع من جسده يمر بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات متفق عليه وفى حديث أبى هريرة إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى الله لا إله إلا هو الحى القيوم حتى تختمها فأنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان، فقال النبى صلى الله

عليه وسلم صدقك وهو كذوب خرجه البخارى من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه متفق عليه إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بطرف ازاره ثلاث مرات فأنه لا يدرى ما خلفه عليه بعده وإذا اضطجع فليقل بأسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه فأن أمسكت نفسى فأرحمها وأن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين متفق عليه عن كل كرم الله وجهه أن فاطمة أتت النبى صلى الله عليه وسلم تسأله خادماً فلم تجده ووجدت عائشة فأخبرتها قال على فجاءنا النبى صلى الله عليه وسلم وقد أخذنا مضاجعنا فقال ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم إذا آويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين فأنه خير لكما من خادم قال على فما تركهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى عليه وسلم قيل ولا ليلة صفين قال ولا ليلة صفين متفق عليه قيل من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه أعياء فيما يعانيه من شغل ونحوه ح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك ثلاث مرات خرجه أبو داود والترمذى وصححه وحسنه من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لا أله إلاهو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفرت ذنوبه وأن كانت مثل زبد البحر وأن كانت عدد رمل عالج وأن كانت عدد أيام الدنيا قال الترمذى حسن غريب قال البراء بن عازب قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضؤك للصلاة ثم أضجع على شقك الأيمن وقل اللهم أسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى اليك وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لا منجأ ولا ملجأ منك إلا اليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت فأن مت مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقوى، وروى ابن السنى اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما أستطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبى فأغفر لى أنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فأن مات من يومه مات شهيداً وأن مات ليلته مات شهيداً قولى حين تصبحين سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما فأنه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسى ومن قالهن حين يمسى

حفظ حتى يصبح خرجه ابن السنى وخرج أيضاً من قال حين يصبح أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أجير من الشيطان الرجيم حتى يمسى وخرج أيضاً ابن عباس أن رجلاً شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تصيبه الآفات فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل إذا أصبحت بسم الله على نفسى وأهلى ومالى فأنه لا يذهب لك شىء فقالهن الرجل فذهب عنه الآفات وخرج أيضاً من قال إذا أصبح اللهم أنى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر فأتم على نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة ثلاث مرات إذا أصبح وإذا أمسى كان حقاً على الله أن يتم نعمته عليه. عن على رضى الله عنه فى قوله عز وجل وإبراهيم الذى وفى قال كان عليه السلام يقول إذا أصبح وإذا أمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض الآية كلها إدرك ما فاته فى يومه ومن قالها حين يمسى إدرك ما فاته فى ليلته ح من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر وكان به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيداً وإن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة قى هو الله والمعوذتين حين يمسى وحين يصبح ثلاثا تكفيك من كل شىء ح من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه مرات غفر له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، أخرج الطبرانى فى معجمه الكبير عن أبى الدرداء قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على حين يصبح عشراً وحين يمسى عشراً إدركته شفاعتى يوم القيامة وفى أربعين لمحمد بن موسى بن نعمان قال جاء من رواية أبى هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاماً، قال وروى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى على فى كل يوم جمعة ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعدة من الجنة ومن صلى على مرة واحدة فتقبلت منه محى الله عنه ذنوب ثمانين

سنة»[٩٣] إنتهى. ما خرج رجل من بيته إلى الصلاة فقال اللهم أنى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فأنى لم أخرجه أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سنحطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر ذنوبى أنه لا يغفر الذنوب إلا أنت إلا وكل به سبعون ألف ملك يستغفرون له وأقبل الله عز وجل إليه وجهه حتى يقضى صلاته إذا دخل أحدكم المسجد أوأتى بمسجد فيسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح أبواب رحمتك وإذا خرج فليسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم أعذنى من الشيطان الرجيم وقال ابن مكرم فى حديثه اعصمى الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة فادعوا، صلى ركعتين خفيفتين ثم سمعته يقول وهو جالس اللهم رب جبريل واسرافيل وميكائيل ومحمد صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من النار ثلاث مرات كان صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح قال اللهم أنى أسألك علماً نافعاً وعملاً متقبلاً ورزقا طيباً، ما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوبة إلا أقبل بوجهه علينا فقال اللهم أنى أعوذ بك من كل عمل يحزينى وأعوذ بك من كل صاحب يردينى وأعوذ بك من كل أمل يلهينى وأعوذ بك من فقر ينسينى وأعوذ بك من كل غناء يطغينى. من قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسى والآيتين من آل عمران شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة الآية، وقل اللهم مالك الملك إلى وترزق من تشاء بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله عز وجل حجاب، قلنا أنهبطنا إلى أرضك وإلى، من يعصيك فقال الله عز وجل بى حلفت لا يقرؤكن أحد من عبادى دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه وإلا أسكنته حظيرة القدس وإلا نظرت إليه بعينى المكنونة كل يوم سبعين نظرة وإلا أعدته من كل عدو ونصرته منه، من قال بعد الفجر ثلاث مرات وبعد العصر ثلاث مرات أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه، كفرت عنه ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، من قال حين ينصرف من صلاته سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ثلاث مرات قام مغفوراً له إذا صليت الصبح فقل بعد صلاة الصبح سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة إلا بالله ثلاث مرات يوقيك الله من بلايا أربع من الجذام والجنون والعمى والفالج، وأما لآخرتك فقل اللهم اهدنى من عندك وأفض على فضلك

وأنشر على رحمتك وأنزل على من بركاتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن وافى بهن يوم القيامة لم يدعهن ليفتحن له أربع أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء، وفى رواية يدعهن رغبة عنهن ولا نسيانا لم يأت بابا من أبواب الجنة إلا وجده مفتوحاً إذا صليت الصبح فقل قبل أن تتكلم سبع مرات اللهم أجرنى من النار فأنك إن مت من يومك ذلك كتب الله لك جواراً من النار، من قال حين ينصرف من صلاة الغداة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات قبل أن يتكلم كتب الله له بهن عشر حسنات ومحى عنه بهن عشر سيئات ورفع له بهن عشر درجات وكان له كعدل عشر نسمات وكان له حرساً من الشيطان وحرزاً من المكروه لم يلحقه فى يومعه ذلك ذنب إلا الشرك بالله ومن قالهن حتى ينصرف من صلاة العصر يعطى مثل ذلك فى ليلته من صلى صلاة الصبح ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة قبل أن يتكلم فكلما قال قل هو الله أحد غفر له ذنب سنة، من صلى الفجر ثم قعد يذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس وجبت له الجنة، من صلى الفجر أو قال الغداة فقعد فى مقعد فلم يلغ بشىء من أمر الدنيا يذكر الله عز وجل حتى يصلى أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، من قال فى سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير، كتب له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيت فى الجنة، وفى رواية من قال حين يدخل السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله كتب له ألفا ألف حسنة ومحى عنه ألفاً ألف سيئة ورفع له ألفا ألف درجة، فأن قلت لأى شىء كان ثواب الأذكار فيه كثيراً مع قلتها وخفتها على اللسان قلت لاعتبار مدلولاتها فأنها كلها راجعة إلى الإيمان الذى هو أشرف الأشياء والله أعلم الذى يبدأ بالسلام أولى بالله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم من سلم على قوم فضلهم بعشر حسنات. من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة إذا راعه شىء قال ربى لا شريك له يا على ألا أعلمك كلمات إذا وقعت فى ورطة قلها قلت بلى جعلنى الله فداك كم من خير علمتنيه قال إذا وقعت فى ورطة فقل بسم الله الرحمن

الرحيم ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فأن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء، كان إذا خاف قوماً ما قال اللهم أنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة فلقى العدو فسمعته يقول يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين قال فلقد لقيت الرجال تصرع تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها.

فصل

فيما يقول إذا خرج فى سفر ح من خرج من بيته يريد افقال حين يخرج آمنت بالله اعتصمت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله رزقه الله خير ذلك المخرج وصرف عنه شر ذلك المخرج، كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سافر قال اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل اللهم أصحبنا فى سفرنا واخلفنا فى أهلنا اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور ودعوة المظلوم وشر المنظر فى الأهل والمال، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فركب راحلته قال بأصبعه ومد شعبة أصبعه قال اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل اللهم أزولنا الأرض وهون علينا السفر اللهم أنى أعوذ بك وعثاء السفر وكآبة المنقلب أمان لأمتى من الغرق إذا ركبوا فى السفينة أن يقولوا بسم الله مجريها ومرساها أن ربى لغفور رحيم، وما قدروا الله حق قدره الآية ح قال أبو هريرة ألا أعلمك شيئاً علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوله عند الوداع قال قلت بلى قال قل استودعك الله الذى لا يضيع ودائعه ح أبو هريرة ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أردت سفراً أو تخرج مكاناً تقول لأهلك استودعكم الله الذي لا تخيب ودائعه ح إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله أحبسوا يا عباد الله احبسوا. عن يونس بن عبيد[٩٤] قال ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول فى أذنها أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرها وإليه ترجعون: إلا ذلت له بأذن الله ح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح ولا أعلمه قال إلا فى سفر رفع صوته حتى يسمع أصحابه اللهم أصلح لى دينى الذى جعلته

عصمة أمرى اللهم أصلح لى دنياى التى جعلت فيها معاشى ثلاث مرات اللهم أصلح آخرتى التى جعلت إليها مرجعى ثلاث مرات اللهم أعوذ برضاك من سخطك اللهم أعوذ بك ثلاث مرات لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجدح منك الجدح أن الله عز وجل رفيق يحب الرفق وإذا سافر تم فى الخصب فأمكنوا الركاب اسنتها ولا تجاوزوا بها المنازل وإذا سرتم فى الجدب فاستحثوا وعليكم بالدلجة فأن الأرض تطوى بالليل وأن تغولت بكم الغيلان فنادوا بالأذان وأياكم والصلاة على جواد الطريق فأنها ممر السباع ومأوى الحيات أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرقرية يريد دخولها إلاقال حين يراها اللهم رب السموات السبع ما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وماذرين فأنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها. من نزل منزلا ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك. عن أنس كنا إذا نزلنا سبحنا حتى يحل الرجال قال شعبة يعنى سجنا باللسان كان إذا قفل كبر ثلاثاً ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون عابدون تائبون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وإذا دخل على أهله قال توباتوبا لربنا أو بإلا يغادر علينا حوبا.

فصل

من تمام العيادة أن تضع على المريض يدك فتقول كيف أصبحت أو كيف أمسيت إذا دخلتم على مريض فنفسوا فى أجله فأن ذلك لا يرد شيئا وهو يطيب نفسه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عى رجل يعوده وهو فى الموت فسلم عليه وقال كيف تجدك فقال بخير يا رسول الله أرجو الله وأخاف ذنوبى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجتمعا فى قلب رجل عند هذا الموطن إلا أعطاه الله رجاءه وآمنه مما يخاف دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل يعوده فقال هلى تشتهى شيئا تشتهى كعكا قال نعم فطلب له كاع إذا دخل على مريض قال أذهب الباس رب الناس أشف أنت

الشافى لاشفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وكان حماد يقول لاشفاء إلا شفاؤك ما من مسلم يعود مريضاً لم يحضره أجله، يقول سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عوفى أمسح بيمينك سبع مرات، فقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد ففعلت ذلك فأذهب الله تعالى ما كان بى فلم أزل آمر به أهلى وغيرهم، أبو هريرة قال خرجت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم ويده فى يدى أو يدى فى يده فدخل على رجل ردىء الهيئة فقال أى فلان ما بلغ بك ما أرى قال السقم والضر يا رسول الله قال ألا أعلمك كلمات يذهب عنك الضرر والسقم، فقال أبو هريرة أنا فعلمنى يا رسول الله قال قل يا أبا هريرة توكلت على الحى الذى لا يموت والحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حسنت حاله فقال فيم فقال قلت يا رسول الله لم أترك الكلمات التى علمتنى إذا جاء الرجل يعود مريضاً فيقول اللهم أشف عبدك ينك لك عدواً أويمشى لك إلى صلاة. عن عثمان بن عفان قال مرضت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى يوماً فقال بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بكلمة الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد من شر ما تجد فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً قال يا عثمان تعوذ بها فما تعوذ تم بمثلها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الأوجاع كلها ومن الحمى أن يقول بسم الله الكبير نعوذ بالله العظيم من شر عرق نعار ومن شر حر النار. عن حوات بن جبير قال مرضت فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صح الجسم يا حوات قال وجسمك يا رسول الله قال أوف لله عز وجل بما وعدته قلت ما وعدت الله شيئا قال بلى أنه ما من عبد يمرض إلا أحدث لله عز وجل خيراً فف لله وعده أوعدته من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بى فأنها من أعظم المصائب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال موسى لربه ما جزاء من عزى الشكلى قال فى ظلى يوم لا ظل ح إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم أنتظر إلى الذى يسبق إلى قلبك فأن الخير فيه ح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الأمر قال اللهم خر لى وأختر لى هذا آخر ما أردنا أن نورد فى هذا الكتاب على سبيل الأختصار وفتح الباب لمن أراد الأستبصار

فخير الكلام ما قل ودل ولم يطل فيمل والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه ذوى المناقب والمكارم وحسبنا الله ونعم الوكيل قال فى الفتوحات المكية إذا قرأت فاتحة الكتاب فصل بسم الله الرحمن الرحيم بالحمد لله فى نفس واحد من غير قطع فأنى أقول بالله العظيم فأنى لقد حدثنى أبو الحسن على بن أبى الفتح الكبارى الطبيب بمدينة موصل بمنزلى سنة إحدى وستمائة وقال بالله العظيم لقد سمعت شيخنا أبا الفضل عبدالله بن أحمد بن عبدالقاهر الطوسى الخطيب يقول بالله العظيم لقد سمعت والدى أحمد يقول بالله العظيم لقد سمعت المبارك بن أحمد بن محمد المقرى النيسابورى يقول بالله العظيم لقد سمعت من لفظ أبى الفضل بن محمد الكاتب الهروى وقال بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر بن محمد بن على الشاشى الشافعى من لفظه وقال بالله العظيم لقد حدثنى عبدالله المعروف بأبى نصر السرخسى وقال بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر محمد بن الفضل وقال بالله العظيم لقد حدثنا أبو عبدالله محمد بن على بن يحيى الوراق الفقيه وقال بالله العظيم لقد حدثنى محمد بن حسن العلوى الزاهد وقال بالله العظيم لقد حدثنى أبو بكر الراجعى وقال بالله العظيم لقد حدثنى عمار بن موسى البرمكى وقال بالله العظيم لقد حدثنى أنس بن مالك وقال بالله العظيم لقد حدثنى على بن أبى طالب وقال بالله العظيم لقد حدثنى أبو بكر الصديق وقال بالله العظيم لقد حدثنى محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال بالله العظيم لقد حدثنى جبريل وقال بالله العظيم لقد حدثنى اسرافيل وقال بالله العظيم لقد حدثنى الله سبحانه وتعالى يا أسرافيل بعزتى وجلالى وجودى وكرمى من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة أشهدوا على أنى قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عنه السيئات ولاق لسا أحرنه فى النار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب القيامة والفزع الأكبر ويلقانى قبل الأنبياء والأولياء أجمعين، والحمد لله رب العالمين كمل كتاب مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح فى ذكر الله الكريم الفتاح، وكان الفراغ منه فى يوم الثلاثاء تاسع عشر من شهر الله شعبان المكرم عام إحدى وستين وثمانمائة عرفنا الله خيره، وصلى الله على سيدنا محمد آله وصحبه وسلم.

(١) ٢٨٦ م البقرة ٢.

(٢) هو حجة الإسلام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى ولد بطوس سنة ٤٥٠هـ، كان والده يغزل الصوف ويبيعه، فلما مرض بالمرض الذى مات فيه، أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له صوفى صالح فعلمهما الخط وأدبهما، ثم أرتحل الغزالى إلى أبى نصر الإسماعيلى بجرجان ثم إلى امام الحرمين بنيسابور، فلازمه حتى أنظر أهل زمانه، مات سنة ٥٠٥هـ له عدة مصنفات منها إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة ومحل النظر ومقاصد الفلاسفة وعقيدة أهل السنة وفضائح الباطنية وغيرهم.

انظر: روضات الجنات ٧٥، لسان الميزان ١/٢٩٣، طبقات السبكى ٤/١٠١-١٨٢، تبيين كذب المفترى ٢٩١-٣٠٦، الوافى بالوفيات ١/٢٧٤، شذرات الذهب ٤/١٠-١٣، مفتاح السعادة ٢/١٩١-٢١٠.

(٣) هو سعيد بن إياس الجريرى أبو مسعود روى عن أبى الطفيل وأبى عثمان النهدى وأبى نضرة وطائفة، وعنه شعبة والثورى والحمادان وابن علية، فحدث أهل البصرة عنه مات سنة ١٤٤هـ.

انظر: ميزان الأعتدال ٢/١٢٧، العبر ١/١٩٦، تذكرة الحفاظ ١/١٥٥، شذرات الذهب ١/٢١٥، طبقات الحفاظ ٦٨.

(٤) ٢٨ م الرعد ١٣.

(٥) ٤١ م الأحزاب ٣٣.

(٦) ١٩١ م آل عمران ٣.

(٧) ٣٥ م الأحزاب ٣٣.

(٨) ١٥٢ م البقرة ٢.

(٩) ٢٨ م الرعد ١٣.

(١٠) ٤١ م آل عمران ٣.

(١١) ٢٥ م الإنسان ٧٦.

(١٢) انظر: وفيات الأعيان ٢/٩١، العبر ٢/٢٣، الرسالة المستطرفة ١١، شذرات

الذهب ١٤٤/٢، تاريخ بغداد ١٠٠/٣، تذكرة الحفاظ ٥٨٨/٢، تهذيب الأسماء واللغات ٨٩/٢.

(١٣) انظر: وفيات الأعيان ٤٥٧/١، النجوم الزاهرة ٨٨/٣، نكت الهميان ٢٦٤، ميزان الأعتدال ٦٧٨/٣، تذكرة الحفاظ ٦٣٣/٢، تهذيب التهذيب ٣٨٧/٩، شذرات الذهب ١٧٤/٢، طبقات الحفاظ ٢٧٨.

(١٤) انظر: البداية والنهاية ١٢٣/١١، تذكرة الحفاظ ٦٩٨/٢، تهذيب التهذيب ٣٦/١، الرسالة المستطرفة ١١، شذرات الذهب ٢٣٩/٢، طبقات السبكى ١٤/٣، طبقات القراء لابن الجررى ٦١/١، العبر ١٢٣/٢، العقد الثمين ٤٥/٣، وفيات الأعيان ٢١/١.

(١٥) له ترجمة وافيه فى تذكرة الحفاظ للذهبى.

(١٦) له ترجمة وافية فى انباه الرواة للقفطى وبغية الوعاة للسيوطى.

(١٧) له ترجمة وافيه فى معجم الأدباء لياقوت الحموى ومراتب النحويين لأبى الطيب.

(١٨) له ترجمه فى انباه الرواة للقفطى.

(١٩) له ترجمه فى بغية الوعاة للسيوطى.

(٢٠) مفتاح كنوز ٢٢٥.

(٢١) مفتاح كنوز السنة ١٩٥.

(٢٢) هو أبو سعيد الخدرى سعد بن مالك الأنصارى الخزرجى المدنى، كان من علماء الصحابة وممن شهد بيعة الشجرة، روى حديثاً كثيراً وأفتى مدة، مات سنة ٧٤هـ.
انظر: أسد الغابة ١٤٢/٦، تاريخ بغداد ١٨٠/١، تذكرة الحفاظ ٤٤/١، خلاصة تذهيب الكمال ١١٥، شذرات الذهب ٨١/١.

(٢٣) مفتاح كنوز السنة ٢٠٠.

(٢٤) ورد فى سنن ابن ماجه.

(٢٥) ٧٤ م البقرة ٢.

(٢٦) مفتاح كنوز السنة ١٧٤-١٧٥.

(٢٧) ورد فى سنن الدار قطنى.

(٢٨) ورد فى سنن النسائى.

(٢٩) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط الدينورى مولى جعفر بن أبى طالب صاحب عمل اليوم والليلة، وراوى سنن النسائى، كان ديناً صدوقاً، أختصر السنن ، مات سنة ٣٦٤هـ عن بضع وثمانين سنة.
انظر: العبر ٣٣٢/٢، تذكرة الحفاظ ٩٣٩/٣.

(٣٠) وردت فى المطبوع النورى والصواب فى المتن.

(٣١) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصارى المدنى، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم له صحبة طويلة وحديث كثير، مات سنة ٩٣هـ.
انظر: أسد الغابة ١٥/١، الإصابة ٨٤/١، تذكرة الحفاظ ٤٤/١، شذرات الذهب ١٠٠/١، طبقات الفقهاء ٥١، طبقات القراء لابن الجزرى ١٧٢/١، العبر ١٠٧/١.

(٣٢) هو مالك بن دينار السامى المناجى مولاهم أبو يحيى البصرى الزاهد، كان أبوه من سبى سجستان وقيل من كابل، روى عن أنس والأحنف وشهر بن حوشب وغيرهم مات سنة ١٣٠هـ وقيل ١٣١هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١٤/١٠-١٥.

(٣٣) ٤٥ ك الزمر ٣٩.

(٣٤) هو ذو النون بن إبراهيم المصرى أبو الفيض ويقال ثوبان بن إبراهيم، وذو النون لقب ويقال الفيض بن إبراهيم.
انظر: طبقات الصوفية ١٥-٢٦، حلية الأولياء ٣٣١/٩-٣٩٥، طبقات الشعرانى ٨١/١-٨٤، صفة الصفوة ٢٨٧/٤-٢٩٣، شذرات الذهب ١٠٧/٢، الرسالة القشيرية ١٠، تاريخ بغداد ٣٩٣/٨-٣٩٧، البداية والنهاية ٣٤٧/١٠.

(٣٥) ٨ م الزلزلة ٩٩.

(٣٦) ٤٣ ك الفرقان ٢٥.

(٣٧) ٦٠ ك يس ٣٦.

(٣٨) مفتاح كنوز السنة.

(٣٩) ١٣ م الحجرات ٤٩.

(٤٠) ٤ ك الشرح ٩٤.

(٤١) مفتاح كنوز السنة ٢٥٩

(٤٢) ١٩ م محمد ٤٧.

(٤٣) مفتاح كنوز السنة ٣٦٥.

(٤٤) أشتهر بكنيته واختلف فى اسمه ونسبه، فقيل: دلف بن جحدر وقيل دلف ابن جعفر وقيل جحدر بن جعتره، ودلف بن جعونة، وجعفر بن يونس، زاهد من الصلحاء ولد بسامراء سنة ٢٤٧هـ وكان أبوه من حجاب الدولة ثم ترك الولاية وصحب الجنيد وعكف على العبادة، ومات سنة ٣٣٤هـ، والشبلى نسبة إلى قرية شبله من قرى وما وراء النهر.

انظر: صفة الصفوة ٢٥٨/٢، وفيات الأعيان ٣٩/٢، تاريخ بغداد ٣٨٩/١٤، شذرات الذهب ٣٣٨/٢.

(٤٥) ٢٦٨ م البقرة ٢.

(٤٦) مفتاح كنوز السنة ٢٢٥.

(٤٧) ٤٣ ك الفرقان ٢٥.

(٤٨) ورد فى صحيح مسلم والبخارى وسنن ابن ماجة.

(٤٩) ١٥ م الرعد ١٣.

(٥٠) ٤٤ ك الإسراء ١٧.

(٥١) ٤٠ ك النازعات ٧٩.

(٥٢) ٤٨ ك الطور ٥٢.

(٥٣) انظر: مفتاح كنوز السنة ١١٥.

(٥٤) ورد فى سنن النسائى والدار قطنى وابن ماجه.

(٥٥) ورد فى صحيح مسلم والبخارى.

(٥٦) وردت فى الأصل قضى والصواب فى المتن.

(٥٧) مفتاح كنوز السنة ٢٥٥.

(٥٨) وردت فى الأصل صفة والصواب من المطبوع.

(٥٩) ١١٤ م التوبة ٩.

(٦٠) ٢٢ م المجادلة ٥٨.

(٦١) مفتاح كنوز السنة ١٤٥.

(٦٢) ٢٢ ك الأنبياء ٢١.

(٦٣) ٨٨ ك القصص ٣٨.

(٦٤) ٢ ك الإخلاص ١١٢.

(٦٥) ٢٢١ م البقرة ٢.

(٦٦) مفتاح كنوز السنة ٢٣٤.

(٦٧) ٤٦ م الرحمن ٥٥.

(٦٨) مفتاح كنوز السنة ٣٤٥.

(٦٩) له ذكر فى طبقات الحفاظ للسيوطى ٤٣-٤٤.

(٧٠) ٨٧ ك الأنبياء ٢٦.

(٧١) ٤٨ م القلم ٦٨.

(٧٢) ١٤٣ ك الصافات ٣٧.

(٧٣) ٩٠ ك يونس ١٠.

(٧٤) ١٠ ك فاطر ٣٥.

(٧٥) انظر: سهام الإصابة فى الدعوات المستجابة للسيوطى.

(٧٦) ٢٨ م التوبة ٩.

(٧٧) ٦٠ م الرحمن ٥٥.

(٧٨) ٣٣ ك فصلت ٤١.

(٧٩) ٩٠ ك النحل ١٦.

(٨٠) ٧ ك الإسراء ٧.

(٨١) ١٩٣ م آل عمران ٣.

(٨٢) ١٢٩ م النساء ٤.

(٨٣) ٢٧ ك إبراهيم ١٤.
(٨٤) ٢٦ م الفتح ٤٨.
(٨٥) ٣٠ ك فصلت ٤١.
(٨٦) ٤٠ م التوبة ٩.
(٨٧) ١٧ ك النجم ٥٣.
(٨٨) ٣٣ م التوبة ٩.
(٨٩) وهو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسى أبو الخطاب البصرى الأكمه أحد الأعلام روى عن أنس وعبدالله بن سرجس وأبى الطفيل وسعيد بن المسيب وابن سيرين، وعنه أبو حنيفة وأيوب وشعبة ومسعر والأوزاعى وحماد وأبو مسلمة وزبو عوانة، ولد سنة ٦٠هـ ومات سنة ١١٧هـ.
انظر: اللباب ٥٣٧/١، ميزان الأعتدال ٣٨٥/٣، النجوم الزاهرة ٢٧٦/١، نكت الهميان ٢٣٠، وفيات الاعيان ٤٢٧/١.
(٩٠) ٨٧ ك مريم ١٩.
(٩١) ٢٥٦ م البقرة ٢.
(٩٢) ٦٥ ك مريم ١٩.
(٩٣) وهو هارون بن معروف المروزى أبو على الخزاز وقيل أبو سعيد، روى عن سفيان بن عيينة وابن وهب وعدة، وعنه أحمد وابنه ومسلم وأبو داود، مات سنة ٢٣١هـ.
انظر: نكت الهميان ٣٠١، العبر ٤١٠/١، خلاصة تذهيب الكمال ٣٤٩.
(٩٤) بياض فى الأصل والتكملة من سنن الدارقطنى.
(٩٥) ورد فى جميع الأسانيد.
(٩٦) وهو يونس بن عبيد بن دينار الكوفى العبدى أحد الأعلام، روى عن الحسن وابن سيرين وثابت البنانى ونافع، وعنه الثورى وشعبة والحمادان، مات سنة ١٤٠هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٢٤٢/١١، تذكرة الحفاظ ١٤٥/١.

فهرس الكتاب

فهرس الكتاب

التنفيذ الطباعي

شركة

سويدان وأبو ظهر

بيروت . ص.ب: ١١/٩٣٥٤

بداية الهداية»

للإمام الغزالي

تقديم وتحقيق وتعليق

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

مكتبة مدبولي

القاهرة

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ ١٩٩٣م

مكتبة مدبولى

٦ ميدان طلعت حرب القاهرة تلفون : ٧٥٦٤٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

ويه نستعين

والصلاة والسلام على أفضل خلق الله صاحب دعوة الحق محمد بن عبد الله ومعجزة التاريخ والمنارة التى يهتدى يها الإنسان كلما انبهمت الأمور وعلى آله وصحبه وبعد.

كانت العقيدة الإسلامية من بين العقائد الموروثة وهى التى تفرق بين شيئين متكاملين وهما الظاهر والباطن والمقصود بهما الشريعة وهى الباب الذى يدخل منه الجميع والحقيقة والتى لايصلها إلا المصطفين الأخيار وهذه التفرقة ليست تحكمية، وإنما تفرضها طبيعة الأشياء ذلك أن استعداد الناس متفاوت وبعضهم معد بفطرته لمعرفة الحقيقة.

وكثيراً ماتجدهم يشبهون الشريعة والحقيقة بالقشر واللب أو بالدائرة ومركزها.

ويقول الدكتور المرحوم فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود فى كتابه مقدمة فى منطق التصوف: والشريعة تتضمن - فضلا عن الناحية الاعتقادية - الناحية التشريعية والناحية الاجتماعية وهما جزآن لايتجزان عن الدين الإسلامى: إنها أولا وقبل كل شئ قاعدة للسلوك. أما الحقيقة فأنها معرفة محضة، بيد أن الباطن لايعنى فقط الحقيقة وإنما يعنى كذلك السبل الموصلة إليها أعنى الطرق التى تقود الإنسان من الشريعة إلى الحقيقة.

واذا رجعنا إلى الصورة الرمزية الدائرة ومركزها قلنا إن الطريقة هى الخط الذاهب من الدائرة إلى المركز، وكل نقطة على الدائرة هى مبدأ الخط. وهذه الخطوط التي لاتحصى، تنتهى - كلها- إلى المركز. إنها الطرق وهى طرق تختلف تبعا لاختلاف الطبائع البشرية ولهذا يقال الطرق إلى الله كنفوس بنى آدم، ومهما اختلفت فالهدف واحد: لأنه لايوجد إلا مركز واحد وإلا حقيقة واحدة. على أن هذه الإختلافات

الموجودة فى المبدأ تزول شيئا فشيئا من زوال الإنية وذلك حينما يصل السالك إلى درجات عليا تزول فيها صفات العبد التى ليست إلا سجناً الفناء فلا يبقى إلا الصفات الربانية البقاء.

والطريقة والحقيقة مجتمعان يطلق عليهما التصوف وهو ليس مذهباً خاصا لأنه الحقيقة المطلقة، وليست الطرق مدارس مختلفة لأنها طرق أى سبل موصلة جميعها إلى الحقيقة المطلقة: التوحيد واحد.

ومن الثابت علميا أنه لايمكن لأى فرد أن يمنح نفسه اسم صوفى اللهم إلا أصابه المرض أو الجهل، فالصوفى هو الذى يصل إلى درجات عليا بينه وبين ربه.

ويشرح لنا الدكتور عبد الحليم محمود عن أصل كلمة صوفى فيقول: فقد اختلف فيه إختلاف كبير ووضعت فروض متعددة وليس بعضها بأولى من بعض، وكلها غير مقبولة. إنها فى الحقيقة تسمية رمزية وإذا أردنا تفسيرها ينبغى علينا أن نرجع إلى القمة العددية لحروفها. وإنه لمن الرائع أن نلاحظ أن القيمة العددية لحروف صوفى تماثل القيمة العددية لحروف كلمة الإلهية فيكون الصوفى الحقيقى إذا هو الرجل الذى وصل إلى الحكمة الإلهية إنه «العارف بالله» إذ أن الله لايعرف إلا به، وتلك هى الدرجة العظمى «الكلية» فيما يتعلق بمعرفة الحقيقة.

خلاصة القول أن الصوفية ليست شيئا أضيف إلى الدين الإسلامى، إنها ليست شيئا أتى من الخارج فالصق بالإسلام وإنما هى بالعكس تكون جزءاً جوهريا من الدين، لذلك كانت فروضا رخيصة تلك التي تذهب بالصوفية إلى أصل أجنبى يونانى أو هندى أو فارسى وهى معارضة بالمصطلحات الصوفية نفسها تلك المصطلحات التى ترتبط باللغة العربية ارتباطاً وثيقاً.

وإذا كان هناك من تشابه بين الصوفية وبين مايماثلها فى البيئات الأخرى فتفسير هذا طبيعى لا يحتاج إلى فرض الأستعارة، وذلك إنه مادا من الحقيقة واحدة فإن كل العقائد السنية تتحد فى جوهرها وإن اختلفت فيما تلبسه من صور.

ويجب أن لا نعطى عناية كبيرة ـ حينما نتحدث عن أصل التصوف ـ لتلك

المناقشات التى لاتنتهى بين مؤرخى التصوف خاصة بتحديد الفترة الزمنية التى وجدت فيها لفضه صوفى. فإن الشئ قد يوجد قبل اسمه الخاص سوا ءوجد تحت اسم آخر أو وجد، ولم تكن هناك الحاجة لتسميته.

ولابد في التصوف من شرط جوهرى هو التاثير الروحى أو مانطلق عليه البركة وهى لاتتأتى إلا بواسطة شيخ، ومن هنا كانت الطرق ومن هنا كانت السلسلة.

وهناك خطوات من أجل أن يسير الإنسان فى طريق التصوف:

١- استعداد نظرى خاص لايغنى عنه اجتهاد أو كسب.

٢- الإنتساب إلى سلسة صحيحة إذ أن البركة التى تحصل من الانتساب إلى السلسلة الصحيحة شرط أساسى لايصل الإنسان بدونه إلى أى درجة من درجات التصوف حتى البدائية منها.

٣- ثم يأخذ المتصوف الطيب الفطرة الذى باركه شيخه فى الجهاد الأكبر: التأمل الروحى وفى الذكر: أى استحضار الله فى كل ما يأتى وما يدع، وفى تركيز الذهن وفى الملأ الأعلى فيصل موفقا من درجة إلى درجة حتى يصل إلى أعلى الدرجات وهى حالة تسمو على حدود الوجود المؤقت فيصبح ربانيا: ذلك هو الصوفى الحقيقى.

من أسباب التصوف الشك

يعرف كثير من الناس التصوف بأنه المذهب القائل بالألهام والبصيرة أو اذا شئت فبالعلم الألهى: أى بهذا النوع من المعرفة اليقينية الذى لايتصور فيه الشك ولا تبعث به السفسطة، ولئن كان هذا التعريف غير منطبق تماما على حقيقة التصوف، فانه، لاريب، يرينا ما للمعرفة اليقينية من أهمية: فتصفية الروح ليست غرضا من أغراض الصوفية إلا لأنها تمهد للأتصال بالله، ولتلقى المعرفة عنه. ولا ريب أن معرفة تأتى عن طريق الألهام أو إذا شئت، فعن طريق الألوهية هى معرفة لايتطرق إليها الهدم، ولا تنهار أمام حجج المنطق بل أن هذه الآراء الغريبة التى تجدها أحياناً فى كلام الصوفية

هى فى نظرهم لاتقل فى ثبوتها عن البديهيات. وأنت تحاول عبثاً اذا أردت أن تبعث الشك فى نفس الصوفى أو أن تحوله عن رأيه، اذ كيف يحيد عن فكرة يعتقد أنه تلقاها عن الملأ الأعلى، فى فترة صفت فيها روحه وتطهرت؟ وكيف يكون على باطل وهو يعمل وفق ارادة وتعاليم عليا سامية على العكس من ذلك تماما نرى الشاك: فهو شخص لايعترف بحقيقة، أو لا يعترف بأن هناك طريقا يوصلنا إلى معرفتها على فرض وجودها. وعبثا تحاول أن تقنعه بعقيدة ما إذ هو لايقتنع إلا بالشك ولا يرضى عن رأيه بديلا. وأن يدهش لشئ فأنما يدهش لعدم اقتناعك أنت بفكرته فى الشك التي يعطيك على صحتها البرهان تلو البرهان والحجة تلو الحجة حتى لتعترف «فى النهاية» بأن رأيه له وجاهته وله قيمته.

يقين مطلق من جانب، وشك عميق من جانب آخر، اختلاف شاسع بل تعارض وتضاد.

رغم ذلك وبالرغم من أن محاولة التقريب، وعقد الصلة بن هذين المذهبين تبدو لكثير من الناس غريبة، فإنى اعتقد أن الخلاف بينهما أقل مما نتصور: ذلك أن الصوفى والشاك يتفقان فى المبدأ الذى بنى عليه كل منهما اتجاهه. أريد أن أقول: إن الفكرة التي حدت بالصوفى إلى التصوف هى نفس الفكرة التى أدت بالشاك إلى رأيه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فأن الشك نفسه كثيراً ما يؤدى إلى التصوف.

***

كلنا يعلم أن هناك طريقين للمعرفة: ـ هما الحواس والعقل. فمعرفتى بالشئ تنتج عن أنى أراه وأحسه أو أنى أستنتجه بدليل عقلى.

كثير من الناس بل الأغلبية الساحقة منهم تأخذ المعرفة الناشئة عن هذين الطريقين قضية مسلمة لاتقبل جدلا، ولا يحيط بها شك. ولكن فى العالم أيضاً ذلك الشخص الذى يرى أنه مادامت الحواس تخطئ فهى ليست أهلا للثقة: أنى أرى السراب فأحسبه ماء، وتسيطر على فكرى صورة من الصور وتقوى هذه السيطرة فأرى الصورة ممثلة أمامى، والمريض يرى خيالات لا حقيقة لها، والخائف يرى أشباحاً ويسمع أصواتاً

لاوجود لها. أن الأمثلة على ذلك لاتحصى وكل يوم، بل كل فترة تعطينى دليلاً على خطأ الحواس. فهل بعد هذا أثق بمعرفة تأتى عن طريقها ؟ كلا.

بقى العقل. ولكن ما قيمته؟ كل ينتسب إليه ومع ذلك فلا تجد اثنين على اتفاق تام. أن هذه المذاهب الفلسفية التى لاتكاد تعد، كلها مبنية على العقل وكلها مؤسسة عليه وقائمة به، وكلها جذابة أخاذة تغرى بقوة أدلتها وتستولى عليك بصرامة منطقها، ومع دلك فلا تكاد تتفق فى شئ ما ثم ماذا ؟ ألم يبرهن أحدهم ببرهان عقلى منطقى على أن الأرنب لايلحق بالسلحفاء، مهما أسرع فى العدو إذا بدأت السلحفاء قبله وسبقته بمتر أو مترين؟ ألم يبرهن أحدهم على أن السهم فى سيره لايتحرك وأنت نفسك أليست آراؤك فى حالة التخمة غيرها فى حالة أخرى، وفى حالة السرور غيرها فى حالة الحزن، ثم البراهين التى ترى قوتها وتعتقد فيها فى حالة الحلم ليست أقل من أن يقال عنها أنها براهين عقلية.. وهكذا إذا أخذت فى تعداد الأمثلة على عدم مقدرة العقل فانك لا تقف عند حد.

***

أخطأت الحواس فلا ثقة فيها. وأخطأ العقل فلا ثقة به. فهل معنى ذلك أن لا سبيل إلى معرفة الحقيقة؟ نعم، يجيبنا الشاك، وسنمكث إلى الأبد محكوماً علينا بالجهل أو إذا شئت بعدم المعرفة الصحيحة.

ولكن الصوفى بعد أن سار هذه الخطوات، ووصل إلى الشك فى قيمة الحواس والعقل، وفى قيمة المعرفة الناشئة عنهما، يعود فيثبت المعرفة عن طريق آخر: هو الألهام أو البصيرة أو العلم اللدنى كما يقولون.

قطع الصوفى والشاك المرحلة الأولى إذاً معاً: فوصلا إلى الشك فرضى به أحدهما، واقتنع بأن لا مطمع وراءه، وخطا الآخر خطوة أخرى. خطاها لاليضع لنفسه منطقاً أو منهجاً يسير عليه ليعتصم من الزلل الذى توقعه فيه حواسه ويوقعه فيه عقله، كما يفعل الفلاسفة، وإنما ليصل إلى معرفة من طريق آخر لايتسرب إليه الشك.

لنلقى الآن نظرة على النفس الإنسانية فنرى أنها لاتحب الإقامة على الشك، ولا ترغب فى إتخاذ الأنكار مذهباً وقاعدة. وأنها على كثرة حب المعرفة وشغفها بالاستطلاع، تريد دائما أن تجعل اليقين قاعدة آرائها وأعمالها، ونرى أيضاً أن من أشق أوقات الإنسان تلك الفترات التى تضطرب فيها نفسه، وتتذبذب آراؤه. ويختلط عليه الأمر. هذه الحالة تبعث فى النفس الضيق والكآبة فإذا اشتدت واستعمرت سببت أحيا الانتحار، وأحياناً الجنون، ولكنها أيضاً فى كثير من الأحيان تؤدى إلى التصوف. نعم ، تؤدى إلى التصوف، حيث يجد الشخص ملجأ تستقر فيه نفسه، وتهدأ وتسكن، حيث يجد اليقين، والإيمان، والعلم الثابت.

لقد كان الحارث بن أسد المحاسبى متعطشاً إلى المعرفة، والبحث، والاطلاع وإلى الوصول لرأى لايعتوره الشك، إلى رأى يقينى ثابت لا يتزلزل ولكنه بعد أن بحث زاد شكا بدل أن يزيد إيماناً، واضطربت نفسه وخشى أن يأتيه الموت فجأة قبل أن يعتصم بحبل الله المستقيم: فكد وجد ثم يئس من أن يصل إلى النتيجة، ولكن الله وفقه فى النهاية إلى الإتصل بقوم صالحين فسكن إليهم وأخلد. سكن إليهم وأخلد لا لأن منطقهم أوجد عنده اليقين، ولا لأن براهينهم بعثت فى نفسه الاطمئنان وإنما سيماهم على وجوههم تبعث الثقة وتهدى إلى الرشاد.

لندع المحاسبى نفسه يصور حالته والنص الذى نثبته الآن من مخطوط له بدار الكتب المصرية لم يطبع بعلم اسمه «النصائح». وقد تعمدت اثبات هذا النص كاملا لما بينه وبين كلام الغزالى فى كتابه «المنقذ من الضلال» من شبه يهم كل باحث فى التصوف معرفته.

قال المحاسبى بعد مقدمة بسيطة «أما بعد» فقد إنتهى إلينا أن هذه الأمة تفترق على بضع وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية، والله أعلم بسائرها. فلم أزل برهة من عمرى أنظر إختلاف الأمة، وألتمس المنهاج الواضح، والسبيل القاصد، وأطلب من العلم والعمل، واستدل على طريق الآخرة بإرشاد العلماء، وعقلت كثيراً من كلام الله عز وجل بتأويل الفقهاء، وتدبرت أحوال الأمة ونظرت فى مداهبها، وأقاويلها، فعلقت من ذلك

ماقدر لى، ورأيت إختلافهم بحراً عميقاً قد غرق فيه ناس كثير، وسلم منه من خالفهم، ثم رأيت الناس أصنافاً: فمنهم العالم بأمر الآخرة، ولقاؤه عسير ووجوده عزيز؛ ومنهم الجاهل، فالبعد غنيمة؛ ومنهم المنشبه بالعلماء، مشغوف بدنياه، مؤثر لها؛ ومنهم حامل علم منسوب إلى الدين، ملتمس بعلمه التعظيم والعلو، ينال بالدين من عرض الدنيا؛ ومنهم حامل علم لايعلم تأويل ماحمل؛ ومنهم متشبه بالنساك، متجر بالخير، لأغناء عنده، ولا بقاء لعلمه، ولا معتمد على رأيه؛ ومنهم منسوب إلى العقل والدهاء، مفقود الورع والتقى ومنهم متوادون على الهوى يتفقون، وللدنيا يتباذلون ورياستها يطلبون؛ ومنهم شياطين الأنس عن الآخرة يصدون، وعلى الدنيا يتكالبون، وإلى جمعها يهرعون، وفى الأستكثار منها يرغبون، فهم فى الدنيا أحياء وعن العرف موتى بل العرق عندهم منكر والسوء معروف.

فتفقدت فى الأصناف نفسى، وضقت بذلك ذرعا، فقصدت إلى هدى المهتدين بطلب السداد والهدى، واسترشدت العلم، وأعملت الفكر، وطلت إرشادهم النظر، فتبين لى فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه وأجماع الأمة أن أتباع الهوى لايرجون يعمى عن الرشد، ويضل عن الحق، ويطيل المكث فى العمى، فبدأت بالصبر على بأسقاط الهوى عن قلبى، ووقفت عند إختلاف الأمة منرتاداً لطلب الفرقة يحببون الله الناجية حذراً من الأهواء المردية والفرقة الهالكة متحذراً من الاقتحام الإنابة إلى قبل البيان، والتمست سبيل النجاة لمهجة نفسى، ثم وجدت باجتماع الأمة فى فقهاء كتاب الله المنزل أن سبيل النجاة فى التمسك بتقوى الله وأداء فرائضه والورع تاركين التعس فى حلاله وحرامه وجميع حدوده والأخلاص لله تعالى بطاعته والتأسى والظلم والأقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم فطلبت معرفة الفرائض والسنن عند العلماء رالآثار، ورعين في فرأيت اجتماعاً وإختلافاً، ووجدت جميعهم مجتمعين على أن علم الفرائض للشهوات والسنن عند العلماء بالله، وأن الفقهاء عن الله العاملين برضوانه الورعين عن الحلال، محارمه المتأسين برسوله صلى الله عليه وسلم المؤثرين الآخرة على الدنيا: أولئك على أنفسهم المتسكون بأمر الله وسنن المرسلين.

فالتمست من بين الأمة هذا الصنف، المجتمع عليهم، والموصوفين، الحزن الدائم اقفو

آثارهم وأقتبس من علمهم، فرأيتهم أقل من القليل، ورأيت علمهم وصفوا للآدا مندرسا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً وعلمت أن آده» كما بدأ فطوبى للغرباء، وهم المنفردون بعلمهم، فعظمت مصيبتى بفقد الأدلاء ولايقوم بحد الأتقياء، وخشيت بغتة الموت أن يفجأنى، على اضطراب من عمرى، العاملون بطريق لاختلاف الأمتو فانكمشت فى طلبى عالما لم أجد لى من معرفته بدأ، لم أقصر بهم، والهادو فى الاحتياط، ولم أن فى النصح، فقيض لى الرءوف بعباده قوما وجدت فوائدهم، قابلا فيهم دلائل التقوى، وأعلام الورع، وإيثار الأخرة على الدنيا، ووجدت أحداً، ففتح إرشادهم ووصاياهم موافقة لأفاعلى أئمة الهدى: مجتمعين على نصح الأمة لايرجون أحداً فى معصيته، ولا يقنطون أحداً من رحمته، يرضون أبدا بالصبر على البأسا والضراء، والرضى بالقضاء، والشكر على النعماء، يحببون الله تعالى إلى العباد بذكرهم أياديه وإحسانه، ويحثون العباد على الإنابة الى الله تعالى علماً بعظمة الله تعالى وعظيم قدرته وعلما بكتابه وسنته.

فقهاء فى دينه، علماء بما يحب ويكره، ورعين عن البدع والأهواء، تاركين التعمق والإغلاء، مبغضين للجدال والمراء متورعين عن الإغتباب والظلم والأذى، مخالفين لأهوائهم محاسبين لأنفسهم، مالكين لجوارحهم ورعين فى مطاعمهم وملابسهم وجميع أحولهم، مجانبين للشبهات، تاركين للشهوات، متجرئين بالبلغة من الأقوات، متقللين من المباح، زاهدين في الحلال، مشفقين من الحساب، وجلين من المعاد، مشغولين ببثهم مؤثرين على أنفسهم من دون غيرهم، لكل أمرئ منهم شأن يغنيه. علماء بأمر الآخرة، وأهاويل القيامة، وجزيل الثواب، أليم العقاب، ذلك أورثهم الحزن الدائم، وألهم المضنى، فشغلوا عن سرور الدنيا ونعيمها، ولقد وصفوا للآداب صفات، وحددوا للورع حدوداً، ضاق لها صدرى، وعلمت أن آداب الدين وصدق الورع بحر لاينجو من الغرق فيه شبهى ولا يقوم بحدوده مثلى: فتبين لى فضلهم، واتضح لى نصحهم، وأيقنت أنهم العاملون بطريق الآخرة، والمتأسون بالمرسلين، المصابيح لمن استعناء بهم والهادون لمن استرشدهم، فأصبحت راغباً فى مذهبهم، مقتبساً من فوائدهم، قابلاً لآدابهم، محباً لطاعتهم؛ لا أعدل بهم شيئاًو ولا أوثر عليهم أحداً، ففتح الله لى علماً انفتح لى

برهانه، وأنار لى فضله، ورجوت النجاة لمن أقربه أو انتحله، وأيقنت بالغوث لمن عمل به، ورأيت الأعوجاج فيمن خالفه، ورأيت الرين متراكماً على قلب من جهله وجحده، ورأيت الحجة البالغة لمن فهمه، ورأيت انتحاله والعمل بحدوده واجباً على واعتقدته في سريرتى، وانطويت عليه بضميرى، وجعلته أساس دينى، وبنيت عليه أعمالى، وتقلبت فيه بأحوالى، وسألت الله عز وجل أن يوزعنى شكر ما أنعم به على، وأن يقوينى على القيام بحدود ما عرفنى به، ومع معرفتى بتقصيرى فى ذلك وإنى أدرك شكره أبداً، إنتهى كلام المحاسبى.

وليس المحاسبى بدعاً فى ذلك وإنما يتفق معه الإمام الغزالى. بل الإمام الغزالى أوضح وأدق.

حاول أن تتصور معى بالضبط حالة الإمام الغزالى النفسية فستجده متلهفاً على المعرفة، محباً للاطلاع والدرس والبحث، غارقاً فى محيط الفلسفة والعلم، ولكنه مع كثرة إطلاعه وتنقيبه لم يجد فى المذاهب الفلسفية مايرضيه، ولم يجد فى الأدلة العقلية المؤسسة عليها هذه المذاهب ما يقنعه ورأى أن من العبث أن يبدأ فى تأليف مذهب فلسفى جديد إذ مصير ذلك حتما مصير ماسبق من المذاهب التي إن أخذت بألباب كثير من الناس، فإنها لاتثبت أما النقد الصارم، والتى تبعث التفرقة، إذ ليس فيها من القوة البرهانية مايقنع الجميع.

ليس هناك إلا الشك إذاً.

وفى الواقع لقد شك الإمام الغزالى.، شك فى الحواس وشك فى العقل وشك فى ماينتج عنهما من معرفة، ولكن نفسه اضطربت ونحل جسمه وضاق بالحياة ذرعاً ولم يجد ملجا ولا عاصما من هذه الحيرة وهذا الأضطراب إلا التصوف، فولج بابه، واطمأن إليه. وكتابه المنقذ من الضلال الذى يقص فيه تطوره الفكرى يصور هذا خير تصوير.

وكما يبدأ المحاسبى بحديث «ستفترق أمتى ثلاثاً وسبعين فرقة الناجية منها واحدة» كذلك يبدأ الغزالى بهذا الحديث، وتكاد بعض جمله تكون مأخوذة من كلام المحاسبى نفسه: مما دعا بعض المستشرقين إلى أن يذكر أن الغزالى فى كتابته الكتابه هذا تأثر

بالمحاسبى فى كتابته لمقدمة كتاب «النصائح».

وسواء كان هذا صحيحاً أو غير صحيح، فما لا شك فيه أن الإمام الغزالى قرأ هذا الكتاب إذ أنه استشهد ببعضه فى الأحياء، والذى يعنينا الآن هو أن الإمام الغزالى، كما يصور فى كتابه، بدأ يشعر بعدم الاطمئنان حينما فكر فى هذا الحديث الشريف، حينما رأى أن إختلاف الخلق فى الأديان والملل ثم إختلاف الأئمة فى المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطوق، بحر عميق غرق فيه الأكثرون، وما نجا منه إلا الأقلون، وكل فريق يزعم أنه الناجى وكل حزب بمالديهم فرحون. لهذا أخذ الإمام الغزالى فى البحث جهد طاقته ليصل إلى اليقين «الذى ينكشف فيه المعلوم إنكشافاً لايبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك، ثم يقول وعلمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين. فهو علم لاثقة به، ولا أمان معه، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقينى». ثم فتشت عن علومى فوجدت نفسى عاطلا من علم موصوف بهذه الصفة إلا فى الحسبات والضروريات، ولكن انتهى بى طول التشكك إلى أن لم تسمح نفسى بتسليم الأمان فى المحسوسات أيضا. ثم أخذ الإمام الغزالى يذكر أسباب شكه فى المحسوسات وفى الضروريات وفى العقليات وقد ذكرنا طرفا منه آنفا.

واستمر الإمام على تلك الحالة «حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل أو ترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى فى الصدر وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف. فمن ظن أن الكشف موقوف على الزدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله الواسعة، ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن «الشرح» ومعناه فى قوله تعالى «فمن برد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام» فقال «هو نور يقذفه الله تعالى فى القلب فقيل وما علامته؟ فقال: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود» وهو الذى قال عليه السلام فيه: «إن الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره» فمن ذلك النور ينبغى أن يطلب الكشف، وذلك النور ينبجس من الجود الإلهى فى بعض الأحايين، ويجب الترصد له كما قال عليه السلام: إن لربكم

فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها ».

هذا الشك الذى حدا بالغزالى إلى التصوف، كما حدا بالمحاسبى قبله، هو شك أتى من البحث وراء الحقيقة.

ولكّننا لانريد أن نقول إن هذا النمط من الشك، هو وحده، أساس التصوف وإنما نريد أن نقول أن أساس التصوف هو الشك على الإطلاق: سواء كان هذا الشك يتصل بالناحية الفكرية أو بالناحية الاجتماعية أو بالناحية الوجدانية، فهذا الشخص الذى صدم فى عاطفة من عواطفه، وكثيراً ماتكون عاطفة الحب تلك العاطفة القوية الجامحة التى تهز النفس هزاِ والتي تؤدى كثيراِ إلى الانتحار، هذا الشخص الذى صدم فى تلك الناحية قد تصل به الصدمة إلى الشك فى كل شخص، أو إلى الشك فى أن يجد مثاله الأعلى فى هذه الحياة فيتجه إلى حياة العزلة والانفراد، أو يعتكف فى مسجد أو فى بيته، عابداً مصلياً طالباً من الله أن يكون عماده، وأن يكون ملجأه، وأن يصرف عنه السوء.

وهذا الشخص الرقيق المزاج الذى يرى فى كل أونه ظلم الناس وفساد الحياة، والذى لايجد فى نُفسه القوة على الجلاد والصراع، والذى يصل به الآمر فى النهاية إلى الشك فى المجتمع وفى أهله، فيضيق بالحياة ذرعاً، لايجد مفراً من أن يعتكف متأملا مفكراً فى مثل عليا أو فى حياة أخرى أو فى ملإ أعلا صفت فيه النفوس وتطهرت وسمت عن كل دنس.

وهكذا إذا بحثنا فى حياة هؤلاء الذين أطلق عليهم اسم الصوفية فأننا نجد دائما نقطة الارتكاز: الشك.

الشك ومدارج السالكين

ولكن تلك الحياة التى يتجهون إليها، تلك الحياة الجديدة التى أخذت من النفوس كل مأخذ، والتى اتجهوا إليها فى تحمس وحرارة، ولاتزيل من أنفسهم الشك بجميع

ألوانه. حقيقة أنها تزيل من أنفس هؤلاء الذين شكوا من الناحية الدينية الشك فى تلك الناحية، وتنسى الآخرين الشك الذى دفعهم إلى حياة التصوف دفعا؛ ولكن التى تنجه إلى الحياة الدينية فى حرارة وتحمس أنما تتجة نحو الكمال من الناحية الدينية، وهذا الكمال أول مايبدأ يبدأ بالتوبة، ومن المعقول المنطلق أن ذلك الشخص الذى اتجه فى تحمس إلى الناحية الدينية يرى فى ماضيه كثيراً من الأخطاء فلا تهدأ نفسه ولا تستقر إلا أذا خضع لله ساجداً مستغفراً لنفسه طالباً من الله الصفح والرضاء ولكنه لايكاد يتخطى تلك الفترة إلا ويعترضه الشك فى كثير مما يتصل بحياته العادية اليومية ويكاد يتساءل فى كل لحظة أهذا حلال أم حرام، طيب أم خبيث، حسن أم قبيح، ويرضى الله أو لا يرضيه ويتحرج فى المأكل والمشرب والملبس، وهذا هو، الورع، وسببه كما ترى الشك. ولكنه مهما تحرج فى مأكله ومشربه وملبسه، ومهما تحفظ واحتاط، فأنه سيجد دائما أن ذلك لايكفى ويشك فى كل لحظة وآونة ويندم على مافات، وتقوى فى نفسه الحرارة الدينية فيرى أن كل لمايتصل بالحياة الدنيا، وأن هو لا لهو ولعب وضلال وباطل وأن خير طريق إن أراد الهداية أو الرشد، إن هو إلا الزهد فى تلك الحياة التى لاتساوى عند الله جناح بعوضة.

توبة ثم ورع ثم زهد، تلك هى بالتتابع بعض مايسميه الصوفية مقاماتهم ولكن الكمال كما قلنا ليس له من غاية أو من حد، نعم وصل صاحبنا إلى الزهد فى تلك الحياة ولكن أهذا هو المطلوب؟ أنه إنسان وطبيعته الحيوانية مهما قويت إرادته تجذبه إلى الحياة الدنيا، وترغبه فيها، وتبعث فيه السخط على حياته، ويحصل ذلك الصراع العنيف بين المادة والروح، كما صوره أناتول فرانس فى رواية تاييس تصويراً بديعاً وصوره المحاسبى فى كتابه «بدء من أناب الله» وفى كتاب «الرعاية» تصويراً دقيقاً إلى أقصى حد من الدقة.

هذا الصراع يبعث فى نفس الصوفى اضطرابا لامزيد عليه بل يبدأ الصوفى يشك فى نفسه، وفى قيمته الذاتية، ويكاد يصل به الأمر إلى أن يعتقد فى تخلى المعرنة أو التوفيق الالهى عنه لأنه ليس أهلا لهما، ونجده فى تلك الآونة يبكى، ويتألم، ويضرع إلى الله أن يمنحه معونته، وأن يصفح عنه اذا كان قد أخطأ بدون علم منه، ويعترف

بأن لاقيمة له فى الواقع أمام تلك القدرة العظيمة، وكل مايرجوه أو يأمله أن يكون عبداً وأن يمنحه السيد شيئاً من عنايته أو توفيقه أو رضاه. يستمر صاحبنا ؛ذلك فترة من جماحها وتهدئ من ثورتها حتى يصل إلى الرضى، وهذا هو المقام الرابع وهو أرقى بدون شك من الزهد، ولكن أذلك هو الكمال؟

لم يقل الصوفى ولا يمكن أن يقول أن معنى الرضى هنا انقطاع كل الرغبات والشهوات أو زوال الآمال والطموح، كلا، إنما معناه أن تلك الثورة التى كادت تودى بصاحبنا وتجعله يعود إلى حياته الأولى هدأت، وانتصرت عليها النحية الروحية. وليس السبب فى هذا حسب رأيه قوة ارادة أو ذاتية وأنما ذلك توفيق من اله، تلك معونة منه، وأراد به خيراً، أراد به الهداية والرشد، فماذا يستحق ذلك الخالق الذى أعانه من غير أن يكون فى حاجة اليه والذى هداه من غير أن يكون فى تلك الهداية نفع للخالق جل وعلا. أنه اذا لم ينصرف إلى الله انصرافاً كلياً وجزئياً كان مقصراً، وليس كل التقصير فى مرتبة واحدة فذلك تقصير فى حق الإله الذى منح الحياة، والذى أفاض النعم، والذى غمره باطمئنان النفس، وانتشله من الضلال، ورفعه إلى مكانة منحه فيها معونته. ويبدأ الشك فى خلجات نفسه وفيما يبدو من دقائق الرياء ثم ينتهى إلى الانصراف المطلق - فى حدود الامكان - إلى تلك الذات العليا الكاملة، ولكن هذه الذات مهما فكر فيها وتأمل، يجد دائماً فى نفسه الرهبة منها فيزيده ذلك انصرافاً اليها ويجهد نفسه فى ذلك الانصراف إلى الله حتى اذا استمر فى ذلك منحه الله من فيضه وتحولت الرهبة شيئاً فشيئاً إلى حب عميق ثم إلى رؤية الله فى كل ناحية وفى كل جانب أو فى كل مكان ثم إلى الفناء فى تلك القوة التى أخذت عليه سمعه وبصره فأعلن أو أسر «مافى الجبة غير الله».

أما بعد فأنى لا أعتقد أنى ابتعدت كثيراً، فى كل ما سبق عن النص الآتى بل اعتقد أن كثيراً مما سبق لم يكن إلا شرحا له، والنص للسهروردى ذكره فى كتابه عوارف المعارف فى نهاية الفصل المعنون: ماهية التصوف.

قال السهروردى - وأقوال المشايخ فى ماهية التصوف تزيد على ألف قول ويطول نقلها ونذكر ضابطاً يجمع حل معانيها فأن الألفاظ وان اختلفت متقاربة المعانى فنقول:

الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية، لايزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس. ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه، فيداوم الافتقار ينقى من الكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصرته النفزة، وفر منهما إلى ربه، فيداوم تصفيته جمعيته وبحركة نفسه تفرقته وكدره، فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه وقال الله تعالى «كونوا قوامين لله شهداء بالقسط» وهذه القوامية لله على النفس هى التحقق بالتصوف. قال بعضهم التصوف كله اضطراب فإذا وقع السكون فلا تصوف. والسر فيه: أن الروح مجذوبة إلى الحضرة الآلهية، يعنى أن روح الصوفى منطلقة منجذبة إلى مواطن القرب، وللنفس بوضعها رسوب إلى عالمها وانقلاب على عقبها ولابد للصوفى من دوام الحركة بدوام الأفتقار ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع إصابات النفس. ومن وقف على هذا المعنى يجد فى معنى الصوفى جميع المنفرق فى الاشارات.

التصوف والدين الإسلامى

للتصوف صلة بالدين؟ الواقع أن الإنسان يصعب عليه أن يتصور صوفياً لايؤمن بالله واليوم الآخر. ذلك لأن التصوف لايخلو من الغاية وغايته دائما - حسب مانعلم- روحية: رضاء الملأ الأعلى، حب الله، الإتصال به، الفناء فيه. أو الاتحاد بذاته العليا، تلك هى الأغراض التى يسعى إليها أو إلى بعضها الصوفى. لذلك لايمكننا أن نتصور شخصا ليس بمؤمن يسعى إليها، وكل مايمكننا أن نتصوره وإن كان فيه شئ من الغرابة هو تصوف الرجل الذى لايؤمن إلا بالله، ذلك أن الإيمان بالله يستلزم الإيمان بكماله والسعى وراء هذا الكمال وإذا: مجاهدة ضد النفس والأهواء والشهوات، حتى يصل الإنسان إلى أولى تلك الخطوات التى وضحناها سابقا ثم ينتقل منها شيئا فشيئا نحو الكمال أو نحو المثل العليا، ولعل حالة هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يسمون فى الجاهلية بالحنفاء مما يقرب فهم ذلك بعض التفريب، وهم قوم رأوا كما رأى قس بن ساعدة أن هذه السماء ذات الأبراج وهذه الأرض ذات الفجاج إلى آخر ماقاله فى خطبته

ترشد إلى أن هناك صانعاً مديراً، وإلى أننا لم نوجد على ظهر تلك البسيطة عبثا ، وإذا كنا لانعلم الكثير عن حياة هؤلاء القوم النفسية فأننا نعلم أن محمد صلى الله عليه وسلم لم يسجد لصنم ولم ينغمس فيما إنغمس فيه أهل عصره وإنما كان فى نفسه مثال أعلى، غامض بدون شك أو مبهم، بحياة أخرى روحية تخالف تمام المخالفة ماكان عليه أقرابه ومعاشروه ولو صور لنا محمد صلى الله عليه وسلم ماكان يجول بخلده قبل الرسالة لرأينا حياة روحية، فيها التأمل الروحى العميق، فيها المادة للروح وانهزامها أماما بسبب قوة تلك الإرادة التى لم تفارق الرسول صلى الله عليه وسلم فى أشد لحظاته حرجا. تلك الناحية الروحية عند محمد صلى الله عليه وسلم التى كانت تشتد فتسيطر عيه سيطة كليه وجزئية فتجعله يهرب من العالم، ومن تلك الحياة الدنيا التى ليست إلا زينة ولعباً وتفاخراً وتكاثراً بالأموال والأولاد ، فيفر منها ويعتزلها ، ويذهب إلى غار حراء متأملا مفكراً، تلك الحياة التى هذا شأنها ليست إلا تصوفا لم تصقله بعد الرسالة فتصل به إلى أسمى مراتبه. وتناقش الناس كثيراً فى تصوف محمد صلى الله عليه وسلم، وسخر بعضهم حينما كانوا يسمعون أن محمداً صلى الله عليه وسلم أول صوفى فى الإسلام.

الواقع أن التصوف لايعدو أن يكون جهاداً عنيفاً ضد الرغبات ليصل الإنسان إلى السمو أو إلى الكمال الروحى ليكون عارفاً بالله وليس من المحتم أن يكون من عناصره فكرة الاتحاد أو الوحدة أو الفناء فى الله. هذا هو المحاسبى الذى لاشك فى أنه من زعماء الصوفية ليست عنده فكرة الأتحاد أو الحلو ل أو ماشاكل ذلك من الأفكار التى تصل إلى بعض الصوفية حينما تسيطر عليهم فكرة الله فتأخذ بنفوسهم وحواسهم وتأخذ بكل مافيهم من تفكير فيرون فى النهاية أنه أنما تولوا افثم وجه الله، وأن الله معنا أينما كنا وأن مافى الجبة غير الله.

نعود فنقول إذا كان ذلك ليس من عناصر التصوف اللازمة له وأن عنصره الأساس كما يتضح ذلك من تاريخ الصوفية - المحاسبى أو الغزالى أو رابعة العدوية أو كثير غيرهم - ليس إلا الجهاد لرضاء الله، وتزكية النفس حتى تعرف الله به، إذا كان الأمر كذلك فأننا نعتقد - ولسنا فى ذلك الرأى من المجددين - إن محمداً صلى الله عليه

وسلم كان أول صوفى فى الإسلام.

بقى الحديث عن القرآن، وقد كثر الكلام فيه هو أيضاً، ومحط النزاع هو أن القرآن كتاب دنيا وآخرة، يدعو إلى هذه وتلك، ويقول بكل بساطة «ولا تنس نصيبك من الدنيا».

أما التصوف فهو توكل وزهد وليس له من هذه الحياة الدنيا قليل ولا كثير. والحقيقة أن كلا من هذين الرأيين يحتاج إلى تحديد فالقرآن ليس كتاب دين ودنيا على الإطلاق والصوفى ليس رجل آخرة فقط على الإطلاق.

أجل، إن القرآن يدعو إلى ألا ننسى نصيبنا من الدنيا، وإلى أن نكون أقوياء، وإلى أن السن بالسن والعين بالعين والأنف بالأنف والجروح قصاص، وإلى أن الجهاد واجب على كل مسلم، وأسس القرآن تشريعاً لكثير من المشاكل الدنيوية، كل هذا صحيح، ولكننا لو نظرنا بتأمل لوجدنا أن الحياة الآخرة فى نظر القرآن خير وأبقى، وأن أكرمكم عند الله أتقاكم، وأن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر، وأنها لاتساوى عند الله جناح بعوضة وأن مافى القرآن من دعوة إلى الجهاد إنما هو لإعلاء كلمة الله، ومافيه من الأخذ بنصيب من الحياة الدنيا إنما هو لأجل ألا يكون المسلم عالة على غيره، وخير من الأخذ بالثأر العفو والصفح، ثم هو بعد ذلك يذكر بأن المؤمنين، هم الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً إلى آخر مافى القرآن من أيات ترشد إلى أن الحياة فى هذا العالم هى حقا الحياة «الدنيا» وأن الآخرة خير وأبقى.

أما أن الصوفى رجل آخرة فقط فهذا أيضاً فيه كثير من الوهم أو على الأقل عدم التحديد، فهذا الصوفى يتزوج ويدعو هو الآخر بأن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف وأن العيش من كسب حلال طيب خير من أن يتكفف الإنسان الناس أعطوه أو منعوه ولكنه مع ذلك يتمذهب بمذهب القرآن، «والآخرة خيرة لك من الأولى». مادام الأمر كذلك فإننا نقول - ولسنا فى ذلك أيضا بمحددين - إن القرآن يدعو الى التصوف ويحث عليه وأنه كان السبب فى بعث التصوف الإسلامى.

يقول الجنيد - سيد هذه الطائفة وإمامهم على حد تعبير القشيرى -: الطرق كلها مسدودة على الخلق الأ على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام.

وقال: من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لايقتدى به فى هذا الأمر: لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة.

وقال: مذهبنا هذا مقيدا بأصول الكتاب والسنة.

معارك الغزالى مع الفلاسفة

ولكن قبل بيان نقد الغزالى لمذهب الفلاسفة عامة، وابن سينا على وجه الخصوص يجدر بنا الإشارة إلى رأى الغزالى. ذلك الرأى الذى سنتبين فيه متابعة من جانب الغزالى للمتكلمين. ومعنى هذا أن الغزالى إذا كان ينقد رأى الفلاسفة. فإن مبعث هذا النقد تأثره بالأتجاه الكلامى الذى يستند بدوره فى كثير من جذوره إلى التراث الدينى الإسلامى. بحيث إن المقارن بين رأى المتكلمين من جهة ورأى الغزالى من جهة أخرى، يجد مشابهة ومطابقة إلى درجة كبيرة.

فإذا رجعنا إلى كتب الغزالى التى تصطبغ بالصبغة الكلامية « كاالأقتصاد فى الاعتقاد »، و« قواعد والعقائد ». وجدناه بعد تدليله على وجود الله وإثبات وحدانيته، ينتقل إلى دراسة الصفات الإلهية كالعلم والحياة والإدراك والقدزة والسمع والبصر. وهو - كما يفعل كثير من المتكلمين - يبدأ بدراسة صفة القدرة بحيث يرتب عليها إلى حد كبير القول بالصفات الإلهية الأخرى.

فالغزالى يذهب إلى أن الله تعالى عالم بجميع المعلومات الموجودات والمعدومات، ومحيط بكل المخلوقات، ولايغزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فيها السماء. وهو يقسم الموجودات إلى قديم وحادث، ويقول إن القديم، وذاته وصفاته «الله». والحادث الموجودت التى أوجدها الله.

كما يرى أن الله إذا كان يعلم غيره، فهو بالتالى أعلم بذاته وصفاته. وعلى هذا

يكون اللله بذاته وصفاته وعلى. وذلك إذا ثبت أنه عالم بغيره فما الدليل على أن الله عالم بغيره؟

فما الدليل إذن على أن الله عالم بغيره؟

يدلل الغزالى على ذلك بالقول بأن معنى الغير هو عبارة عن صنعه المتقن وفعله المحكم المرتب. وهذا إن دل على شئ، فإنما يدل على قدرته. «فإن من رأى خطوطاً منظومة تصدر على الاتساق من كاتب. ثم استراب فى كونه عالماً بصنعه الكتابة. كان سفيها فى استرابته. فإذن قد ثبت أنه عالم بذاته وبغيره».

لهذا بالإضافة إلى الآيات القرآنية التى تدلنا على أن الله عالم بمخلوقاته. فالله تعالى يقول: «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير».

وإذا كان الغزالى حين يدلل على صفة العلم، يفرق بين القديم والحادث، بين الله وسفاته وبين موجوداته. فإنه يلجأ إلى هذه التفرقة بين الله وبين الموجودات حين يتساءل عن معلومات الله وهل لها نهاية أم ليست متناهية.

فهو يفرق بين معلومات الإنسان المتناهية ومعلومات الله التى ليس لها نهاية، ويرى أن الموجودات فى الحال وإن كانت متناهية، فالممكنات المستقبلة ليست متناهية.

ويعلم الله هذه الممكنات وهل سيوجدها أم سوف لا يوجدها، وإذن يعلم الله ما لانهاية له. وهذا خلاف العلم الإنسانى الذى له حدود معينة.

ويضرب الغزالى مثالا على ذلك قائلا: إن ضعف الأثنين أربعة وضعف الأربعة ثمانية وضعف الثمانية شتة عشر وهكذا نضعف الأثنين وضعف الضعف ولا يتناهى. والإنسان لا يعلم من مراتبها إلا ما يقدره بذهنه، وسينقطع عمره ويبقى من التضعيفات مالا ينتاهى. فإذاً معرفة أضعاف أضعاف الإثنين وهو عدد واحد. يخرج عن الحصر، وكذلك كل عدد، فكيف غير ذلك من النسب والتقديرات.

هذا جانب من الجوانب الخاصة برأى الغزالى فى موضوع العلم الإلهى. وقد عرفنا منه كيف أثبت هذه الصفة لله، كما أثبتها المتكلمون، وكيف استند إلى التراث الدينى

والتراث الكلامى أيضاً.

ولكن أهم ماتركه الغزالى لنا فى هذا المجال، يتمثل فى ذلك النقد الذى وجهه إلى الفلاسفة. سواء منهم من قال بعلمه لذاته فقط، أو من قال منهم بأنه يعلم الأشياء علماً كلياً فحسب.

فإذا رجعنا إلى تهافت الفلاسفة وجدناه يتعرض لنقد آراء الفلاسفة فى موضوع العلم الإلهى. فهو فى المسألة السادسة من تهافته يعرض رأيهم بعد عرض رأى المعتزلة فى الذات والصفات. ويفرق بين رأى ابن سينا الذى يذهب فيه إلى أن الله يعلم الأشياء كلها بنوع كلى لايدخل تحت الزمان، ولا يعلم الجزئيات التى يوجب تجدد الاحاطة بها تغيراً فى ذات العالم وبين القول بأنه لايعلم إلا نفسه احترازاً عن لزوم الكثرة.

ثم يخصص الغزالى المسألة الثالثة عشرة من تهافته لهدم آراء الفلاسفة. وهذا واضح من عنوان هذه المسألة: «فى أبطال قولهم: إن الله - تعالى عن قولهم - لايعلم الجزئيات المنقسمة بانقسام الزمان: إلى الكائن وما كان وماسيكون».

ولنعرض الآن لرأى الغزالى مبينين الأسس التى يستند إليها والمآخذ التى يأخذها على الفلاسفة.

يرى الغزالى أن الفريق الأول من الفلاسفة يؤدى مذهبهم إلى القول بأن معلولات الله أفضل منه؛ إذ الملك والإنسان وكل واحد من العقلاء يعرف نفسه ومبدأه ويعرف غيره. والأول لايعرف إلا نفسه. فهو ناقص بالإضافة إلى آحاد الناس فضلا عن الملائكة، بل البهيمة مع شعورها بنفسها تعرف أموراً أخرى سواها. ولاشك فى أن العلم شرف وأن عدمه نقصان.

يقول الغزالى ناقداً الفلاسفة: فأين قولهم: إنه عاشق ومعشوق لأن له البهاء الأكمل والجمال الأتم؟ وأى جمال لوجود بسيط لاماهية له ولا خبر له بما يجرى فى العالم ولا بما يلزم ذاته ويصدر عنه؟!! وليتعجب العاقل من طائفة يتعمقون فى المعقولات بزعمهم ثم ينتهى آخر نظرهم إلى أن رب الأرباب ومسبب الأسباب لا علم له وأصلا بما يجرى فى العالم. وأى فرق بينه وبين الميت إلا فى علمه بنفسه؟ وأى كمال فى علمه بنفسه مع جهله بغيره.

هذا بالإضافة إلى أنهم - أى الفلاسفة - فيما يرى الغزالى. لم يتخلصوا من الكثيرة. فإنا نقول: علمه بذاته أو غير ذاته فإن قالوا: إنه غير ذاته فقد جاءت الكثرة. وإن قالوا إنه عين ذاته. فما الفصل بينهم وبين القائل بأن علم الإنسان بذاته عين ذاته. وهذه حماق، إذ لا يعقل وجود ذاته فى حالة هو فيها غافل عن ذاته. ثم تزول غفلته ويتنبه لذاته، فيكون شعوره بذاته غير ذاته لا محالة هذا عن الفريق الأول، أما الفريق الثانى وهو الذى يعبر عنه مذهب ابن سينا. فيفيض الغزالى فى نقده. وهو يبدأ بعرض أهم معالم رأى هذا الفريق، ويتخذ مثال الكسوف لشرح رأيهم. فيقول إن الشمس مثلا تنكسف بعد أن لم تكن منكسفة ثم تنجلى فنحصل لها ثلاثة أحوال. أى الكسوف بعد أن ثم انتظار الوجود «المستقل». حال العدم وكونه كان من قبل «الماضى»، حال هوفيها «الحاضر».

وهذه العلوم الثلاثة - فيما يقول الفلاسفة - متعددة ومختلفة، وإذا تعاقبت على المحل، فإن هذا يوجب تغير الذات العالمة. فالعلم يتبع المعلوم، فإذا تغير المعلوم تغير العلم، وإذا تغير العلم فقد تغير العالم لا محالة، والتغير على الله محال.

ومن هنا ذهب ابن سينا - كما سبق أن رأينا حين عرض مذهبه - إلى أن الله يعلم الكسوف وجميع صفاته وعوارضه، ولكن بعلم متصف به فى الأزل والأبد ولا يختلف. مثل أن يعلم مثلا أن الشمس موجودة وأن القمر موجود، فإنهما حصلا منه بوساطة الملائكة التى تعد عقوّلا مجردة. ويعلم أيضاً أنها تتحرك حركات دورية وأنهما يجتمعان فى بعض الأحوال فتنكسف الشمس أى يحول جرم القمر بينها وبين المشاهدين فتستتر الشمس.. إلخ وهكذا رلى جميع أحوال الكسوف وعوارضه، بحيث لايعرب عن علمه، ولكن علمه شئ بهذا الكسوف وحين حدوث الكسوف وبعد انقاء الكسوف، على وتيرة وحدة لايختلف ولا يوجب تغيراً فى ذاته.

وهكذا يعتقد الفلاسفة بأن الكل معلوم له، علماً واحداً متناسباً لايؤثر فيه الزمان، بحيث إن ما يكون الزمان ضرورياً فى معرفته، فإنه لايتصور أن يعلمه، لأن ذلك يوجب التغير.

وما يقال عن الزمان، يمكن أن يقال عن المادة وعن المكان. فأن الأشياء التى تعرض لزيد وعمرو وغيرهما من الأفراد لايعلمها الله. وإنما يعلم الإنسان المطلق بعلم كلى، ويعلم عوارض وخواص هذا الإنسان المطلق لا عوارض وخواص الفرد، إذ أن هذه الخواص والعوارض الخاصة بالفرد، إنما تختلف من فرد إلى فرد، نتيجة للحس لا للعقل. وإذا كان الله عندهم عقلا خالصاً، فإنهم بالتالى نفوا عنه معرفة عوارض زيد وخالد وغيرهما.

ولكن ما الخطأ فى هذا الرأى من جانب فلاسفة أمثال ابن سينا؟

ينبهنا الغزالى إلى أن هذا الرأى يترتب عليه نتائج خطيرة. فهو يقول: «هذه قاعدة اعتقدوها واستأصلوا بها الشرائع بالكلية، إذ مضمونها أن زيداً مثلا لو أطاع الله تعالى أو عصاه، لم يكن الله عز وجل عالماً بما يتجدد من أحواله لأنه لايعرف زيداً بعينه، فإنه شخص، وأفعاله حادثة بعد أن لم تكن، وإنما يعرف كفر الإنسان وإسلامه مطلقاً، كلياً. لا مخصوصاً بالأشخاص».

ويتابع الغزالى نقده للفلاسفة فيقول: فيم تنكرون على من يقول: إن الله تعالى له علم واحد بوجود الكسوف مقثلا فى وقت معين. وذلك العلم قبل وجوده علم بأنه سيكون، وهو بعينه عند الوجود علم بأنه كائن، وهو بعينه بعد الانجلاء علم بالانقضاء، وأن هذه الإختلافات ترجع إلى إضافات لاتوجب تبدلا فى ذات العلم، فلا توجد تغيراً فى ذات العالم. فإن ذلك ينزل منزلة الإضافة المحضة، إذ أن الشخص الواحد يكون عن يمينك ثم يرجع إلى قدامك ثم إلى شمالك، فتتعاقب عليك الإضافات، المتغير ذلك الشخص المتنقل دونك.

وإذا قالوا - أى الفلاسفة - إن من ضرورة إثبات العلم بالكون الآن، والانقضاء بعده، تغير، فليس ذلك يقول صحيح. إذ من أين عرفوا ذلك؟ فلو خلق الله لنا علماً بقدوم زيد غداً عند طلوع الشمس، وأدام هذا العلم، ولم يخلق لنا علماً آخر ولاغفلة فى هذا العلم، لكنا عند طلوع الشمس عالمين بمجرد العلم السابق، بقدومه الآن، وبعده بأنه قد قدم من قبل، وكان ذلك العلم الواحد الباقى كافياً فى الإحاطة بهذه الأحوال الثلاثة.

وإذا كنا قد قلنا بأن الغزالى يوجه نقده لفريقين من الفلاسفة. فريق قال يعلمه لذاته فقط، وفريق قال بأنه يعرف الكليات دون الجزئيات أو يعرف الجزئيات على نحو كلى، فإن هذا يتضح من أقوال الغزالى التى ذهب فيها إلى أن الفريق الثانى لايخرج رأيه فى بعض تفصيلاته عن رأى الفريق الأول. فهو يذهب إلى أن الفلاسفة الذين يتصورون علم الله على نحو كلى، إذا قالوا إن الإضافة إلى المعلوم المعين داخلة فى حقيقته، ومهما اختلفت الإضافة اختلف الشئ الذى تعد الإضافة ذاتية له، ومهما حصل الاختلاف والتعاقب فقد حصل التغير، فإنا نقول إنه يجب عليكم سلوك مسلك إخوانكم الفلاسفة حيث قالوا: إنه لا يعلم إلا نفسه، وأن علمه بذاته عين ذاته.

وهكذا يأخذ الغزالى فى مناقشة كل فريق من الفريقين مبيناً لنا أن آراء الفريق الثانى من الفلاسفة لاتخلو من الأخطاء شأنها شأن رأى الفريق الأول. وهو ينتهى بعد هذا كله إلى القول بأنه من الواجب تكفير الفلاسفة، سوء من قال بأن الله تعالى لايعلم إلا نفسه. أو من قال بأنه تعالى لا يعلم إلا الكليات دون أن يحيط بالأمور الجزئية المتعلقة بالأشخاص، لأن هذا فيما يرى تكذيب قاطع للرسول.

وكتاب بداية الهداية من الكتب الهامة التى تبين منهج الغزالى وفلسفته فى التصوف، وقد قمت بالأعتماد النسخة المخطوطة الموجودة بدار الكتب المصرية والنسخة المطبوعة إلى جانب مقدمة مولانا فضيلة الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور عاطف العراقى وهما خير من أمددنا فى هذه الموضوع.

والله ولى التوفيق

القاهرة فى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة حجة الإسلام. وبركة الأنام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى قدس الله روحه، ونور ضريحه آمين. الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على خير خلقه، محمد وعلى آله وصحبه من بعده.

أما بعد فاعلم أيها الحريص المقبل على اقتباس العلم المظهر من نفسه صدق الرغبة وفرط التعطش إليه، أنك إن كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الأقران واستمالة وجوه الناس إليك وجمع حطام الدنيا ، فأنت ساع فى هدم دينك، وهلك نفسك، وبيع آخرتك بدنياك، فصفقتك خاسرة، وتجارتك بائرة، ومعلمك معين لك على عصيانك، وشريك لك فى خسرانك. وهو كبائع سيف من قاطع طريق كما قال صلى الله عليه وسلم «مَنْ أعانَ على معصيةٍ ولو بشطر كلمة كان شريكا له فيها»[(١)] وإن كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهداية دون مجرد الرواية فأبشر فأن الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مشيت وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت. ولكن ينبغى لك أن تعلم قبل كل شئ أن الهداية التى هى ثمرة العلم لها بداية

(١) ورد فى صحيح مسلم والبخارى وسنن ابن ماجه.

ونهاية وظاهر وباطن، ولا وصول إلى نهاياتها إلا بعد احكام بدايتها، ولا عثور على باطنها إلا بعد الوقوف على ظاهرها. وها أنا مشير عليك ببداية الهداية لتجرب بها نفسك وتمتحن بها قلبك، فأن صادفت قلبك إليها مائلا ونفسك بها مطاوعة، ولها قابلة فدونك التطلع إلى النهايات، والتغلغل فى بحار العلوم، وأن صادفت قلبك عند مواجهتك أياه بها مسوفا وبالعمل بمقضتاها مماطلا، فاعلم أن نفسك اللعين ليدليك بحبل غرور، فيستدرجك بمكيدته إلى غمرة الهلاك، وقصده أن يروج عليك الشر فى معرض الخير حتى يلحقك بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وعند ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلماء، وماورد فيه من الآثار والأخبار ويلهيك عن قوله صلى الله عليه وسلم «مَنْ أزْدَادَ عِلماً وَلَمْ يَزْدَدْ هُدًى لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إلاَّ بُعْداً»(١) وعن قوله صلى الله عليه وسلم «أشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيامَةِ عالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلمِهِ»(٢) وكان صلى الله عليه وسلم يقول «أللَّهُمَّ إنِّى أعُوذُ بِكَ مِنْ عِلمٍ لاَيَنْفعُ وَقَلْبٍ لاَيخْشَعُ وَعَمِلٍ لاَ يُرْفَعُ وَدُعَاءٍ لاَ يُسْمعُ»(٣) وعن قوله صلى الله عليه وسلم «مررتُ لَيْلَةَ أسْرِىِ بى بِأقْوامٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ فَقُلتُ مَنْ أنْتمْ قالُوا كُنَّا نَأمُرُ بِالخَيْرِ وَلاَ نَأتيهِ وَنَنْهَى عَنِ الشرِّ وَنَأتيهِ» فاياك يامسكين أن تذعن لتزويره فيدليك بحبل غروره. فويل للجاهل لم يتعلم مرة واحدة وويل للعالم حيث لم يعمل بما علم ألف مرة. واعلم أن الناس فى طلب العلم على ثلاثة أحوال، رجل طلب العلم ليتخذه زاده إلى المعاد ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة فهذا من الفائزين. ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال به العز والجاه والمال وهو عالم بذلك، مستشعر فى قلبه ركاكة حاله وخسة مقصده فهذا من المخاطرين. فأن عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه من سوء الخاتمة ويبقى أمره فى خطر

---

(١) مفتاح كنوز السنة ٣٥٠.

(٢) مفتاح كنوز السنة ٣٥٠.

(٣) مفتاح كنوز السنة ٣٥١.

المشيئة وإن وفق للتوبة قبل حلول الأجل. وأضاف إلى العلم العمل. وتدارك مافرط فيه من الخلل. التحق بالفائزين. فأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. ورجل ثالث استحوذ عليه الشيطان فأتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الأتباع، يدخل بعلمه كل مدخل رجاء أن يقضى من الدنيا وطره وهو مع ذلك يضمر فى نفسه أنه عند الله بمكان لاتسامه بسمة العلماء وترسمه برسومهم فى الزى والنطق مع تكالبه فهذا من الهالكين ومن الحمقى المغرورين إذ الرجاء منقطع عن توبته على الدنيا ظاهراً وباطناً لظنه أنه من المحسنين وهو غافل عن قوله تعالى «يأيُّهاَ الَّذِينَ آمَنُو الِمَ تَقوُلُونَ مَالاَ تَفْعَلُونَ»(١) وهو ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَنَا مَنْ غَيْرِ الدَّجَّالِ أخْوَفُ عَلَيْكُمْ مِنْ الدَّجَّالِ فَقِيلَ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ الله فَقَالَ عُلَماءُ السُّوءِ»(٢) وهذا لأن الدجال غايته الأضلال ومثل هذا العالم وان صرف الناس عن الدنيا بلسانه ومقاله فهو داع لهم بأعماله وأحوال ولسان الحال أفصح من لسان المقال وطباع الناس إلى المشاهدة فى الأعمال أميل منها إلى المتابعة فى الأقوال، فما أفسده هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله، إذ لا يستجرئ الجاهل على الرغبة فى الدنيا إلا باستجراء العلماء فقد صار علمه سببا لجراءة عباد الله على معاصيه ونفسه الجاهلة مدلة مع ذلك تمنيه وترجيه وتدعوه إلى أن يمن على الله بعلمه وتخيل إليه نفسه أنه خير من كثير من عباد الله، فكن أيها الطالب من الفريق الأول وأحذر أن تكون من الفريق الثانى فكم من مسوف عاجله الأجل قبل التوبة فخسر وأياك ثم أياك أن تكون من الفريق الثالث فتهلك هلاكا لايرجى معه فلاحك ولا ينتظر صلاحك. فأن قلت فما بداية الهداية لأجرب بها نفسى فاعلم أن بدايتها ظاهرة التقوى ونهايتها باطنة التقوى فلا عاقبة إلا بالتقوى ولا هداية إلا للمتقين. والتقوى عبارة عن أمتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه فهما قسمان وها أنا أشير عليك بجملة مختصرة من ظاهر علم التقوى فى القسمين جميعا.

---

(١) ٢ م الصف ٦١.

(٢) مفتاح كنوز السنة ١٨٧- ١٨٨.

القسم الأول الطاعات

اعلم أن أوامر الله تعالى فرائض، ونوافل فالفرض رأس المال، وهو أصل التجارة وبه تحصل التجارة، والنقل وهو الربح وبه الفوز فى الدرجات. قال صلى الله عليه وسلم[(١)] «يَقُولُ ٱللهُ تعاَلى مَا تَقَرَّبَ إِلىَّ ٱلْمُتَقَرِّبُونَ بِمَثْلِ أداءِ مَا أَفْتَرَضْتُ يَتَقَرَّبُ إِلىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتى أُحَبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ ٱلَّذى يَسْمَعُ بِه عَليهم وَلاَ يَزَالُ العَبْدُ وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذى يَنْطِقُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتى يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا»[(٢)] ولن تصل أيها الطالب إلى القيام بأوامر الله تعالى إلا بمراقبة قلبك وجوارحك فى لحظاتك وأنفاسك من حين تصبح إلى حين تمسى، فاعلم أن الله تعالى مطلع على ضميرك ومشرف على ظاهرك وباطنك ومحيط بجميع لحظاتك وخطراتك وخطواتك وسائر سكناتك وحركاتك وأنك فى مخالطتك وخلواتك متردد بين يديه، فلا يسكن فى الملك والملكوت ساكن ولايتحرك متحرك إلا وجبار السموات والأرض مطلع عليه يعلم خائنةَ الأعينِ، وما تُخْفى الصدور ويعلم السر وأخفى فتأدب أيها المسكين ظاهراً وباطنا بين يدى الله تعالى تأدب العبد الذليل المذنب فى حضرة الملك الجبار والقهار واجتهد أن لايراك مولاك حيث نهاك ولايفقدك حيث أمرك ولن تقدر على ذلك إلا بأن توزع أوقاتك وترتب أورادك من صباحك إلى مسائك فاصغ إلى مايلقى إليك من أوامر الله تعالى عليك من حين تستيقظ من منامك إلى وقت رجوعك إلى مضجعك.

---

(١) ورد فى السيرة لابن هشام جـ١ ـ ١٥٠.

(٢) مفتاح كنوز السنة.

فصل فى آداب الاستيقاظ من النوم

فاذا استيقظت من النوم فاجتهد أن تستيقظ قبل طلوع الفجر، وليكن أول ما يجرى على قلبك ولسانك ذكر الله تعالى، فقل عند ذلك الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله رب العالمين أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين. اللهم أنا نسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم إلى كل خير وأعوذ بك أن أجترح فيه سوءا أو أجره إلى مسلم. اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، نسألك خير هذا اليوم وخير مافيه ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما فيه فاذا قصد من لباسك. لبست ثيابك فاتو به امتثال أوامر الله تعالى فى ستر عورتك واحذر أن يكون هذا اليوم وشر ما فيه فإذا قصدك من لباسك مرءاة الخلق فتخسر.

باب آداب دخول الخلاء

فأذا قصدت بيت الماء لقضاء الحاجة فتقدم فى الدخول رجلك اليسرى وفى الخروج رجلك اليمنى، ولا تستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى ورسوله ولاتدخل حاسر الرأس ولا حافى القدمين، وقل عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم، وعند الخروج غفرانك الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى على ما ينفعنى، وينبغى أن تعد النبل قبل قضاء الحاجة وأن لاتستنجى بالماء فى موضع قضاء الحاجة، وأن تستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاث وبامرار اليد اليسرى على أسفل القضيب. وإن كنت فى الصحراء فأبعد عن عيون الناظرين أو استبرئ بشئ إن وجدته، ولاتكشف عورتك قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس، ولا تستقبل القبلة ولا الشمس ولا القمر، ولا تستدبرهما ولاتبل فى متحدث الناس ولا تبل فى الماء الراكد تحت الشجرة المثمرة ولا فى الحجر، واحذر الأرض الصلبة واحذر الريح احترازا من الرشاش، لقوله صلى الله عليه وسلم «انَّ عامَّةَ عذابِ القبرِ منهُ»[1] واتكئ فى جلوسك على الرجل اليسرى ولاتبل قائما إلا عن ضرورة واجمع فى الاستنجاء بين استعمال الحجر والماء، فأذا أردت الاقتصار على أحدهما فالماء أفضل. وإن اقتصرت على الحجر فعليك أن تستعمل ثلاثة أحجار طاهرة منشفة للعين، تمسح بها محل النجو بحيث لاتنتقل النجاسة عن موضعها، وكذلك تمسح القضيب فى ثلاثة مواضع من حجر، فأن لم يحصل الانقاء بثلاثة فتمم خمسة أو سبعة إلى أن ينقى بالايتار، فالايتار مستحب والانقاء واجب، ولا تستنج إلا باليد اليسرى وقل عند الفراغ من الاستنجاء: اللهم طهر قلبى من النفاق وحصن فرجى من الفواحش وادلك يدك بعد تمام الاستنجاء بالارض أو بحائط ثم اغسلها فرغت من الاستنجاء فلا تترك السواك فانه مطهرة.

---

(١) ورد فى سنن ابن ماجة والترمذى.

فاذا للفم ومرضاه للرب ومسخطة للشيطان وصلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك. روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ فِي كُلِّ صَلاَةٍ»(١) وعنه صلى الله عليه وسلم «أُمِرْتُ بِالسِّوَاكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ»(٢) ثم اجلس للوضوء مستقبل القبلة على موضع مرتفع كى لا يصيبك الرشاش وقل بسم الله الرحمن الرحيم «رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ»(٣) ثم اغسل يديك ثلاثا قبل أن تدخلهما الأناء، وقل اللهم انى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم انو رفع الحدث أو استباحة الصلاة، ولا ينبغى أن تعزب نيتك قبل غسل الوجه، فلا يصح وضوءك ثم خذ غرفة لفيك وتمضمض بها ثلاثا، وبالغ فى رد الماء إلى الغلصمةإلا أن تكون صائما فترفق، وقل اللهم أعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا والآخرة. ثم خذ غرفة لأنفك واستنشق بها ثلاثا واستنثر ما فى الأنف من رطوبة، وقل فى الأستنشاق اللهم أرحنى رائحة الجنة وأنت عنى راض، وفى الاستنثار اللهم إنى أعوذ بك من روائح النار وسوء الدار ثم خذ غرفة لوجهك فاغسل بها مبتدئا تسطيح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن فى الطول ومن الأذن فى العرض وأوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو مايعتاد النساء تنحية الشعر عنه، وهو مابين رأس الأذن إلى زاوية الجبين أعنى مايقع منه فى جبهة الوجه، وأوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة الحاجبين والشاربين والأهداب والعذارين، وهما مايوازى الأذنين من مبتدا اللحية ويجب ايصال الماء إلى منابت الشعر من اللحية الخفيفة دون الكثيفة وقل عند غسل الوجه اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه أولياءك ولا تسود وجهى بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك ولا تترك تخليل اللحية

---

(١) ورد فى جميع الأسانيد.

(٢) انظر: مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

(٣) ٩٧ ك المؤمنون ٢٣.

الكثيفة ثم اغسل يدك اليمنى ثم اليسرى مع المرفقين إلى أنصاف العضدين، فأن الحلية فى الجنة تبلغ مواضع الوضوء وقل عند غسل اليمنى: اللهم أعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيراً وعند غسل الشمال اللهم إنى أعوذ بك أن تعطينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى. ثم استوعب رأسك بالمسح بأن تبل يدك وتلصق رؤس أصابع يدك اليمنى باليسرى وتضعهما على مقدمة الرأس وتمرهما إلى القفا ثم تردهما إلى المقدمة فهذه مرة تفعل ذلك ثلاث مرات وكذلك فى سائر الأعضاء، وقل اللهم غشنى برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك، اللهم حرم شعرى وبشرى على النار ثم تمسح أذنيك ظاهرهما وباطنهما بماء جديد وأدخل مسبحتيك فى صماخى أذنيك وامسح ظاهر اذنيك ببطن ابهاميك، وقل اللهم أجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعنى منادى الجنة فى الجنة مع الأبرار، ثم امسح رقبتك وقل اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال، ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين وتخلل بخنصر اليسرى أصابع رجليك مبتدئا بخنصر اليمنى حتى تختم بخنصر اليسرى وتخلل الأصابع من أسفل، وقل اللهم ثبت قدمى على الصراط المستقيم مع أقدام عبادك الصالحين. وكذلك تقول عند غسل اليسرى اللهم إنى أعوذ بك أن تزل قدمى على الصراط فى النار يوم تزل أقدام المنافقين والمشركين. وارفع الماء إلى أنصاف الساقين وراع التكرار ثلاثا فى جميع أفعالك فأذا فرغت من الوضوء فارفع بصرك إلى السماء، وقل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى استغفرك وأتوب إليك، فاغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من عبادك الصالحين، واجعلنى صبورا شكورا، واجعلنى أذكرك ذكرا كثيرا، وأسبحك بكرة وأصيلا، فمن قال هذه الدعوات فى وضوئه خرجت خطاياه من جميع أعضائه وختم على وضوئه بخاتم، ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الوضوء إلى يوم القيامة، واجتنب فى وضوئك سبعا لاتنفض يديك فترش الماء ولا تلطم رأسك ووجهك بالماء لطما ولاتتكلم فى أثناء الوضوء ولاتزد فى الغسل

على ثلاث مرات ولاتكثر صب الماء من غير حاجة بمجرد الوسواس فللموسوسين شيطان يلعب بهم، يقال له الولهان. ولا تتوضأ بالماء المشمس ولا في الأواني الصفرية فهذه السبعة مكروهة في الوضوء، وفي الخبر أن من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله، ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصابه الماء.

آداب الغسل

فاذا أصابتك جنابة من احتلام أو وقاع، فاحمل الاناء إلى المغتسل واغسل يديك أولا ثلاثا، وأزل ماعلى بدنك من قذر وتوضأ كما سبق وضوءك للصلاة مع جميع الدعوات، وأخر غسل رجليك كي لايضيع الماء فاذا فرغت من الوضوء فصب الماء على رأسك ثلاثا، وأنت ناو رفع الحدث من الجنابة ثم على شقك الأيمن ثلاثا، ثم على الأيسر ثلاثا، وادلك ما أقبل من بدنك وما أدبر وخلل شعر رأسك ولحيتك وأوصل الماء إلى معاطف البدن ومنابت الشعر ماخف منه، وما كثف وأحذر أن تمس ذكرك بعد الوضوء، فإن أصابته يدك فأعد الوضوء. والفريضة من جملة ذلك كله النية وازالة النجاسة واستيعاب البدن بالغسل، ومن الوضوء غسل الوجه واليدين مع المرفقين، ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين مرة مرة، مع النية والترتيب وما عداها سنن مؤكدة فضلها كثير وثوابها جزيل والمتهاون بها خاسر، بل هو بأصل فرائضه مخاطر فان النوافل جوابر للفرائض.

آداب التيمم

فأن عجزت عن إستعمال الماء لفقده بعد الطلب أو العذر الوصول إليه مع سبع أو حبس أو كان الماء الحاجة تحتاج إليه لعطشك أو عطش من مرض أو لمانع من رفيقك أو كان ملكا لغيرك، ولم يبع إلا بأكثر من ثمن المثل، أو كانت بك جراحة أو مرض تخاف منه على نفسك، فاصبر حتى يدخل وقت الفريضة ثم اقصد صعيداً طيبا عليه تراب خالص طاهر لين، فاضرب عليه بكفيك ضاما بين أصابعك وانو استباحة فرض الصلاة

وامسح بهما وجهك مرة واحدة، ولاتتكلف إيصال الغبار إلى منابت الشعر خف أو كثف ثم انزع خاتمك، واضرب ضربة ثانية مفرقا بين أصابعك وامسح بهما يديك مع مرفقيك فإن لم تستوعبهما فاضرب ضربة أخرى إلى أن تستوعبهما، ثم امسح إحدى كفيك بالأخرى وامسح مابين أصابعك بالتخليل، وصل به فرضا واحداً وما شئت من النوافل فإن أردت فرضا ثانيا فاستأنف له تيمما آخر.

آداب الخروج إلى المسجد

فاذا فرغت من طهارتك فصل فى بيتك ركعتى الفجر أن كان الفجر قد طلع كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توجه إلى المسجد ولا تدع الصلاة فى الجماعة لاسيما الصبح، فصلاة الجماعة تفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة فأن كنت تتساهل فى مثل هذا الربح فأى فائدة لك فى طلب العلم، وإنما ثمرة العلم العمل به فأذا مشيت إلى المسجد فامش على الهينة والسكينة، ولا تعجل وقل فى طريقك اللهم بحق السائلين عليك وبحق الراغبين إليك وبحق ممشاى هذا إليك فأنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة، بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى فأنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

آداب دخول المسجد

فاذا أردت الدخول إلى المسجد فقدم رجلك اليمنى، وقل اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وعلى صحبه وسلم، اللهم اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب رحمتك. ومهما رأيت فى المسجد من يبيع فقل لا أربح الله تجارتك واذا رأيت فيه من ينشد عن ضالة فقل رد الله عليك ضالتك، كذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلى ركعتى التحية فإن لم تكن على طهارة أو لم ترد فعلها كفتك الباقيات الصالحات ثلاثا وقيل أربعا وقيل ثلاث للمحدث وواحدة للمتوضئ، فإن لم تكن صليت ركعتى الفجر فيجزئك أداوهما عن التحية فاذا فرغت من الركعتين فانو

الاعتكاف وادع بما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتى الفجر، فقل اللهم أنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى، وتلم بها شعثى وترد بها ألفتى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلهمنى بها رشدى، وتقضى لى بها حاجتى وتعصمنى بها من كل سوء، اللهم إنى أسألك إيمانا خالصا يباشر قلبى وأسالك يقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبته علىّ والرضا بما قسمته لى، اللهم إنى أسألك إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر وأسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة، اللهم إنى أسألك الصبر عند القضاء والفوز عند اللقاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء، اللهم إنى أنزل بك حاجتى وإن ضعف رأيى وقصر عملى وافتقرت إلى رحمتك فأسألك ياقاضى الأمور وياشافى الصدور، كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير ومن فتنة القبور، ومن دعوة الثبور. اللهم وماضعف عنه رأيى وقصر عنه عملى ولم تبلغه نبتى وأمنيتى من خير وعدنه أحداً من عبادك أو خير أنت معطيه أحداً من خلقك، فإنى أرغب إليك فيه وأسألك أياه يارب العالمين، اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك، سلما لأوليائك نحب بحبك الناس ونعادى بعدواتك من خالفك من خلقك، اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان، وانا لله وأنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، اللهم ذالحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود الركع السجود الموفين لك بالعهود إنك رحيم ودود، وأنت تفعل ما تريد سبحان من اتصف بالعز وقال به، سبحان من لبس المجد وتكرم به، سبحان من لاينبغى التسبيح إلا له، سبحان ذى الفضل والنعم، سبحان ذى القدرة والكرم، سبحان الذى أحصى كل شئ بعلمه، اللهم اجعل لى نوراً فى قلبى ونوراً فى قبرى ونوراً فى سمعى ونوراً فى بصرى ونوراً فى شعرى ونوراً فى بشرى ونوراً فى لحمى ونوراً فى دمى ونوراً فى عظامى ونوراً من بين يدى ونوراً من خلفى ونوراً عن يمينى ونوراً عن شمالى ونوراً من فوقى ونوراً من تحتى، اللهم زدنى نوراً وأعطنى نورا أعظم نور واجعل لى نوراً برحمتك يا أرحم الراحمين. فأذا فرغت من الدعاء فلا تشتغل إلا بأداء

الفريضة أو بذكر أو تسبيح أو قراءة القرآن فأذا سمعت الأذان فى أثنا ء ذلك، فاقطع ما أنت فيه بجواب المؤذن فأذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر، فقل مثل ذلك وكذلك فى كل كلمة إلا فى الحيعلتين فقل فيهما لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فإذا قال الصلاة خير من النوم فقل صدقت وبررت وأنا على ذلك من الشاهدين فأذا سمعت الاقامة فقل مثل مايقول إلا فى قوله قد قامت الصلاة فقل أقامها الله وأدامها مادامت ألسموات والأرض فأذا فرغت من جواب المؤذن، فقل اللهم إنى أسألك عند حضور صلاتك وأصوات دعاتك وأدبار ليلك واقبال نهارك أن تؤتى محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته يا أرحم الراحمين، فأذا سمعت الأذان وأنت فى الصلاة فتمم الصلاة ثم تدارك الجواب بعد السلام على وجهه فأذا أحرم الإمام بالفرض فلا تشتغل إلا بالاقتداء به وصل الفرض كما سيتلى عليك فى كيفية الصلاة وآدابها ، فأذا فرغت فقل اللهم صل على محمد وآل محمد وسلم، اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا دارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والأكرام سبحان ربى العلى الأعلى لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير لا إله إلا الله أهل النعم ولافضل والثناء الحسن لا إله إلا لله ولا نعبد إلا أياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. ثم ادع بعد ذلك بالجوامع الكوامل وهو ماعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها فقل اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله، ماعلمتُ منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ماعلمتُ منه وما لم أعلم وأسألك الجنة ومايقرب إليها من قول وعمل ونية واعتقاد وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل ونية واعتقاد، وأسألك من خير ماسألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم، اللهم وما قضيت لى من أمر فاجعل عاقبته رشداً، ثم ادع بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها فقل ياحى ياقيوم ياذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث ومن غذابك استجير لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله بما أصلحت به الصالحين، ثم قل ماقاله عيسى على نبينا

وعليه الصلاة والسلام: اللهم إنى اصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك ما أرجو، وأصبح الأمر بيدك لا بيد غيرك، وأصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى إليك، ولا غنى أغنى منك عنى، اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤ بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى، ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا مبلغ علمى، ولا تسلط على بذنبى من لا يرحمنى. ثم ادع بما بدالك من الدعوات المشهورات واحفظها مما أوردناه فى كتاب الدعوات من كتب إحياء علوم الدين و لتكن أوقاتك بعد الصلاة إلى طلوع الشمس موزعة على أربع وظائف، وظيفة فى الدعوات ووظيفة فى الأذكار والتسبيحات وتكررها فى مسبحة ووظيفة فى قرأة القرآن ووظيفة فى التفكر فتفكر فى ذنوبك وخطاياك وتقصيرك فى عبادة مولاك وتعرضك لعقابه الأليم وسخطه العظيم وترتب أوقاتك بتدبيرك أورادك فى جميع يومك لتتدارك به مافرطت من تقصيرك وتحترز من التعرض لسخط الله الأليم فى يومك، وتنوى الخير لجميع المسلمين نهارك إلا بطاعة الله تعالى وتفضل فى قلبك الطاعات التي تقدر عليها وتعزم أن لاتشغل فى جميع وتختار أفضلها وتتأمل تهيئة أسبابها ليشتغل بها ولا تدع عنك التفكر فى قرب الأجل وحلول الموت القاطع للأمل وخروج الأمر عن الأخبار وحصول الحصرة والندامة وطول الاغترار وليكن من تسبيحاتك وأذكارك عشر كلمات أحداهن لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملكوله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير. الثانية لا إله إلا الله الملك الحق المبين. الثالثة لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار. الرابعة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. الخامسة سبوح قدوس رب الملائكة والروح. السادسة سبحان الله العظيم. السابعة أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة والمغفرة. الثامنة اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. التاسعة اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم. العاشرة باسم الله الذى لايضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم تكرر كل واحدة من هذه الكلمات اما مائة مرة أو سبعين مرة أو عشر مرات وهو أقله ليكون المجموع مائة ولازم هذه الأذكار ولا تتكلم قبل طلوع الشمس. ففى الخبر أن ذلك أفضل من اعتاق ثمان رقاب من ولد إسماعيل على نبينا

وعليه الصلاة والسلام أعنى الأشتغال بذلك إلى طلوع الشمس من غير أن يتخلله كلام.

آداب مابعد طلوع الشمس إلى الزوال

فاذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح فصل ركعتين وذلك عند زوال وقت الكراهة للصلاة، فأنها مكروهة من بعد فريضة الصبح إلى الأرتفاع، فأذا أضحى النهار ومضى منه قريب من ربعه فصل صلاة الضحى أربعا أو ستا أو ثمانيا مثنى مثنى فقد نقلت هذه الأعداد كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة خير كلها فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقلل. فليس بين الطلوع والزوال راتبة إلا هذه الصلوات فما فضل منها من أوقاتك فلك فيه أربع حالات «الحالة الأولى» وهى الأفضل أن تصرفه فى طلب العلم النافع دون الفضول الذى أكب الناس عليه وسموه علما، والعلم النافع مايزيد فى خوفك من الله تعالى ويزيد فى بصيرتك بعيوب نفسك ويزيد فى معرفتك بعبادة ربك ويقلل من رغبتك فى الدنيا ويزيد فى رغبتك فى الآخرة ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترز منها ويطلعك على مكايد الشيطان وغروره وكيفية تلبيسه على علماء السوء حتى عرضهم لمقت الله تعالى وسخطه حيث أشتروا الدنيا بالدين وأتخذوا العلم ذريعة ووسيلة إلى أخذ أموال الأوقاف واليتامى والمساكين وصرفوا همتهم طول نهارهم إلى طلب الجاه والمنزلة فى قلوب الخلق واضطرهم ذلك إلى والمراءاة والممارة والمناقشة فى الكلام والمباهاة، وهذا الفن من العلم النافع قد جمعناه فى كتاب إحياء علوم الدين فإن كنت من أهله فحصله واعمل به ثم علمه وادع إليه فمن علم ذلك ثم عمل به، ثم دعا إليه فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام، فاذا فرغت من ذلك وفرغت من إصلاح نفسك ظاهراً وباطناً وفضل شئ من أوقاتك فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب فى الفقه، لتعرف به الفروع النادرة فى العبادات وطريق التوسط بين الخلق فى الخصومات عند انكبابهم على الشهوات، فذلك أيضا عند الفراغ من هذه المهمات من جملة فروض الكفايات فأن دعتك نفسك إلى ترك ماذكرناه من الأوراد والأذكار اشتغالا بذلك فاعلم أن الشيطان اللعين قد دس فى قلبك

الداء الدفين وهو حب الجاه والمال فأياك أن تغتر به فتكون ضحكة للشيطان فيهلكك، ثم يسخر بك فأن جربت نفسك مدة فى الأوراد والعبادات فكانت لاتستثقلها كسلا عنها لكن ظهرت رغبتك فى تحصيل العلم النافع ولم ترد به وجه الله تعالى والدار الآخرة فذلك أفضل من نوافل العبادات، مهما صحت النية ولكن الشأن فى صحة النية فإن لم تصح النية فهى معدن غرور الجهال ومزلة أقدام الرجال «الحالة الثانية» أن لاتقدر على تحصيل العلم النافع لكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والقرآن والتسبيحات والصلاة فذلك من درجة العابدين وسير الصالحين، وتكون أيضا بذلك من الفائزين «الحالة الثالثة» أن تشتغل بما يصل منه خير للمسلمين ويدخل به سرور على قلوب المؤمنين، أو تيسر به الأعمال الصالحة للصالحين كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدين والتردد فى أشغالهم والسعى فى اطعام الفقراء والمساكين والتردد مثلا على المرضى بالعبادة وعلى الجنائز بالتشيع فكل ذلك أفضل من النوافل فأن هذه عبادات، وفيها رفق للمسلمين. «الحالة الرابعة» إن لم تقو على ذلك فاشتغل بحاجاتك اكتسابا على نفسك أو على عيالك وقد سلم المسلمون منك وأمنوا من لسانك ويدك وسلم لك دينك اذا لم ترتكب معصية فتنال به درجة أصحاب اليمين، أن لم تكن من أهل الترقى إلى مقامات السابقين فهذه أقل الدرجات فى مقامات الدين، وما بعد هذا فهو من مراتع الشياطين وذلك بأن تشتغل والعياذ بالله بما يهدم دينك أو تؤذى عبداً من عباد الله، فهذه رتبة الهالكين فأياك أن تكون فى هذه الطبقة وأعلم أن العبد فى حق دينه على ثلاث درجات اما سالم وهو المقتصر على أداء الفرائض وترك المعاصى، أو رابح وهو المتطوع بالقربات والنوافل، أو خاسر وهو المقصر عن اللوازم فان لم تقدر أن تكون رابحا فاجتهد أن تكون سالما وإياك ثم إياك أن تكون خاسراً، والعبد فى حق سائر العباد له ثلاث درجات «الأولى» أن ينزل فى حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة وهو أن يسعى فى أغراضهم رفقا بهم وادخال السرور على قلوبهم «الثانية» أن ينزل فى حقهم منزلة البهائم والجمادات فلا ينالهم خيره ولكن يكف عنهم شره «الثالث» أن ينزل في حقهم منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات لايرجى خيره ويتقى شره فأن لم تقدر أن تلتحق بافق الملائكة فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات إلى مراتب العقارب

والحيات ولاسباع الضاريات فأن رضيت لنفسك النزول من أعلى عليين فلا ترض لها بالهوى إلى أسفل السافلين فلعلك تنجو كفافا لالك ولا عليك فعليك فى بياض نهارك أن لا تشتغل إلا بما ينفعك فى معادك أو معاشك الذى لا تستغنى عنه وعن الاستعانة به على معادك أو معاشك، فإن عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس وكنت لاتسلم فالعزلة ففيها النجاة والسلامة فأن كنت الوساوس سفى العزلة تجاذبك إلى مالا يرضى الله تعالى ولم تقدر على قمعها بوظائف العبادات فعليك بالنوم فهو أحسن أحوالك وأحوالنا اذا عحزنا عن الغنيمة رضينا بالسلامة فى الهزيمة فما أحسن حال من سلامة دينه فى تعطيل حياته إذ النوم آخو الموت وهو تعطيل الحياة والتحاق بالجمادات.

آداب الاستعداد لسائر الصلوات

ينبغى أن تستعد قبل الزوال لصلاة الظهر فقدم القيلولة إن كان لك قيام فى الليل أو سهر فى الخير فأن فيها معونة على قيام الليل كما أن فى السحور معونة على صيام النهار والقيلولة من غير قيام بالليل كالسحور من غير صيام بالنهار، واجتهد أن تستيقظ قبل الزوال وتتوضأ وتحضر المسجد وتصلى تحية المسجد، وتنتظر المؤذن فتجيبه ثم تقوم فتصلى أربع ركعات عقيب الزوال، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطولهن ويقول «هذَا وَقْتٌ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ لِى فِيهِ عَمَلٌ صَالِحٌ»[1] وهذه الأربع قبل الظهر سنة مؤكدة ففى الخبر «أن من صلاهن فأحسنَ ركوعَهنَّ وسجُودَهن صلى معهَ سبَعون ألفَ ملك يَستغفِرون له إلى الليل»[2] ثم تصلى الفرض مع الإمام ثم تصلى بعد الفرض ركعتين فهما من الرواتب الثابتة، ولاتشتغل إلى العصر إلا بتعلم علم أو إعانة مسلم أو قراءة قرآن أو سعى فى معاش تستعين به على دينك.ثم تصلى أربع ركعات قبل العصر وهى سنة مؤكدة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رَحِمَ اللهُ أمْرَأً صَلَّى أَرْبَعًا قَبْلَ العَصْرِ» فاجتهد أن ينالك دعاؤه صلى الله عليه وسلم ولا تشتغل بعد العصر إلا بمثل ماسبق قبل العصر ولا ينبغى أن تكون أوقاتك مهملة فتشتغل فى كل وقت بما اتفق كيف اتفق بل ينبغى أن تحاسب نفسك وترتب أورادك وظائفك فى ليلك ونهارك وتعين لكل وقت شغلا لا تتعداه ولا تؤثر فيه سواه فبذلك تظهر بركة الأوقات. فأما اذا تركت نفسك سدى مهملا إهمال البهائم لا تدرى بماذا تشتغل فى كل وقت فينقضى أكثر أوقاتك ضائعا أو فاتك عمرك، وعمرك رأس مالك وعليه تجارتك وبه وصولك إلى نعيم دار الأبد فى جوار الله تعالى، فكل نفس من أنفاسك جوهرة لاقيمة لها اذ لابدل له فاذا فات فلا عود. فلا تكن كالحمقى المغرورين الذين يفرحون كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم فأى خير فى مال يزيدو عمر ينقص ولا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل صالح فانهما رفيقاك

---

(١) المعجم المفهرس للألفاظ الحديث ١/٢٠٥.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٢/ ٤٠٠.

يصحبانك فى القبر حيث يتخلف عنك أهلك ومالك وولدك وأصدقاؤك ثم أذا اصفرت الشمس فاجتهد أن تعود إلى المسجد قبل الغروب وتشتغل بالتسبيح والاستغفار، فأن فضل هذا الوقت كفضل ماقبل الطلوع قال الله تعالى «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهاَ»[1] وأقرأ قبل غروب الشمس «الشَّمْسِ وَضُحاَهَا»[2] «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى»[3] والمعوذتين ولتغرب عليك الشمس وأنت فى الاستغفار، فاذا سمعت الأذان فأجب وقل بعده اللهم إنى أسألك عند اقبال ليلك وأدبار نهارك وحضور صلاتك وأصوات دعاتك أن تؤتى محمداً الوسيلة والفضيلة والشرف والدرجة الرافيعة، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته أنك لاتخلف الميعاد والدعاء كما سبق. ثم صل الفرض بعد جواب المؤذن والإقامة وصل بعده ركعتين قبل أن تتكلم فهما راتبة المغرب وان صليت بعدهما أربعا فهى أيضا سنة، وان أمكنك أن تنوى الاعتكاف إلى العشاء وتحى مابين العشاءين بصلاة، فقد ورد فضل ذلك مالا يحصى وهى ناشئة الليل لأنها أول نشأته وهى صلاة الأوابين وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى «تَتَجَافَى جُنُوبُهمْ عَنِ الْمضَاجعِ»[4] فَقَالَ «هِيَ الصَّلاَةُ مابَينَ العِشاءَيْنِ إِنَّهاَ تَذْهَبُ بِمَلْغَيات أَوَّلِ النَّهارِ وَآخِرِهِ» والملغيات جمع ملغاه وهى من اللغو. فأذا دخل وقت العشاء فصل أربع ركعات قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين ففضل ذلك كثير. وفى الخبر «أن الدُّعاءَ بَينَ الأذانِ والإقامةِ لا يُردُّ»[5] ثم صل الفرض وصل الراتبة ركعتين واقرأ فيهما سورة ألم السجدة وتبارك الملك أو سورة يس والدخان فذلك مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل بعده أربع ركعات، ففى الخبر مايدل على عظيم فضلها ثم صل الوتر بعدها ثلاثا بتسليمتين أو بتسليمة واحدة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فيهما سورة سبح اسم ربك الأعلى وقل يأيها الكافرون والإخلاص والمعوذتين فإن كنت عازما

(١) ٣٩ ك ق ٥٠.

(٢) ١ ك الشمس ٩١.

(٣) ١ ك الليل ٩٢.

(٤) ١٦٦ م السجدة ٣٢.

(٥) مفتاح كنوز السنة.

على قيام الليل فأخر الوتر ليكون آخر صلاتك بالليل وترا ، ثم اشتغل بعد ذلك بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب ولاتشتغل باللهو واللعب فيكون ذلك خاتمة أعمالك قبل نومك فأن الأعمال بخواتيمها.

آداب النوم

فأذا أردت النوم فابسط فراشك مستقبل القبلة ونم على يمينك كما يضجع الميت فى لحده واعلم أن النوم مثل الموت واليقظة مثل البعث ولعل الله تعالى يقبض روحك فى ليلتك فكن مستعداً للقائه بأن تنام على طهارة وتكون وصيتك مكتوبة تحت رأسك وتنام تائبا من الذنوب مستغفراً عازماً على أن لاتعود إلى معصية، واعزم على الخير لجميع المسلمين أن بعثك الله تعالى وتذكر أنك ستضجع فى اللحد كذلك وحيدا فريدا ليس معك إلا عملك ولا تجزى إلا بسعيك ولا تستجلب النوم تكلفاً بتمهيد الفرش الوطيئة فأن النوم تعطيل الحياة إلا أذا كانت يقظتك وبالا عليك فنومك سلامة لدينك. وأعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فلا يكون نومك بالليل والنهار أكثر من ثمان ساعات فيكفيك أن عشت مثلا ستين سنة أن تضيع منها عشرين وهو ثلث عمرك وأعد عند النوم سواكك وطهورك واعزم على قيام الليل أو على القيام قبل الصبح وركعتان فى جوف الليل كنز من كنوز البر، فإستكثر من كنوزك ليوم فقرك فلن تغنى عنك كنوز الدنيا أذا مت. وقل عند نومك باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه فاغفر لى ذنبى، اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك اللهم بأسمك أحيا وأموت أعوذ بك، اللهم من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اللهم أنت خلقت نفسى وأنت تتوفاها لك محياها ومماتها أن أمتها فأغفر لها وإن أحييتها فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين، اللهم إنى أسألك العفو والعافية. اللهم أيقظنى فى أحب الساعات إليك واستعملنى بأحب الأعمال إليك حتى تقربنى إليك زلفى وتبعدنى عن سخطك بعداً أسألك

فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى، ثم اقرأ آية الكرسى وآمن الرسول إلى آخر السورة والإخلاص والمعوذتين وسورة تبارك الملك وليأخذك النوم وأنت على ذكر الله وعلى الطهارة فمن فعل ذلك عرج بروحه إلى العرش وكتب مصليا إلى أن يستيقظ، فأذا استيقظت فأرجع إلى ماعرفتك أولا وداوم على هذا الترتيب بقية عمرك فأن شقت عليك المداومة فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظاراً للضفاء وتفكر فى قصر عمرك وإن عشت مثلا مائة سنة فهى قليلة بالإضافة إلى مقامك فى الدار الآخرة وهى أبد الآباد، وتأمل أنك كيف تتحمل المشقة والذل فى طلب الدنيا شهراً أو سنة رجاء أن تستريح بها عشرين سنة مثلا فكيف لاتتحمل ذلك أياما قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد. ولاتطول أملك فيثقل عليك عملك وقدر قرب الموت وقل فى نفسك إنى أحتمل المشقة اليوم فلعلى أموت الليلة، وأصبر الليلة فلعلى أموت غدا فأن الموت لايهجم فى وقت مخصوص وحال مخصوص وسن مخصوص فلابد من هجومه فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا وأنت تعلم أنك لاتبقى فيها إلا مدة يسيرة ولعله يبق من أجلك إلا يوم واحد أو نفس واحد. فقدر هذا فى قلبك كل يوم وكلف نفسك الصبر على طاعة الله يوما يوما فأنك لو قدرت البقاء خمسين سنة وألزمتها الصبر على طاعة الله تعالى نفرت واستعصت عليك فأن فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحاً لا آخر له وإن سوفت وتساهلت جاء الموت فى وقت لاتحتسبه وتحسرت تحسراً لا آخر له وعند الصباح يحمد القوم السرى وعند الموت يأتيك خير العقبى ولتعلمن نبأه بعد حين. واذ أرشدنا إلى ترتيب الأوراد فلنذكر لك كيفية الصلاة والصوم وآدابهما وآداب القدوة والجماعة والجمعة.

آداب الصلاة

فاذا فرغت من طهارة الخبث وطهارة الحدث فى البدن والثياب والمكان، ومن ستر العورة من السرة إلى الركبة فاستقبل القبلة قائما مفرجا بين قدميك بحيث لاتضمهما واستو قائما ثم أقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا بها من الشيطان الرجيم وأحضر قلبك

وفرغه من الوسواس وأنظر بين يدى من تقوم ومن تناجى واستح أن تناجى مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوسواس الدنيا وخبائث الشهوات وأعلم أن الله تعالى مطلع على سرير تك وناظر إلى قلبك فانما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك وتواضعك وتضرعك واعبده فى صلاتك كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك فان لم تحضر قلبك ولم تسكن جوارحك فهذا لقصور معرفتك بجلال الله تعالى فقدر أن رجلا صالحا من وجوه أهل بيتك ينظر إليك ليعلم كيف صلاتك فعنـ ذلك يحضر قلبك وتسكن جوارحك ثم أرجع إلى نفسك فقل يانفس السوء ألا تستحين من خالقك ومولاك اذا قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده اطلع عليك وليس بيده نفعك ولا ضرك خشعت جوارحك وحسنت صلاتك ثم أنك تعلمين أنه مطلع عليك ولا تخشعين لعظمته أهو تعالى عندك أقل من عبد من عباده فما أشد طغيانك وجهلك وما أعظم عدواتك لنفسك فعالج قلبك بهذه الحيل فعساه أن يحضر معك فى صلاتك فأنه ليس لك من صلاتك إلا ماعقلت منها وأما ما أتيت به مع الغفلة والسهو فهو إلى الاستغفار والتكفير أحوج فاذا حضر قلبك فلا تترك الإقامة وإن كنت وحدك وإن انتظرت حضور جماعة غيرك فأذن ثم أقم فاذا أقمت فانو وقل فى قلبك أؤدى فرض الظهر لله تعالى وليكن ذلك حاضراً فى قلبك عند تكبيرك لا تغرب عنك النية قبل الفراغ من التكبيرة وأرفع يديك عند التكبير بعد ارسالهما أولا إلى منكبيك وهما مبسوطتان وأصابعهما منشورة ولاتتكلف ضمهما ولاتفريقهما وارفع يديك بحيث تحاذى بابهاميك شحمتى أذنيك ورءوس أصابعك أعالى أذنيك وتحاذى بكفيك منكبيك فاذا استقرتا فى مقرهما فكبر ثم أرسلهما برفق ولاتدفع يديك عند الرفع والأرسال إلى قدام دفعا ولا إلى الخلف رفعاً ولا تنفضهما يمينا ولا شمالا فاذا أرسلتهما فاستأنف رفعهما إلى صدرك وأكرم اليمنى بوضعها على الشمال وانشر أصابع اليمنى على طول ذراعك اليسرى واقبض بها على كوعها وقل بعد التكبير الله أكبر كبير والحمد لله كثير وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم أقرأ وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين الآيتين إلى آخرهما ثم قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم أقرأ الفاتحة بتشديداتها واجتهد فى الفرق بين الضاد والظاء فى قراءتك فى الصلاة

وقل آمين ولاتصله بقولك ولا الضالين وصلا واجهر بالقراءة فى الصبح والمغرب والعشاء أعنى الركعتين الأوليين إلا أن تكون مآموماواجهر بالتأمين واقرأ فى الصبح بعد الفاتحة من السور طوال المفصل وفى المغرب من قصاره وفى الظهر والعصر والعشاء من أوساطه نحو والسماء ذات البروج وما قاربها من السور وفى الصبح فى السفر قل يأيها الكافرون وقل هو الله أحد ولاتصل آخر السورة بتكبيرة الركوع ولكن افصل بينهما بمقدار سبحان الله وكن فى جميع قيامك مطرقا قاصراً نظرك على مصلاك فذلك أجمع لهمك وأجدر لحضور قلبك وأياك أن تلتفت يمينا وشمالا فى صلاتك. ثم كبر للركوع وارفع يديك كما سبق ومد التكبير إلى إنتهاء الركوع ثم ضع راحتيك على ركبتيك بأصابعك منشورة وانصب ركبتك ومد ظهرك وعنقك ورأسك مستويا كالصفيحة الواحدة وجاف مرفقيك عن جنبيك والمرأة لا تفعل ذلك بل تضم بعضها إلى بعض وقل سبحان ربى العظيم وبحمده وإن كنت منفرداً فالزيادة إلى السبع والعشر حسن ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائما وأرفع يديك قائلا سمع الله لمن حمد فاذا استويت قائما فقل ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شئ بعد، وإن كنت فى فريضا الصبح فاقرأ القنوت فى الركعة الثانية فى اعتدالك من الركوع ثم اسجد مكبراً غير رافع اليدين وضع أولا على الأرض ركبتيك ثم يديك ثم جبهتك مشكوفة وضع أنفك مع الجبهة وجاف مرفقيك عن جنبيك وأقل بطنك عن فخديك والمرأة لا تفعل ذلك وضع يديك على الأرض حذو منكبيك ولا تفرش ذراعيك على الأرض، وقل سبحان ربى الأعلى ثلاثا أو سبعا أو عشرا إن كنت منفردا. ثم ترفع من السجود مكبراً حتى تعتدل جالسا وأجلس على رجلك اليسرى وانصب قدمك اليمنى وضع يديك على فخذك والأصابع منشورة، وقل رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى، ثم اسجد سجدة ثانية كذلك ثم اعتدل جالسا جلسة الاستراحة فى كل ركعة لاتتشهد عقبها، ثم تقوم وتضع اليدين على الأرض ولا تقدم إحدى رجليك فى حالة الأرتفاع وإبتدئ بتكبيرة الأرتفاع عند القرب من حد جلسة الاستراحة ومدها إلى منتصف أرتفاعك إلى القيام، ولتكن هذه الجلسة جلسة خفيفة مختطفة، وصل الركعة الثانية كالأولى وأعد التعوذ فى الإبتداء ثم تجلس فى الركعة الثانية للتشهد

الأول وضع اليد اليمنى فى جلوسك للتشهد الأول على الفخذ اليمنى مقبوضة الأصابع إلا المسبحة والأبهام فترسلهما وأشربمسبحة يمناك عند قولك إلا الله لا عند لا إله، وضع اليسرى منشورة الأصابع على الفخذ اليسرى بمسبحة ممناك عند قولك واجلس على رجلك اليسرى فى هذا التشهد كما بين السجدتين وفى التشهد الأخير متوركا واستكمل الدعاء المعروف المأثور بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم، واجلس فيه على وركك الأيسر وضع رجلك اليسرى خارجة من تحتك وانصب القدم اليمنى ثم قل بعد الفراغ السلام عليكم ورحمة الله مرتين من الجانبين والتفت بحيث يرى خدك من جانبك وانو الخروج من الصلاة وانو السلام على من على جانبك من الملائكة والمسلمين وهذه هيئة صلاة المنفرد وعماد الصلاة الخشوع وحضور القلب مع القراة والذكر بالفهم، وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى كل صلاة لايحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع وقال صلى الله عليه وسلم «إِنَ العبدَ لَيُصَلّى الصلاةَ فَلاَ يُكْتَبُ لَهُ مِنهاَ سدُسُهاَ ولاَعُشُرَها وإِنماَ يُكْتَبُ لِلعَبْدِ مَنَ صَلاَتهِ بقَدَرِ ما عَقَلَض منَّهاَ»[1].

آداب الإمامة والقدوة

ينبغى للإمام أن يخفف الصلاة قال أنس[2]رضى الله عنه ماصليت خلف أحد صلاة أخف ولا أتم من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يكبر مالم يفرغ المؤذن من الإقامة وما لم تسو الصفوف ويرفع الإمام صوته بالتكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر مايسمع نفسه وينوى الإمام الإمامة لينال الفضل فأن لم ينو صحت صلاة القوم أذا نووا الإقتداء به ونالوا فضل القدوة، ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة ولاسورة فى جميع الصبح وأولتى المغرب والعشاء وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين فى الجهرية، وكذلك المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام

(١) مفتاح كنوز السنة.

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصارى المدنى، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله صحبة طويلة وحديث كثير، مات فى سنة ٩٣هـ.

معلا تعقيبا له ويسكت الإمام سكتة عقيب الفاتحة ليثوب إليه نفسه ويقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية فى هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام ولا يقرأ المأموم لسورة فى الجهرية إلا اذا لم يسمع صوت الإمام ولا يزيد على الثلاث فى تسبيحات الركوع والسجود قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. ويقتصر في الركعتين ولا يزيد فى التشهد الأول بعد الأخيرتين على الفاتحة ولايطول علي القوم ولايزيد دعاؤه فى التشهد الأخير على قدر تشهده وصلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوى الإمام عند التسليم السلام على القوم وينوى القوم بتسليمهم جوابه ويلبث الإمام ساعة بعد ما يفرغ من السلام ويقبل على الناس بوجهه ولا يلتفت إن كان خلفه النساء لينصرفن أولا ولا يقوم أحد من القوم حتى يقوم الإمام، وينصرف الإمام حيث شاء عن يمينه أو شماله واليمين أحب إليه ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء فى قنوت الصبح بل يقول اللهم أهدنا ويجهر به ويؤمن القوم ولايرفعون أيديهم إذ لم يثبت ذلك فى الأخبار ويقرأ المأموم بقية القنوت من قول أنك تقضى ولا يقضى عليك. ولا يقف المأموم وحده بل يدخل الصف أو يجر إلى نفسه غيره. ولاينبغى للمأموم أن يتقدم على الإمام فى أفعاله أو يساويه بل ينبغى أن يتأخر ولا يهوى للركوع إلا أذا إنتهى الإمام إلى حد الركوع. ولا يهوى للسجود مالم تصل جبهة الإمام إلى الأرض.

آداب الجمعة

اعلم أن الجمعة عيد المؤمنين وهو يوم شريف خص الله عز وجل به هذه الأمة وفيه ساعة مبهمة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها حاجة إلا أعطاه اياها فاستعد لها من يوم الخميس بتنظيف الثياب وبكثرة التسبيح والاستغفار عشية الخميس، فأنها ساعة توازى فى الفضل ساعة يوم الجمعة وانو صوم يوم الجمعة لكن مع السبت أو الخميس إذا جاء فى أفرادها نهى فاذا طلع عليك الصبح فاغتسل فأن غسل يوم الجمعة واجب على كل محتمل أى ثابت مؤكد. ثم تزين بالثياب البيض فأنها أحب الثياب إلى الله تعالى. واستعمل من الطيب أطيب ماعندك. وبالغ فى تنظيف بدنك بالحلق والقص

والتقليم والسواك وسائر أنواع النظافة وتطييب الرائحة، ثم بكر إلى الجامع واسع إليها على الهينة والسكينة فقد قال صلى الله عليه وسلم من راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا ومنراح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة قال فأذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلم واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون ويقال إن النظر إلى وجه الله تعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة، ثم أذا دخلت الجامع فاطلب الصف الأول فأن اجتمع الناس فلا تتخط رقابهم ولا تمر بين أيديهم وهم يصلون وأجلس بقرب حائط أو أسطوانة حتى لا يمروا بين يديك ولا تقعد حتى تصلى التحية والأحسن أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة خسمين مرة سورة الإخلاص ففى الخبر من فعل ذلك لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا تترك التحية وأن كان الإمام يخطب ومن السنة أن تقرأ فى أربع ركعات سورة الأنعام والكهف وطه ويس فأن لم تقدر فسورة يس والدخان والم السجدة وسورة الملك ولاتدع قراءة هذه السورة ليلة الجمعة ففيها فضل كثيرة ومن لم يحسن ذلك فليكثر من قراءة سورة الإخلاص واكثار الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم خاصة. ومهما خرج الإمام فاقطع الصلاة والكلام واشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة والاتعاظ بها ودع الكلام رأسا فى الخطبة ففى الخبر أن من قال لصاحبة والإمام يخطب أنصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له أى لأن قوله أنصت كلام فينبغى أن ينهى غيره بالإشارة لا باللفظ. ثم اقتد بالإمام كما سبق فاذا فرغت وسلمت فأقرأ الفاتحة قبل أن تتكلم سبع مرات والإخلاص سبعا والمعوذتين سبعا فذلك يعصمك من الجمعة إلى الجمعة الأخرى ويكون حرزاً لك من الشيطان وقل بعد ذلك اللهم ياغنى ياحميد يامبدى يامعيد يارحيم ياودود أغنى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك. ثم صل بعد الجمعة ركعتين أو أربعا وكن حسن المراقبة أو ستامثنى فكل ذلك مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحوال مختلفة. ثم لازم المسجد إلى المغرب أو إلى العصر مبهمة فى جميع اليوم فعساك أن تدركها وأنت خاشع لله متضرع للساعة الشريفة فأنها ولاتحضر في الجامع مجالس الخلق ولا مجالس

القصاص بل مجلس العلم النافع وهو الذى يزيد في خوفك من الله تعالى وينقص من رغبتك في الدنيا فكل علم لايدعك من الدنيا إلى الآخرة، فالجهل أعود عليك منه فاستعذ بالله من علم لاينفع. وأكثر الدعاء عند طلوع الشمس وعند الزوال وعند الغروب وعند الإقامة وعند صعود الخطيب المنبر وعند قيام الناس إلى الصلاة فيوشك أن تكون الساعة الشريفة فى بعض هذه الأوقات واجتهد أن تتصدق فى هذا اليوم كما تقدر عليه وإن قل فتجمع بين الصلاة والصوم والصدقة والقراءة والذكر والاعتكاف والرباط واجعل هذا اليوم من الاسبوع خاصة لأخرتك فعساه أن يكون كفارة لبقية الأسبوع.

آداب الصيام

لاينبغى أن تقتصر على صوم رمضان فتترك التجارة بالنوافل وكسب الدرجات العالية فى الفراديس فتتحسر اذا نظرت إلى الصائمين كما تنظر إلى الكواكب الدرى وهم في أعلى عليين والأيام الفاضلة التى شهدت الأخبار بفضلها وبشرفها وبجزالة الثواب في صيامها يوم عرفة لغير الحاج ويوم عرفة لغير الحاج ويوم عاشوراء والعشر الأول من ذى الحجة والعشر الأول من المحرم ورجب وشعبان، وصوم الأشهر الحرم من الفضائل وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد. وهذه فى السنة. وأما فى الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره والأيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر. وأما فى الأسبوع فيوم الأثنين والخميس والجمعة فتكفر ذنوب الأسبوع بصوم الأثنين والخميس وذنوب الشهر تكفر باليوم الأول من الشهر واليوم الأوسط واليوم الآخر والأيام البيض، وتكفر ذنوب السنة بصيام هذه الأيام والأشهر المذكورة ولا تظن اذا صمت أن الصوم هو ترك الطعام والشراب والوقاع فقط قال صلى الله عليه وسلم «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْس لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إلاَّ الجوعُ وَالْعَطَشُ» بل تمام الصيام بكف الجوارح كلها عما يكره الله تعالى بل ينبغى أن تحفظ العين عن النظر إلى الكاره واللسان عن النطق بما لايعنيك والأذن عن الاستماع إلى ماحرم الله فإن المستمع شريك

القائل وهو أحد المغتابين. وكذلك تكف جميع الجوارح كما تكف البطن والفرج ففى الخبر «خمسٌ يُفطِّرْن الصائمَ: الكذبُ والغيبةُ والنميمةُ والنظرُ بشَهوة واليمينُ الكاذبةُ: وقال صلى الله عليه وسلم «إِنَّماَ الصَّوْمُ جُنَّةٌ فإذَا كاَنَ أحدكم صائِماً فلاَ يَرْفُثْ ولاَ يَفسُقْ ولاَ يَجْهَلْ فإِنِ امرؤُ قاَتَلَهُ أوْ شاَتَمَهُ فلْيَقُلْ إِنِّى صائمٌ»[1] ثم أجتهد أن تفطر على طعام حلال ولا تستكثر فتزيد على ما تأكله كل ليلة لأجل صيامك فلا فرق اذا استوفيت ماتعتاد أن تأكله دفعة أو دفعتين وانما المقصود كسر شهوتك وتضعيف قوتك لتقوى بها على التقوى، فاذا أكلت عيش مافاتك فقد تداركت به مافاتك فلا فائدة لوصولك وقد ثقلت عليك معدتك ومامن وعاء أبغض إلى الله من بطن ملئ من حلال فكيف أذا كان من حرام. فأذا عرفت معنى الصوم فاستكثر منه ما استطعت فانه أساس العبادات ومفتاح القربات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى «كلُّ حَسنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثالِهَا إلى سَبْعِمِائةِ ضِعْفٍ إِلاَّ الصَّوْمَ فإنهُ لىِ وأنا أجزْى بهِ»[2] وقال صلى الله عليه وسلم «والذِى نفْسىِ بيَدِهِ لخُلوفُ فمِ الصَّائم أطْيبُ عندَ اللهِ منْ ريح المسكِ يَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ انما يَذَرُ شَهْوتَهُ وطعامَهُ وَشرابَهُ منْ أجلىِ فالصَّوْمُ لىِ وَأنا أجزْىَ بهِ»[3] وقال صلى الله عليه وسلم «للجَنَّةِ بَابٌ يُقاَلُ لَهُ الرَّيانُ لاَ يَدْخُلُهُ الاَّ الصَّائمون»[4] فهذا القدر يكفيك من شر الطاعات من بداية الهداية فاذا احتجت إلى الزكاة وإلى الحج أو إلى مزيد شرح الصلاة والصيام فاطلبه مما أردناه فى كتاب إحياء علوم الدين.

القسم الثانى القول فى أجتناب المعاصى

أعلم أن الدين شطران أحدهما ترك المناهى والآخر فعل الطاعات وترك المناهى وهو الأشد فان الطاعات يقدر عليها كل أحد وترك الشهوات لايقدر عليه إلا الصديقون

---

(١) انظر: مفتاح كنوز السنة.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

(٣) انظر: مفتاح كنوز السنة.

(٤) انظر: مفتاح كنوز السنة.

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «المهاجرُ من هجَرَ السوءَ والمُجَاهدُ من جاهدَ هواهُ» واعلم أنك انما تعصى الله بجوارحك وانما هى نعمة من الله عليك وأمانة لديك فاستعانتك بنعمة الله على معصيته غاية الكفران وخيانتك فى أمانة أودعكها الله غاية الطغيان فأعضاؤك رعاؤك فانظر كيف ترعاها فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك فى عرصات القيامة بلسان طلق ذلق أى فصيح تفضحك به على رؤوس الخلائق قال الله تعالى «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[1] وقال تعالى «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»[2] فاحفظ جميع بدنك وخصوصا أعضاءك السبعة فإن جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ولا يتعين لتلك الأبواب إلا من عصى الله بهذه الأعضاء السبعة وهى العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل أما العين فأنما خلقت لك لتهتدى بها فى الظلمات وتستعين بها فى الحاجات وتنظر بها إلى عجائب ملكوت الأرض والسموات وتعتبر بما فيها من الآيات فاحفظها عن ثلاث أو أربع أن تنظر بها إلى غير محرم أو إلى صورة مليحة بشهوة نفس أو تنظر بها إلى مسلم بعين الاحتقار أو تطلع بها على عيب مسلم. وأما الأذن فاحفظها عن أن تصغى بها إلى البدعة أو الغيبة أو الفحش أو الخوض فى الباطل أو ذكر مساوى الناس فانما خلقت لك لتسمع بها كلام الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكمة أوليائه وتتوصل باستفادة العلم بها إلى الملك المقيم والنعيم الدائم. فاذا أصغيت بها إلى شئ من المكاره صارما كان لك عليك وانقلب ماكان سبب فوزك وسبب هلاكك فهذه غاية الخسران. ولا تظنن أن الأثم يختص به القائل دون المستمع ففى الخبر: أن المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين. وأما اللسان فأنما خلق لك لتكثر به ذكر الله تعالى فسأل الله أن يرشد خلق الله تعالى إلى طريقه وتظهر به مافى ضميرك من حاجات دينك ودنياك فاذا استعملته فى غير ما خلق له فقد كفرت نعمة

---

(١) ٢٤ م النور ٢٤.

(٢) ٦٥ ك يس ٣٦.

الله تعالى فيه وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم فاستظهر عليه بغاية قوتك حتى لا يكبك فى قعور جهنم ففى الخبر «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لِيُضْحِكَ بِهَا أَصْحَابَهُ فَيَهْوِي بِهَا فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا»(١) وقتل شهيد فى المعركة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائل هنيئا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم «مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيما لاَ يَعْنِيه وَيَبْخَلُ بِمَا لاَ يُغْنِيهِ»(٢) فاحفظ لسانك من ثمانية الأولى الكذب فاحفظ منه لسانك فى الجد والهزل ولا تعود نفسك الكذب هزلا فيدعوك إلى الكذب فى الجد، والكذب من أمهات الكبائر. ثم انك اذا الأبواب إذما سقط عدالتك وانتفى قولك وتزدريك الأعين وتحتقرك. واذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك فأنظر إلى كذب غيرك وإلى نفرة نفسك عنه واستحقارك لصاحبه واستقباحك لما جاء به، وكذلك فافعل فى جميع عيوب نفسك فأنك لاتدرى قبح عيوبك من نفسك بل من غيرك، فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك منك لا محالة فلا ترض لنفسك ذلك «الثانية» الخلف فى الوعد فأياك أن تعد بشئ ولا تفى به بل ينبغى أن تكون إحسانك إلى الناس فعلا بلا قول فأن اضطررت الى الوعد فأياك أن تخلف لا لعجز أو ضرورة فأن ذلك من أمارات النفاق وخبائث الأخلاق قال عليه السلام «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فيه فهوَ مُنافقٌ وإِنْ صامَ وَإِنْ صلّى: مَنْ اذَا حَدَّثَ كَذَبَ واذَا وَعَدَ أَخْلَفَ واذَا أُتُمِنَ خَانَ»(٣) «الثالثة» حفظ اللسان من الغيبة، والغيبة أشد من ثلاثين زنية فى الإسلام كذلك ورد فى الخبر ومعنى الغيبة أن تذكر إنسانا بما يكرهه لو سمعه، فأنت مغتاب ظالم وإن كنت صادقا وأياك وغيبة القراء المرائين وهو أن تفهم المقصود من غير تصريح فتقول أصلحه الله فقد أساءنى وغمنى ماجرى عليه فنسأل الله أن يصلحنا واياه فان هذا جمع بين خبثين أحداهما الغيبة اذا حصل بها التفهم والآخر تزكية النفس والثناء عليها بالتحرج

---

(١) مفتاح كنوز السنة.

(٢) مفتاح كنوز السنة.

(٣) مفتاح كنوز السنة

والصلاح ولكن إن كان مقصودك من قولك أصلحه الله الدعاء له فى السر. وان أغتممت بسببه فعلامته أنك لاتريد فضيحته واظهار غيبته وفى اظهارك الغم بعيبه اظهار تعييبه ويكفيك زاجرا عن الغيبة قوله تعالى «وَلاَ يغْتَبْ بعْضُكُمْ بعْضاً أيُحبُّ أحَدُكُمْ أنْ يأكُلَ لحْمَ أخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ»[١] فقد شبهك الله بآكل لحم الميتة فما أجدر أن تحترز منها. ويمنعك عن غيبة المسلم أمر لو تفكرت فيه وهو أن تنظر فى نفسك هل فيك عيب ظاهر أو باطن وهل أنت مقارف معصية سراً أو جهراً فأذا عرفت ذلك فى نفسك فاعلم أن عجزه عن التنزه عما نسبته إليه كعجزك وعذره كعذرك، كما تكره أن تفتضح وتذكر عيوبك فهو أيضا يكرهه فأن سترته ستر الله عيبك وإن فضحته سلط الله عليك ألسنة حدادا يمزقون عرضك فى الدنيا ثم يفضحك الله فى الآخرة على رءوس الخلائق يوم القيامة وإن نظرت إلى ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما على عيب ونقص فى دين ولا دنيا فأعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحماقة ولا عيب أعظم من الحمق ولو أراد الله بك خيراً لبصرك بعيوب نفسك فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك وجهلك. ثم أن كنت صادقا فى ظنك فاشكر الله تعالى عليه ولا تفسده بسبب الناس والتمضمض بأعراضهم فأن ذلك من أعظم العيوب «الرابعة» المراء والجدال ومنافشة الناس فى الكلام فذلك فيه ايذاء للمخاطب وتجهيل له وطعن فيه وفيه ثناء على النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة والعلم ثم هو مشوش للعيش فأنك لاتمارى سفيها إلا ويؤذيك ولا تمارى حليما إلا ويقليك ويحقد عليك وقد قال صلى الله عليه وسلم «مَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فى رَبَضِ الجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي أعْلَى الجَنَّةِ»[٢] ولا ينبغى أن يخدعك الشيطان ويقول لك أظهر الحق ولا تداهن فيه فأن الشيطان أبدا فى معرض الخير فلا تكن ضحكة للشيطان يسخر بك فاظهارك الحق يستجر الحمقى إلى الشر حسن مع من يقبله منك وذلك بطريق النصيحة فى الخفية لا بطريق المماراة وللنصيحة صيغة وهيئة ويحتاج

---

(١) ١٢ م الحجرات ٤٩.

(٢) مفتاح كنوز السنة.

فيها إلى تلطف والإصارت فضيحة وصار فسادها أكثر من صلاحها. ومن خالط متفقهة العصر غلب على طبعه المراء والجدال وعسر عليه الصمت اذا ألقى عليه علماء السوء أن ذلك هو الفضل والقدرة على المحاجة والمناقشة وهو الذى يتمدح به ففر منهم فرارك من الأسد وأعلم أن المراء سبب المقت عند الله وعند الخلق «الخامسة» تزكية النفس قال الله تعالى «فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتقَى»(١) وقيل لبعض الحكماء ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه. فأياك أن تتعود ذلك. وأعلم أن ذلك ينقص من قدرك عند الناس ويوجب مقتك عند الله فأذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لايزيد فى قدرك عند غيرك فانظر إلى أقرانك اذا أثنوا على أنفسهم بالفضل والجاه والمال كيف يستنكره قلبك عليهم ويستثقله طبعك وكيف تذمهم عليه أذا فارقتهم فأعلم أنهم أيضا فى حال تزكيتك لنفسك يذمونك فى قلوبهم ناجزا وسيظهرونه بألسنتهم أذا فارقتهم «السادسة» اللعن فأياك أن تلعن شيئا مما خلق الله تعالى من حيوان أو طعام أو أنسان بعينه ولاتقطع بشهادتك على أحد من أهل القبلة بشرك أو كفر أو نفاق، فأن المطلع على السرائر هو الله تعالى فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى واعلم أنك يوم القيامة لايقال لك لم لم تلعن فلانا ولم سكت عنه بل لو لم تلعن ابليس طول عمرك ولم تشغل لسانك بذكره لم تسئل عنه ولم تطالب به يوم القيامة واذا لعنت أحد من خلق الله تعالى طولبت. ولاتذ من شيئا مما خلق الله تعالى فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم لايذم الطعام الردئ قط بل كان أذا اشتهى شيئا أكله وإلا تركه «السابعة» الدعاء على الخلق احفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى وإن ظلمك فكل أمره إلى الله تعالى ففى الحديث «إِنَّ الْمَظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَى ظَالِمِهِ حَتَّى يُكافئَه ثم يكونُ للظالم فضلُ عندَه يُطالبهُ به يومَ القيامة»(٢) وطول بعض الناس لسانه على الحجاج فقال بعض السلف: ان الله لينتقم للحجاج ممن يتعرض له بلسانه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه. «الثامنة» المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس فأحفظ

---

(١) ٣٢ م النجم ٥٣.

(٢)مفتاح كنوز السنة.

لسانك منه فى الجد والهزل فأنه يريق ماء الوجه ويسقط المهابة ويستجر الوحشة ويؤذى القلوب وهو مبدأ اللجاج والغضب والتصارم ويغرس الحقد فى القلوب فلا تمازح أحداً وإن مازحوك فلا تجبهم وأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره، وكن من الذين أذا مروا باللغو مروا كراما. فهذه فى مجامع آفات اللسان ولايعينك عليه إلا العزلة وملازمة الصمت إلا بقدر الضرورة فقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يضع حجراً فى فيه ليمنعه ذلك من الكلام بغير ضرورة ويشير إلى لسانه ويقول هذا الذى أوردنى الموارد كلها. فاحترز منه فأنه أقوى أسباب هلاكك فى الدنيا والآخرة «وأما البطن» فاحفظه من تناول الحرام والشبهة واحرص على طلب الحلال فاذا وجدته فاحرص على أن تقتصر منه على مادون الشبع، فأن الشبع يقسى القلب ويفسد الذهن ويبطل الحفظ ويثقل الأعضاء عن العبادة والعلم ويقوى الشهوات وينصر جنود الشيطان والشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف من الحرام وطلب الحلال فريضة على كل مسلم والعبادة والعلم مع أكل الحرام كالبناء على السرجين فأذا قنعت فى السنة بقيمص خشن وفى اليوم والليلة برغيفين من الخشكار وتركت التلذذ بأطيب الادم لم يعوزك من الحلال ما يكفيك والحلال كثير وليس عليك أن تتيقن بواطن الأمور بل عليك أن تحترز مما تعلم أنه حرام أو تظن أنه حرام ظنا حصل من علامة ناجزة مقرونة بالمال. أما المعلوم فظاهر وأما المظنون بعلامة فهو مال السلطان وعماله ومال من لاكسب له من النياحة أو بيع الخمر أو الربا أو المزامير الحرام حتى من علمت أن أكثر ماله حرام قطعا فما تأخذه من يده وإن وغير ذلك من آلات اللهو أمكن أن يكون حلالاً نادراً فهو حرام لأنه الغالب على الظن. ومن الحرام المحصن مايؤكل من الأوقاف من غير شرط الواقف فمن لم يشتغل بالتفقه فما يأخذه من المدارس حرام ومن أرتكب معصية ترديها شهادته فما يأخذه باسم الصوفية من وقف أو غيره حرام وقد ذكرنا مداخل الشهبات والحلال والحرام فى كتاب مفرد من كتب إحياء علوم الدين فعليك بطلبه فأن معرفة الحلال وطلبه فريضة على كل مسلم كالصلوات الخمس «وأما الفرج» فأحفظه عن كل ما حرم الله تعالى وكن كما قال الله تعالى «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا

مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ»[1] ولاتصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر وحفظ القلب عن الفكر وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع فأن هذه محركات للشهوة ومغارسها. وأما اليدان فاحفظهما عن أن تضرب بهما مسلما أو تتناول بهما ملا حراما أو تؤذى بهما أحدا من الخلق أو تخون بهما فى أمانة أو وديعة أو تكتب بهما مالا يجوز النطق به فأن القلم أحد اللسانين فأحفظ القلم عما يجب حفظ اللسان عنه «وأما الرجلان» فأحفظهما عن أن تمشى بهما إلى حرام أو تسعى بهما إلى باب سلطان ظالم فالمشى إلى السلاطين الظلمة من غير ضرورة وارهاق معصية كبيرة فانه تواضع لهم واكرام لهم على ظلمهم وقد أمر الله تعالى بالأعراض عنهم فى قوله تعالى «وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّار»[2] الآية وإن كان ذلك لسبب طلب مالهم فهو سعى إلى الحرام وقد قال صلى الله عليه وسلم «مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيٍّ صَالِحٍ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ»[3] هذا فى غنى صالح فما ظنك بالغنى الظالم وعلى الجملة فحركاتك وسكناتك بأعضائك نعمة من نعم الله تعالى عليك فلا تحرك شيئا منها فى معصية الله تعالى أصلا واستعملها فى طاعة الله تعالى واعلم أنك ان قصرت فعليك رجع وباله وإن شمرت فإليك ترجع ثمرته والله غنى عنك وعن عملك وانما كل نفس بما كسبت رهينة.وأياك أن تقول إن الله كريم رحيم يغفر الذنوب للعصاه فأن هذه كلمة حق أريد بها باطل وصاحبها مقلب بالحماقة بتقليب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال «أَلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِيَّ»[4] وأعلم أن قولك هذا أيضا هى قول من يريد أن يصير فقيها فى علوم الدين واشتغل بالبطالة وقال أن الله كريم رحيم قادر على أن يفيض على قلبى من العلوم ما أفاضه على قلوب أنبيائه وأوليائه من غير جهد وتكرار وتعلق وهو كقول من

---

(١) ٣٠ ك المعارج ٧٠.

(٢) ١١٣ ك هود ١١.

(٣) مفتاح كنوز السنة.

(٤) مفتاح كنوز السنة.

يريد مالا فترك الحراثة والتجارة والكسب وتعطل وقال أن الله كريم رحيم وله خزائن السموات والأرض وهو قادر على أن يطلعنى على كنز من الكنوز أستغنى به عن الكسب فقد فعل ذلك لبعض عباده فأنت أذا سمعت كلام هذين الرجلين استحمقتهما وسخرت منهما وإن كان ما وصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقا حقا فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر فى الدين اذا طلبت المغفرة سعى لها والله تعالى يقول «وَأَنْ لَيْسَ لِلانْسَانِ إلاَّ مَا سَعَى»[1] ويقول «إِنَّمَا تُجْزَوْنَ ماَ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»[2] ويقول «إِنَّ الأَ بْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ»[6] فاذا لم تترك السعى فى طلب العلم والمال اعتمادا على كرمه فكذلك لاتترك التزود للآخرة ولا تغتر فأن رب الدنيا والآخرة واحد وهو فيهما كريم ورحيم ليس يزيد له كرم بطاعتك وأنما كرمه فى أن ييسر لك طريق الوصول إلى الملك المقيم المخلد بالصبر على ترك الشهوات أياما قلائل وهذا نهاية الكرم فلا تحدث نفسك بتهويسات البطالين واقتد بأولى العزم والنهى من الأنبياء والصالحين ولا تطمع فى أن تحصد مالم تزرع وليت من صام وصلى وجاهد واتقى غفرله، فهذه جملة ماينبغى أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة، وأعمال هذه الجوارح أنما تترشح من صفات القلب فأن أردت حفظ الجوارح فعليك بتطهير القلب وهو التقوى الباطن والقلب هو المضغة التى أذا صلحت صلح لها الجسد كله فاشتغل بصلاحه لتصلح به جوارحك «القول فى معاصى القلب» أعلم أن الصفات المذمومة فى القلب كثيرة وتطهير القلب من رذائلها طويل وسبيل العلاج فيها غامض وقد اندرس بالكلية علمه وعمله لغفلة الخلق عن أنفسهم واشتغالهم بزخارف الدنيا وقد استقصينا ذلك كله فى كتاب إحياء علوم الدين فى ربع المهلكات أو ربع المنجيات، ولكننا نحذرك الآن ثلاثا من خبائث القلب هى الغالبة على متفقهة العصر لتأخذ منها حذرك فأنها مهلكات فى أنفسها وهى أمهات لجملة من الخبائث سواها وهى الحسد والرياء والعجب فاجتهد فى تطهير

---

(١) ٣٩ ك النجم ٥٣.

(٢) ٣٩ ك الصافات ٣٧.

(٣) ١٤ ك الأنفطار ٨٢.

قلبك منها فإن قدرت عليها فتعلم كيفية الحذر من بقيتها من ربع المهلكات فإن عجزت عن هذا فأنت عن غيره أعجز ولاتظنن أنك تسلم بنية صالحة فى تعلم العلم وفى قلبك شئ من الحسد والرياء والعجب وقد قال صلى الله عليه وسلم «ثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ شُحٌّ مُطاعٌ وَهَوىً متبعٌ وَإِعْجابُ المرءِ بِنَفْسِهِ»[1] «أما الحسد» فهو متشعب من الشح فان البخيل هو الذى يبخل بما فى يده على غيره والشحيح هو الذى يبخل بنعمة الله وهى فى خزائن قدرته لافى خزائنه على عباد الله تعالى فشحه أعظم. والحسود هوالذى يشق عليه أنعام الله تعالى من خزائن قدرته على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة فى قلوب الناس أو حظ من الحظوظ حتى أنه ليحب زوالها عنه وأن لم يحصل له من ذلك مصلحة وهذا منتهى الخبث فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الْحَسَدُ يَأكلُ الْحَسَنَاتِ كما تأكلُ النَّارُ الْحَطَبَ»[2] والحسود هو المعذب الذى لا يرحم ولا يزال فى عذاب دائم فى الدنيا، فأن الدنيا لاتخلو قط عن خلق كثير من أقرانه ومعارفه ممن أنعم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه فلا يزال فى عذاب دائم فى الدنيا إلى موته ولعذاب الآخرة أشد وأكبر بل لايصل العبد إلى حقيقة الإيمان مالم يحب لسائر المسلمين مايحب لنفسه بل ينبغى أن يساويهم فى السراء والضراء فالمسلمون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد أذا شكا منه عضو اشتكى سائر الجسد فأن كنت لاتصادف هذا من قلبك فاشتغالك بطلب التخلص من الهلاك أهم من اشتغالك بنوادر الفروع وعلم الخصومات. وأما الرياء فهو الشرك الخفى وهو أحد الشركين وذلك طلبك منزلة فى قلوب الخلق لتنال بها الجاه والحشمة وحب الجاه من الهوى المتبع وفيه هلك أكثر الناس فما أهلك الناس إلا الناس فلو أنصف الناس حقيقة لعلموا أن أكثر ماهم فيه من العلوم والعبادات فضلا عن أعمال العادات ليس يحملهم عليها إلا مراءاة الناس وهى محبطة للأعمال كما ورد فى الخبر أن الشهيد يؤمر به يوم القيامة إلى النار فيقول يارب استشهدت فى سبيك فيقول الله تعالى أردت أن يقال فلان شجاع وقد قيل ذلك

---

(١) مفتاح كنوز السنة.

(٢) مفتاح كنوز السنة.

وذلك أجرك. كذا يقال للعالم والحاج والقارئ. وأما العجب والكبر والفخر فهو الداء العضال وهو نظر العبد إلى نفسه بعين العزة والاستعظام وإلى غيره بعين الاحتقار ونتيجته على اللسان أن يقول أنا وأنا كما قال ابليس اللعين أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وثمرته فى المجالس الترفع والتقدم وطلب التصدر فى المحاورة والاستنكاف من أن يرد كلامه عليه. والمتكبر هو الذى ان وعظ أنف أو وعظ عنف وكل من رأى نفسه خيرا من أحد من خلق الله تعالى فهو متكبر، بل ينبغى لك أن تعلم أن الخير من هو خير عند الله فى دار الآخرة، وذلك غيب وهو موقوف على خاتمة فاعتقادك فى نفسك أنك خير من غيرك جهل محض، بل ينبغى أن لا تنظر إلى أحد إلا وترى أنه خير منك وأن الفضل له على نفسك فإن رأيت صغيرا قلت هذا لم يعص الله وأنا عصيته فلا شك أنه خير منى وإن رأيت كبيراً قلت هذا قد عبد الله قبلى فلا شك أنه خير منى وإن كان عالما. قلت هذا قد أعطى مالم أعط وبلغ مالم أبلغ وعلم ماجهلت فكيف أكون مثله وإن كان جاهلا قلت هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فحجة الله على آكدوما أدرى بم يختم لى وبما يختم له وإن كان كافرا قلت لا أدرى عسى أن يسلم ويختم له بخير العمل وينسل بإسلامه من الذنوب كما تنسل الشعرة من العجين وأما أنا والعياذ بالله فعسى أن يضلنى الله فأكفر فيختم لى بشر العمل فيكون هو من المقربين وأنا أكون من المعذبين فلا يخرج الكبر من قلبك إلا بأن تعرف أن الكبير من هو كبير عند الله تعالى وذلك موقوف على الخاتمة وهى مشكوك فيها فيشغلك خوف الخاتمة عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى فيقينك وإيمانك فى الحال لا يناقض تجويزك التغير فى الاستقبال فان الله مقلب القلوب يهدى من يشاء والأخبار فى الحسد والكبر والرياء والعجب كثيرة ويكفيك فيها حديث واحد جامع، فقد روى ابن المبارك باسناده عن رجل أنه قال لمعاذ يامعاذ حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت أنه لايسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لى «يا مُعاذُ إنى مُحَدِّثُكَ بِحديثٍ إِن أنتَ حَفِظتَهُ نفَعَكَ عِندَ الله وإِن أنتَ ضَيَّعْتَهُ ولمْ تَحْفَظْهُ أنْقَطعتْ حُجَّتُكَ عند الله يومَ القيامةِ يامُعاذُ أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى خلقَ سَبعةَ أملاكٍ قبل أن يَخْلُقَ السمواتِ

والأرضَ فجعلِ لكل سماءٍ منَ السَّبع مَلِكا بَوّاباً عليها فتَصعدُ الحفظةُ بِعَمل العبد من حين أصبَح إلى حينَ أمْسَى له نورُ كنورِ الشَّمسِ حتى اذا طلعتْ بهِ إلى السماءِ الدُّنيا زكَّتْهُ فكثَّرته فيقولُ الملك للحفظة اضربُوا بهذا العملِ وَجْهَ صاحِبه أنا صاحبُ الغِيبة أمرِني ربِّى أن لا أدَعَ عملَ من اعتابَ النَّاسَ يُجاوزُونى إلى غيرى قال ثم تأتى الحفَظَةُ بعملِ صالحٍ من أعمال العبد فتزكيه وتكثرُه حتى تَبْلُغَ إلى السماءِ الثانيةِ فيقول لهم الملكُ الموكّلُ بها قِفوا واضربوا بهذا العمل وجهَ صَاحِبِهِ إنه أراد بعمله عَرَضَ الدنيا أمرَني ربى أن لا أدعَ عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه كانَ يفتخرُ على الناسِ فى مجالِسِهم أنا ملكُ الفخرِ قال وتصعد الحفظةُ بِعملِ العبد يَبْتهجُ نوراً مِن صدقةٍ وصلاةٍ وصِيام وقد أعجب لحفظةً فيُجاوزونَ به إلى السماءِ الثالثةِ فيقول لهم الملكُ الموكّلُ قفوا واضرِ بوا بهذا العملِ وجهَ صاحبِهِ أنا ملكُ الكبرِ أمرنى ربِّى أن لا أدعَ عمله يُجاوزُنى إلى غيرى أنه كان يتكبَّر على الناس فى مجالسهم.قال وتَصْعَدُ الحفظة بعلم العبد يَزهُو كماَ يَزهُو الكَوكَبُ الدرى له دوِىِّ من تسبيحٍ وصلاةٍ وصِيامٍ وحَجّ وعُمرةُ حتى يُجاوَزوا به إلى السماءِ. الرابعةِ فيقول لهم الملكُ الموكّل بها قِفوا وَضربِوا بهذا العملِ وجهَ صاحبه وظَهرَه وبطنَه أنا صاحبُ العُجب أمرنى ربى أن لا أدعَ عمله يُجاوِزُنى إلى غيرى إنه كاَنَ اذا عَمِلَ عملاً أدخَل العُجبَ فيه قال وتصعَدُ الحفَظَةُ بعملِ العبدِ حتى يُجاوِزُوا به إلى السماءِ. الخامِسةِ كأنه العَروسُ المزفوفة إلى بعلها فيقولُ لهم الملكُ الموكّلُ بها قِفوا واضربِوا بهذا العملِ وجهَ صاحبه واحملِوه على عاتقه أنا ملكُ الحسد أنه كان يَحسُدُ من يتعلَّمُ ويعمَلُ بمثلِ عمله وكلُ من كان يأخُذ فضلا من العبادة كان يحسدهم ويقعُ فيهم أمرَنى ربى أن لا أدعَ عمله يُجاوِزُنى إلى غَيرى قال وتصعَدُ الحفظةُ بعملِ العبد له ضَوءُ كضوْءِ القمرِ من صلاةٍ وزكاةٍ وحَج وعمرة وجهاد وصِيام فيجاوزُون به إلى السماءِ. السادسة فيقولُ لهم الملكُ الموكّلُ بها قِفوا واضربُوا بهذا العملِ وَجهَ صاحبهِ انَّهُ كاَن لايَرحَمُ إنساناً قَطُّ من عبادِ الله أصابه بلاءُ أو مَرضُ بَل كان يَشْمتُ به أنا ملك الرحمةِ أمرنى ربى أن لا أدَعَ عملَه يُجاوِزُنى إلى غيرى قال وتصعَدُ الحفَظَة بعمل العبدِ من صلاةِ وصيام ونفقة وجهادٍ وورَع له دوِيّ كدوى النحلِ وضوءُ كضوءِ الشمس معه ثلاثةُ آلافِ ملك فيُجاوِزُن بهِ إلى السماءِ السابعةِ فيقولُ لهم الملك الموكّلُ بها قِفوا واضرِبُوا

بهذا العمل وجهَ صاحِبه واضرِبُوا جوارِحَه وأَقفِلوا به على قلبهِ أنا صاحب الذكر فانى أحجُبُ عن ربى كلَّ عملٍ لم يُرَدْ به وجه ربى انما أراد بعمله غير الله تعالى إنه أراد به رِفعَةً عند الفقهاءِ وذِكرا عند العُلماء وصِيتا فى المدائن أمرنى ربى لا أدعَ عمله يُجاوِزنى إلى غيرى وكلُّ عملَ لم يكن لله خالصا فهو رياءُ قال وتصعدُ الحفظةُ بعمل العبدِ من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحج وعُمرة ولا يقبَلُ اللهُ عَمَلَ المرائى وخلُقٌ حسن وصَمت وذِكر الله تعالى وتُشيِّعُه ملائكة السَّبع السَّموات حتى يقطعوا الحجُبَ كلها إلى الله تعالى فيقفونَ بينَ يديْهِ يشهدُون له بالعملِ الصالحِ المخلَصِ لله تعالى فيقولُ اللهُ تعالَى أَنْتُمُ الحَفَظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِى وَأَنا الرَّقيبُ عَلَى قَلْبِه إِنَّهُ لَمْ يُودْنِى بهذَا العَمَلِ وَأَرادَبه غَيْرِى فَعَلَيْه لَعْنَتى فَتَقُولُ المَلاَئكَةُ كلُّهاَ عَلَيْهِ لَعْنَتُكَ وَلَعْنَتُناَ وَتَلْعَنُهُ السَّبْعُ السَّمَوَاتُ وَمَنْ فيهنَّ فبكَى مُعاذُ قاَلَ معاذُ قُلْتُ يَارَسُولَ الله أَنْتَ رَسُولُ الله وَأَنامُعاذُ فَكَيْفَ لِى بالخلاصِ وَالنجاةِ قاَلَ أَقْتَدِ بى وَإِنْ كانَ فى عَمَلِكَ نَقْصٌ يامُعاذُ حَافِظْ عَلى لِسَانِكَ مِنَ الوَقيعَةِ فى إِخْوَانكَ مِنْ حَمَلَةِ القُرآنِ وَحمِلْ ذُنُوبَكَ عَلَيْكَ ولا تحملها عليهم ولاَ تُزَكِّ نَفْسَكَ عَلَيهم وَتَذمَّهُمْ وَلاَ تَرفعْ نَفْسَكَ عَليهمْ وَلاَ تُدْخِلْ عَمَلَ الدُّنْيا فى عَمَلِ الآخرَةِ وَلاَ تَتَكَبَّرْفى مجْلِسكَ لِكَىْ يَحْذَرَ النَّاسُ مِنْ خُلُقِكَ وَلاَ تُناجِ رَجُلاً وَعِنْدَكَ آخَرُ وَلاَ تَتَعَظَّمْ عَلَى النَّاسِ فَتَنقَطِعَ عَنْكَ خَيْرَاتُ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَلاَ تُمَزِّقِ النَّاسَ فَتُمَزِّقَكَ كلاَبُ النَّار يَوْمَ القِيامَةِ فِى النَّار قَالَ اللهُ تَعَالَى «وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا» هَلْ تَدْرِى مَا هُنَّ يَامُعَاذُ قُلْتُ مَاهِىَ بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى يَارَسُولَ الله قَالَ كلاَبُ فى النَّارِ تَنْشُطُ اللَّحْمَ مِنَ العَظْمِ قُلْتُ بأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى يَارَسُولَ الله مَنْ يُطِيقُ هَذِهِ الخصَالَ وَمَنْ يَنْجُو مِنهَا قَالَ يَامُعَاذُ إِنَّهُ لَيَسِيرُ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ» قال خالد بن معدان فما رأيت أحداً أكثر تلاوة للقرآن العظيم من معاذ لهذا الحديث العظيم فتأمل أيها الراغب فى العلم هذه الخصال واعلم أن أعظم الأسباب فى رسوخ هذه الخبائث فى القلب طلب العلم لأجل المباهاة والمناقشة فالعامى بمعزل عن أكثر هذه الخصال والمتفقه مستهدف لها وهو معرض للهلاك بسببها فانُظر أى أمورك أهم أن تتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات وتشتغل باصلاح قلبك وعمارة آخرتك أم الأهم أن تخوض مع الخائضين فتطلب من العلم ماهو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب حتى تهلك مع الهالكين واعلم أن هذه الخصال

الثلاث من أمهات خبائث القلب ولها مغرس واحد وهو حب الدنيا ولذلك قال رسول الله صلىالله عليه وسلم «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»[1] ومع هذا فالدنيا مزرعة للآخرة فمن أخذ من الدنيا بقدر الضرورة يستعين به على الآخرة فالدنيا مزرعته ومن أراد الدنيا ليتنعم بها فالدنيا مهلكته فهذه نبذة يسيرة من ظاهر علم التقوى وهى بداية الهداية فأن جربت نفسك فيها وطاوعتك عليها فعليك بكتاب إحياء علوم الدين لتعرف كيفية الوصول إلى باطن التقوى فأذا عمرت بالتقوى باطن قلبك فعند ذلك ترتفع الحجب بينك وبين ربك وتنكشف لك أنوار المعارف وتنفجر الحكمة وتتضح لك أسرار الملك والملكوت ويتيسر لك من العلوم ما تستحقر به هذه العلوم المحدثة التى لم يكن لها ذكرفى زمن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين. وإن كنت تطلب العلم من القيل والقال والمراء والجدال فما أعظم مصيبتك وما أطول تعبك وأعظم حرمانك وخسرانك فعمل ماشئت فأن الدنيا التى تطلبها بالدين لاتسلم لك والآخرة تسلب منك، ومن طلب الدنيا بالدين خسرهما جميعا ومن ترك الدنيا للدين ربحهما جميعا. فهذه جمل الهداية إلى بداية الطريق فى معاملتك مع الله تعالى بأداء أوامره واجتناب نواهيه. وأشير عليك الآن بجمل من الآداب لتؤاخذ بها نفسك فى مخالطتك مع عباد الله تعالى وصحبتك معهم فى الدنيا

«القول فى آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق سبحانه وتعالى ومع الخلق»

أعلم أن صاحبك الذى لا يفارقك فى حضرك وسفرك بل فى حياتك وموتك وهو ربك وسيدك ومولاك وخالقك ومهما ذكرته فهو جليسك إذ قال الله تعالى «أنَا جلِيسُ مَنْ ذكَرَنى»[2] ومهما انكسر قلبك حزنا على تقصيرك فى حق دينك فهو صاحبك وملازمك إذ قال الله تعالى «أنا عندَ المنكسرةِ قلوبُهم مِنْ أجْلى» فلو عرفته حق معرفته لاتخذته صاحبا وتركت الناس جانبا فإن لم تقدر على ذلك فى جميع أوقاتك

(١) مفتاح كنوز السنة.

(٢) مفتاح كنوز السنة

فأياك أن تخلى ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه لمولاك وتتلذذ معه بمناجاتك وعند ذلك فعليك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى «وآدابها» أطراق الرأس وغض الطرف وجمع الهم ودوام الصمت وسكون الجوارح ومبادرة الأمر واجتناب النهى وقلة الأعتراض على القدر ودوام الذكر وملازمة الفكر وإيثار الحق على الباطل والاياس عن الخلق والخضوع تحت الهيبة والإنكسار تحت الحياء والكسب ثقة بالضمان والتوكل على فضل الله معرفة بحسن الاختيار.وهذا كله ينبغى أن يكون شعارك فى جميع ليلك ونهارك فأن آداب الصحبة مع صاحب لايفارفونك والخلق يفارقونك فى بعض أوقاتك.

إن كنت عالماً فآداب العلم سبعة عشر: الاحتمال ولزوم الحلم والجلوس بالهيبة على سمت الوقار مع اطراق الرأس وترك الكبر على جميع العباد إلا على الظلمة زجراً لهم عن الظلم وإيثار التواضع فى المحافل والمجالس وترك الهزل والدعابة والرفق بالمتعلم والتأنى بالمتعجرف وإصلاح البليد بحسن الارشاد وترك الحرد عليه وترك الأنفة من قول لاأدرى وصرف الهمة إلى السائل وتفهم سؤاله وقبول الحجة والانقياد للحق بالرجوع إليه عن الهفوة ومنع المتعلم كل علم يضره وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى وصد المتعلم عن أن يشغل نفسه بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين وفرض عينه إصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى ومؤاخذة نفسه أولا بالتقوى ليقتدى المتعلم أولا بأعماله ويستفيد ثانيا من أقواله.وأن كنت متعلما فآداب المتعلم مع العالم أن يبدأه بالتحية والسلام وأن يقل بين يديه الكلام ولا يتكلم مالم يسأله أستاذه ولا يسأل أولا مالم يستأذن ولايقول فى معارضة قوله قال فلان بخلاف ماقلت ولايشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه ولايشاور جليسه فى مجلسه ولا يلتفت إلى الجوانب بل يجلس مطرقا ساكنا متأدبا كأنه فى الصلاة ولا يكثر عليه عند ملله وإذا قام قام له ولا يتعبه بكلامه وسؤاله ولايسأله فى طريقه إلى أن يبلغ إلى منزله ولا يسئ الظن به فى أفعال ظاهرها منكر عنده فهو أعلم بأسراره وليذكر عند ذلك قول موسى للخضر عليهما السلام أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمراو كونه مخطئا فى إنكاره اعتماداً على ظاهرة. وإن كان لك والدان فأدب الولد مع الوالدين أن يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمتثل أمرهما ولا يمشى أمامهما ولا يرفع صوته فوق

أصواتهما ويلبى دعوتهما ويحرص على مرضاتهما ويخفض لهما الجناح ولايمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما ولا ينظر إليهما شزراً ولا يقطب وجهه فى وجوههما ولا يسافر إلا باذنهما، واعلم أن الناس بعد هؤلاء فى حقك ثلاثة أضعاف إما أصدقاء وإما معاريف وإما مجاهيل فإن بليت بالعوام المجهولين فأداب مجالسة العامة ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عمايجرى من سوء الفاظهم والاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة إليهم والتنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم وأما الاخوان والأصدقاء فعليك فيهم وظيفتان «احداهما» أن تطلب أولا شروط الصحبة والصداقة فلا تؤاخ إلا من يصلح للأخوة والصداقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الْمرْء عَلَى دِينِ خَلِيلِه فَلْيَنْظُرْ أحَدُكُمْ مَنْ يُخالِلُ» فأذا طلبت رفيقا ليكون شريكك فى التعلم وصاحبك فى أمر دينك ودنياك فراع فيه خمس خصال: الأولى العقل فلا خير فى صحبة الأحمق فإلى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق. قال على رضى الله عنه: فلا تصحب أخا الجهل واياك واياه فكم من جاهل أردى حليما حين وأخاه يقاس المرء بالمرء اذا ما المرء ماشاه كجذو النعل بالنعل اذا ما النعل حاذاه ،للشئ من الشئ، مقاييس واشباه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه الثانية حسن الخلق فلا تصحب من ساء خلقه وهو الذى لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة وقد جمعه علقمة العطاردى رحمه الله تعالى فى وصيته لابنه لما حضرته الوفاة فقال: يابنى اذا أردت صحبة انسان فاصحب من أذا خدمته صانك وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك. اصحب من أذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها. وإن رأى منك سيئة سدها. اصحب من أذا قلت صدق قولك واذا حاولت أمرا أعانك ونصرك وإن تنازعتما فى شئ آثرك، وقال على رضى الله عنه رجزا: إن أخاك الحق من كان معك، ت فيك شمله ليجمعك، الثالث الصلاح فلا تصحب٦٤ومن اذا ريب الزمان صدعك، شئ فاسقا مصراً على معصية كبيرة لأن من يخاف الله لايصر على معصية كبيرة ومن لايخاف الله لا تؤمن غوائله بل يتغير بتغير الاعراض والأحوال قال الله تعالى لنبيه

(١) مفتاح كنوز السنة.

صلى الله عليه وسلم «وَلاَ تطعِ مَنْ أغفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا واتَّبَع هَواهُ»[١] فاحذر صحبة الفاسق فأن مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية المعصية وتهون عليك أمرها ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لا لفهم لها ولو رأوا خاتما من ذهب أو ملبوسا من حرير على فقيه لاشتد إنكارهم عليه والغيبة أشد من ذلك، الرابعة ألا يكون حريصا على الدنيا فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والإقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لايدرى فمجالسة الحريص تزيد فى حرصك ومجالسة الزاهد تزيد من زهدك، الخامسة الصدق فلا تصحب كذابا فأنك منه على غرور فأنه مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ولعلك تعدم اجتماع هذه الخصال فى سكان المدارس والمساجد فعليك بأحد الأمرين إما العزلة والأنفراد فإن فيها سلامتك وإما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم بأن تعلم إن الأخوة ثلاثة: أخ لآخرتك فلا تراع فيه إلا الدين وأخ لدنياك فلا تراع فيه إلا الخلق الحسن وأخ تستأنس به فلا تراع فيه إلا السلامة من شره وفتنته وخبثه. والناس ثلاثة: أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه فى وقت دون وقت، والآخر مثله مثل الداء لا يحتاج العبد قد يبتلى به وهو الذى لا أنس فيه ولا نفع فتجب مداراته إلى الخلاص منه وفى مشاهدته فائدة عظيمة إن وفقت لها وهو أن تشاهد من خبائث أحواله وأفعاله ما تستقبحه فتجتنبه فالسعيد من وعظ بغيره والمؤمن مرآة المؤمن وقيل لعيسى عليه السلام: من أدبكِ؟ قال ما أدبنى أحد ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته ولقد صدق صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم فلو اجتنب الناس مايكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين «الوظيفة الثانية حقوق الصحبة» فمهما انعقدت الشركة وانتظمت بينك وبين شريكك الصحبة فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة وفى القيام بها آداب وقد قال صلى الله عليه وسلم «مَثَلُ الأخَوَيْنِ مَثَلُ اليَدَيْنِ تَغسِلُ إِحْدَهُماَ الأخْرَى»[٢] ودخل صلى الله عليه وسلم

(١) مفتاح كنوز السنة.

(٢) ورد فى صحيح مسلم والبخارى.

أجمه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم وكان معه بعض أصحابه فأعطاه المستقيم وأمسك لنفسه المعوج فقال يارسول الله انك أحق منى بالمستقيم فقال صلى الله عليه وسلم «مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِباً وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ إلاَّ سُئِلَ عَنْ صُحْبَتِهِ هَلْ أَقَامَ فِيهاَ حَقَّ اللهِ تَعَالَى أَوْ أَضَاعَهُ»[1] وقَالَ صلى الله عليه وسلم «مَا أَصْطَحَبَ أَثْنَانِ قَطُّ إلاَّ وكَانَ أَحَبُّهُمَا إِلى اللهِ تَعَالَى أَرْفَقَهُمَا بِصَاحِبِهِ»[2] وآداب الصحبة إلا. يثار بالمال فإن لم يكن هذا فبذل الفضل من المال عند الحاجة والإعانة بالنفس فى الحاجات على سبيل المبادرة من غير احواج إلى التماس وكتمان السر وستر العيوب والسكوت عن تبليغ مايسوء من مذمة الناس أياه وأبلاغ مايسره من ثناء الناس عليه وحسن الإصغاء عند الحديث وترك المماراة فيه وأن يدعوه بأحد أسمائه إليه وأن يثنى عليه بما يعرف من محاسنه وأن يشكوه على صنيعه فى وجهه وأن يذب عنه فى غيبته أذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه وأن ينصحه باللطف والتعويض أذا احتاج إليه وأن يعفو عن زلته وهفوته فلا يعتب عليه وأن يدعو له فى خلوته فى حياته وبعد مماته وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته وأن يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئا من حاجته ويروح قلبه من مهماته وأن يظهر الفرح بجميع مايحتاج له من مسارة والحزن بما يناله من مكارهه وأن يضمر مثل مايظهره فيكون صادقا فى وده سرا وعلانية ويبدأه بالسلام عند اقباله وأن يوسع له فى المجلس ويخرج له من مكانه وأن يشيعه عند قيامه وأن يصمت عند كلامه وعلى الجملة فيعامله بما يجب أن يعامل به فمن لايحب لأخيه مثل مايحب لنفسه فأخوته نفاق وهى عليه فى الدنيا والآخرة وبال فهذا أدبك فى حق العوام المجهولين وفى حق الأصدقاء المؤاخين وأما القسم الثالث وهم المعارف فاحذر منهم فأنك لاترى الشر إلا مما تعرفه أما الصديق فيعينك وأما المجهول فلا يتعرض لك وإنما السر كله من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم فأقلل من المعارف ماقدرت فاذا بليت بهم فى مدرسة أو جامع أو مسجد أو بلد أو سوق فيجب أن لاتستحقر منهم أحداً فأنك لاتدرى لعله خير منك ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم فى

---

(١) ورد فى سنن ابن ماجه.

(٢) ورد فى سنن ابن ماجه.

حال دنياهم فتهلك لأن الدنيا صغيرة عند الله صغير مافيها ومهما، عظم أهل الدنيا فى قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى واياك أن تبذل لهم دينك لتنال به دنياهم فلم يفعل ذلك من أحد الأصغر فى أعينهم ثم حرم ماعندهم وإن عادوك فلا تقابلهم بالعداوة فأنك لاتطيق الصبر على مكافأتها فيذهب دينك فى عداوتهم فيطول عناؤك معهم ولا تسكن إليهم فى حال اكرامهم أياك وثنائهم عليك فى وجهك وأظهارهم المودة لك فأنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد فى المائة واحداًولا تطمع أن يكونوا لك فى العلن والسر واحداً ولاتتعجب ان ثلبك وفى غيبتك ولا تغضب منه فأنك إن أنصفت وجدت نفسك مثل ذلك حتى فى أصدقائك وأقاربك بل فى أستاذك ووالديك فأنك تذكرهم فى الغيبة بما لاتشافههم به فاقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم فأن الطامع فى الأكثر خائب فى المآل وهو ذليل لامحالة فى الحال فاذا سألت واحدا حاجة فقضاها فاشكر الله تعالى واشكره، وإن قصر فلا تعاتبه ولا تشكه فتصير عداوة وكن كالمؤمن يطلب المعاذير ولاتكن كالمنافق يطلب العيوب وقل لعله قصر لعذر له لم أطلع عليه ولا تعظن أحداً منهم مالم تتوسم فيه أولا مخايل القبول وإلا لم يستمع منك وصار خصما عليك فاذا أخطأوا فى مسألة وكانوا يأنفون من التعليم من كل أحد فلا تعلمهم فانهم يستفيدون منك علما ويصبحون لك أعداء إلا اذا تعلق ذلك بمعصية يقارفونها عن جهل منهم فاذكر الحق بلطف من غير غنف وأذا رأيت منهم كرامة وخيرآ فاشكر الله الذى حببك إليهم واذا رأيت منهم شراً فكلهم إلى الله تعالى واستعذ بالله من شرهم ولاتعاتبهم ولا تقل لهم لم لم تعرفوا حقى وأنا فلان بن فلان وأنا الفاضل فى العلوم فأن ذلك من كلام الحمقى وأشد الناس حماقة من يزكى نفسه ويثنى عليها واعلم أن الله تعالى لا يسلطهم عليك إلا لذنب سبق منك فاستغفرالله من ذنبك واعلم أن ذلك عقوبة من الله تعالى لك وكن فيما بينهم سميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بمحاسنهم صموتا عن مساويهم وأحذر مخالطة متفقهة الزمان لا سيما المشتغلين بالخلاف والجدال واحذر منهم فانهم يتربصون بك لحسدهم ريب المنون ويقطعون عليك بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون يحصون عليك عثراتك فى عشرتهم حتى يجبهوك بها فى حال غيظهم ومناظراتهم لايقيلون لك عثرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون عليك

عورة يحاسبونك على النقرة والقطمير ويحسدونك على القليل والكثير ويحرضون عليك الأخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان إن رضوا فظاهرهم الملق وإن سخطوا فباطنهم الحمق ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب. هذا حكم ماقطعت به المشاهدة على أكثرهم إلا من عصمه الله تعالى. فصحبتهم خسران ومعاشرتهم خذلان. هذا حكم من يظهر لك الصداقة فكيف من يجاهرك بالعداوة. قال القاضى ابن معروف رحمه الله: فاحذر عدوك مرة. واحذر صديقك ألف مرة.

فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضره وكذلك قيل فى المعنى: عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثر من الصحاب فأن الدا ء أكثر ماتراه يكون من الطعام أو الشراب وكن كما قال هلال بن العلا ء:

لما عفوت ولم أحقد على أحد أرحت نفسى من هم العداوات إنى أحيى عدوى عند رؤيته لأدفع الشر عنى بالتحيات وأظهر البشر للأنسان أبغضه كأنه قد ملا قلبى مسرات ولست أسلم ممن لست أعرفه فكيف أسلم من أهل المودات الناس دا ء درا ء المحض تركهم وفى الجفا ء لهم قطع الأخوات فسالم الناس تسلم من غوائلهم وكن حريصا على كسب المودات وخالق الناس واصبر مابليت بهم أصم أبكم أعمى ذاتقيات وكن أيضا كما قال بعض الحكما ء: الق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة ولا هيبة منهما، وتوقر من غير كبر، وتواضع من غير مذلة، وكن فى جميع أمورك فى أوسطها فكلا طرفى الأمور ذميم كما قيل: عليك بأوساط الأمور فأنها طريق إلى نهج الصراط قويم ولاتك فيهما مفرطا أو مفرطا فأن كلا حال الأمور ذميم ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وادخال إصبعك فى أنفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن ،جهك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وغيرها. وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنيفك وسائر ما سخصك ولا تتصنع تصنع المرأة فى التزين ولاتتبذل تبذل العبد وتوق كثيرة الكحل والإسراف

فى الدهن ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع أحداً على ظلم ولا تعلم أحدا من أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فأنهم إن رأوه قليلا هنت عليهم وإن رأوه كثيرا لم تبلغ قط رضاهم، واجفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولاتهازل أمتك ولاعبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وعجلتك وتفكر فى حجتك، ولا تكثر الإشارة بيدك ولاتكثر الإلتفات إلى ورائك ولا تجث على ركبتيك واذا هدأ غضبك فتكلم، واذا قربك السلطان فكن على حد السنان وأياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء لا تجعل مالك أكرم من عرضك. وهذا القدر يافتى يكفيك من بداية الهداية فجرب بها نفسك فأنها ثلاثة أقسام: قسم آداب الطاعات وقسم فى ترك المعاصى وقسم فى مخالطة الخلق وهى جامعة جميع معاملة العبد مع الخالق والخلق فإن رأيتها مناسبة لنفسك ورأيت قلبك مائلا إليها راغباً فى العمل بها فأعلم أنك عبد نور الله قلبك بالإيمان وشرح به صدرك، وتحقق أن لهذه البداية نهاية ووراءها أسرار رأغوارا وعلوما ومكاشفات وقد أودعناها فى كتاب إحياء علوم الدين فاشتغل بتحصيله فإن رأيت نفسك تستقل العمل بهذه الوظائف وتترك هذا الفن من العلم وتقول لك نفسك أنى ينفعك هذا الفن فى محافل العلماء ومتى يقدمك هذا على الاقران والنظراء، وكيف يرفع منصبك فى مجالس الأمراء والوزراء ليوصلك إلى الصلة والأرزاق وولاية الأوقاف والقضاء فاعلم أن الشيطان قد أغواك وأنساك منقلبك ومثواك فاطلب لك شيطانا مثلك ليعلمك ما تظن أنه ينفعك ويوصلك إلى بغيتك، ثم اعلم انه قط لايصفو لك الملك فى محلتك فضلا عن قريتك وبلدك ثم يفوتك الملك المقيم والنعيم الدائم فى جوار رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم(١).

---

(١) هذا أخر ما وجد من المخطوطة والمطبوع.

المصادر والمراجع

١- الأسانيد

١- القرآن الكريم

٢- سنن الترمذى بيروت ١٩٨٤م

٣- سنن الدارقطنى بيروت ١٩٨٠م

٤- سنن ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد البافى الحلبى ـ القاهرة ١٩٥٢م

٥- سنن النسائى بيروت ١٩٨٥م

٦- صحيح البخارى تحقيق محمد فؤاد عبد البافى الحلبى ـ القاهرة ١٩٥٢م

٧- صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد البافى الحلبى ـ القاهرة ١٩٥٢م

٨- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث فنسيك طبعة مصورة ـ تركيا ـ ١٩٤٥م

٩- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن تحقيق محمد فؤاد عبد البافى دار الشعب ـ القاهرة ١٩٧٥م

٢- المصادر والمراجع المطبوعة

١- أسد الغابة فى معرفة الصحابة — لابن الأثير
دار الشعب ـ القاهرة ١٩٧٠م ـ ١٩٧٤م

٢- الإصابة فى أسماء الصحابة — لابن حجر العسقلانى
تحقيق على محمد البجاوى
نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٧٨م

٣- البداية والنهاية — لابن كثير القرشى
القاهرة ١٣٤٨هـ

٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع — للشوكانى
مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٤٧هـ

٥- تاج التراجم — لابن قطوبغا
بغداد ـ العراق ١٩٦٢م

٦- تاريخ الإسلام — للذهبى
دار صادر ـ بيروت ١٩٨٥م ـ ١٩٨٨م

٧- تاريخ بغداد — للخطيب البغدادى
الخانجى ـ القاهرة ١٣٤٩هـ

٨- تاريخ مكة — للازرقى
بيروت ـ ١٩٨٥م

٩- تاريخ مكة والمدينة — للعاقولى
تحقيق الدكتور محمد زينهم محمد
مدبولى ـ القاهرة ١٩٨٩م

١٠- تبصير المنتبة — لابن حجر العسقلانى
تحقيق على محمد البجاوى
القاهرة ١٩٦٦م

١١- تبيين كذب المفترى — لابن عساكر
نشره القدسى ـ دمشق ١٩٢٧م

١٢- تذكرة الحفاظ — للذهبى
تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمى
حيدرآباد الهند ١٣٧٤هـ

١٣- تهذيب الأسماء واللغات — للنواوى
مطبعة المنيرة ـ القاهرة

١٤- تهذيب التهذيب — لابن حجر العسقلانى
حيدرآباد الهند ١٣٤٤هـ

١٥- الجامع الصغير — للسيوطى
طبع دار الكتب العربية الكبرى القاهرة ـ ١٣٣٠هـ

١٦- الجامع الكبير — للسيوطى
طبع دار الكتب العربية الكبرى القاهرة ـ ١٣٣٠هـ

١٧- جمهرة أنساب العرب — لابن حزم الأندلسى
تحقيق عبد السلام هارون
دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٥م

١٨- حلية الأولياء — لأبى نعيم الأصبهانى
مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٥١هـ

١٩- الرسالة المستطرفة — للكتانى
دار الفكر ـ دمشق ١٩٦٤م

٢٠- سير أعلام النبلاء — للذهبى
بيروت ـ ١٩٨٥م

٢١- شذرات الذهب — لابن العماد الحنبلى
نشره القدسى ـ القاهرة ١٣٥٠هـ

٢٢- صفوة الصفوة	لابن الجوزى الهند ١٣٥٥هـ
٢٣- طبقات ابن سعد	تحقيق إحسان عباس دار صادر ـ بيروت ١٩٦٥م
٢٤- طبقات الشافعية	للسبكى تحقيق محمود الطناحى وعبد الفتاح الحلو القاهرة ١٣٨٣هـ ـ ١٣٨٧هـ
٢٥- طبقات الشيرازى	تحقيق إحسان عباس بيروت ١٩٧٨م
٢٦- طبقات العبادى	تحقيق غوستا فيتسنام ـ ليدن ١٩٦٤م
٢٧- طبقات القراء	لابن الجزرى برجستراسر ١٩٣٣م ـ ١٩٣٥م
٢٨- طبقات القراء	للذهبى تحقيق محمد سيد جاد الحق دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٧م
٢٩- طبقات المفسرين	للداودى تحقيق على محمد عمر طبعة وهبة-القاهرة ١٩٧٢م
٣٠- طبقات المفسرين	للسيوطى طبعة وهبة ـ القاهرة ١٩٧٥م
٣١- طبقات ابن هداية الله	تحقيق عادل نويهض بيروت ١٩٧٨م
٣٢- العبر	للذهبى تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد الكويت ١٩٦٠م- ١٩٦٦م

٣٣- فوات الوفيات
لابن شاكر الكتبى
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد
القاهرة ١٩٥١م

٣٤- القاموس
للفيروز ابادى
المطبعة المصرية ١٩٣٥م

٣٥- اللباب
لابن الأثير
نشره القدسى ـ القاهرة ١٣٥٧هـ

٣٦- مرآة الجنان
لليافعى
حيدرآباد الدكن بالهند ١٣٣٨هـ

٣٧- ميزان الأعتدال
للذهبى
تحقيق على محمد البجاوى
الحلبى ـ القاهرة ١٩٦٢م

٣٨- نكت الهميان
الصفدى
تحقيق أحمد زكى
الجمالية بمصر ١٩١١م

٣٩- الوافى بالوفيات
للصفدى
استانبول ١٩٣١م

٤٠ - وفيات الأعيان
لابن خلكان
تحقيق احسان عباس
بيروت ١٩٨٤م

١- المراجع

١- أحمد أمين

* ضحى الإسلام
النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٢م
* ظهر الإسلام
النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٦م
* فجر الإسلام
النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٠م

٢- جولد تسيهر

العقيدة والشرعية فى الإسلام
ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وعلى حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق.
دار الكاتب المصرى ـ القاهرة

٣- خير الدين الزركلى

أخوان الصفا
المكتبة التجارية الكبرى ١٩٢٨م

٤- سليمان دنيا

تحقيق كتاب «معيار العلم»
* نشر دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦١م
تحقيق كتاب
* تهافت الفلاسفة
دار المعارف ـ القاهرة ١٩٥٥م

٥- محمد عاطف العراقى

مذاهب فلاسفة المشرق
* دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٨م
* الفلسفة الإسلامية
دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٨م
* النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد
دارالعارف ـ القاهرة ١٩٩٠م

فهرس الكتاب

التنفيذ الطباعي
شركة
سويدان وأبو ظاهر
بيروت . ص.ب: ١١/٩٣٥٤

الوصـــــايا

للإمام أحمد الرفاعي

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ ١٩٩٣م

الوصــــــايا

للإمام أحمد الرفاعى

تقديم وتحقيق وتعليق

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

مكتبة مدبولي

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

ويه نستعين

والصلاة والسلام على أفضل خلق الله الصادق الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً وبعد ، نقدم للمكتبة العربية كتاباً من كتب التراث الهامة والتى تتميز بطابع النواحى الصوفية وهو كتاب « الوصايا » للإمام الرفاعى .

والإمام الرفاعى : هو أبو العباس أحمد على بن أحمد بن يحيى بن حازم بن على بن رفاعة الشيخ الكبير الرفاعى البطائحى - والبطائح عدة قرى مجتمعة فى وسط الماء بين مدينتى واسط والبصرة - كان شافعى والمذهب فقيهاً . قال ابن قاضى شهبه فى طبقاته : وهو مغربى الأصل ولد فى المحرم سنة خمسمائة وتخرج بخاله الشيخ الزاهد منصور ، قال ابن خلكان : كان رجلاً صالحاً شافعياً فقيهاً انضم إليه خلق من الفقراء وأحسنوا فيه الأعتقاد ، وهم الطائفة الرفاعية يقال لهم الأحمدية والبطائحية ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية والنزول إلى التنانير وهى تضرم ناراً والدخول إلى الأقرنة وينام الواحد منهم فى جانب الفرن والخباز يخبز فى الجانب الآخر وتوقد لهم النار العظيمة ويقام السماع فيرقصون عليها إلى أن تنطفئ النار ويقال أنهم فى

بلادهم يركبون الأسود ونخو ذلك وأشباهه إنتهى .

وعن الشيخ أحمد أنه قال سلكت كل الطرق الموصلة فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الأفتقار والذل والإنكسار . فقيل له يا سيدى فكيف يكون قال : تعظم أمر الله وتشفق على خلق الله وتقتدى بسنة سيدك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد صنفت الناس فى مناقب الشيخ أحمد رحمه الله تعالى وأفردوا ترجمته وذكروا من كراماته ومقاماته أشياء حسنة . وكان فقيهاً شافعياً قرأ التنبيه ، وله شعر حسن توفى فى جمادى الأولى سنة ٥٧٨ هـ .

قال ابن كثير : ولم يعقب وانما المشيخة فى ابنى أخيه . إنتهى كلام بن قاضى شهبه . وقال فى العبر وقد كثر الزغل وأصحابه وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات وهذا لا يعرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، إنتهى . مات سنة ٥٧٨ هـ . وترك لنا جماعة لازال آثارها موجود فى وقتنا هذا.

فلهذا نقدم هذا الكتاب بطريقة مبسطة ومحققه وقد نشره قبلنا الأستاذ الكبير صلاح عزام . ونتمنى من الله عز وجل أن ينال هذا العمل رضاء الله والناس ، والله خير المعين .

السكاكينى القاهرة ١٤١٣ هـ . / ١٩٩٢ م

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

الوصية الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد خلقه محمد عبده وحبيبه ومصطفاه أما بعد .

من الفقير إلى الله أحمد بن على أبى الحسن كان الله له إلى الإمام الخليفة المطاع أمير المؤمنين أبى أحمد المستنجد[1] بالله العباسى الهاشمى أيده الله بما أيده به عباده الصالحين أمين ، وصلنا كتابك الأمر بالنصيحة والحديث (الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة) [2] .

لولا هذا الحديث لما تصديت لنصحك لأن نصيحة مثلك بارك الله بك لها شرطان . الإخلاص من الناصح والقبول بشرط العمل بالنصيحة ، من أخيه أيدك الله بتوفيقه .

يا أمير المؤمنين . إن أنت أنقذت أحكام كتاب الله تعالى تقدس فى نفسك

---

(١) هو أبو المظفر يوسف بن المقتفى ولد سنة ٥١٨ هـ . ، كان موصوفاً بالعدل والرفق والفهم الثاقب والرأى الصائب والذكاء الغالب والفضل الباهر ، له نظم بديع ونثر بليغ ومعرفة بعمل الات الفلك والإسطرلاب ، مات سنة ٦٦٤ هـ .

(٢) ورد فى صحيح البخارى ومسلم وابن حبان وسنن ابن ماجه والترمذى .

نفذت أحكام كتبك فى ملكه وإن عظمت أمر الله تعالى بإتباع رسوله عليه الصلاة والسلام ، واحتفلت بشأنه الكريم عظم الناس عما لك وولاة الأمور من قبلك ، ولا تنظر يا أمير المؤمنين ما عليه القياصرة وملوك المجوس من القوة فى ملكهم مع إنسلاخهم وبعدهم عن كل ما ذكرته فإنهم جهلوا الحق فأبعدهم عنه وقربهم من الدنيا وقربها منهم وولاهم أمر من شاء من خلقه فان ساسوهم بما تكن إليه أفئدتهم وتطمئن طباعهم دام أمرهم فى حجاب دنياهم إلى أن تنقطع حبال أجالهم ، وإن لم يسوسوهم بالرفق والمداراة وأوقعوا فيهم مايثقل عليهم سلطهم عليهم فسلب دنيا قوم بقوم والنار مأوى الكافـرين .

إما أنت يا أمير المؤمنين فحافظ ثغور وحارس دماء وأموال هزت بكل مفازاتها سيوف الإسلام لا علماً بقدومك بعد حين ولا تمهيداً لك لتفعـل برأيك ، إنما كان ذاك لله ولرسوله ، فافزع فى كل أمورك إلى الله وعظم فى كل شؤونك أمر رسول الله وأنت حينئذ فى أمان الله وظل نبيه ، ثم أن يا أمير المؤمنين كل ما يصل إلى خويصة نفسك فى هذه الدار من طعام تأكله وشراب تشربه ورداء ترتديه وظل تستظله وأجعل الشره على الدنيا بقدر ذلك وإياك وظلم العباد ، وإذا استوزرك الشيطان ورام نزغك إلى الظلم فسل نفسك أن لو كنت مسجوناً أو مظلوماً أو مقهوراً او مكذوباً عليك ما الذى تريده لنفسك من سلطانك ، وعامل الناس بما تريده لنفسك فإنك إ ن فعلت ذلك وفيت العدل والآدمية حقهما ، واعلم إن ما أنت فيه من الملك والدولة شئ يسير من ملك الله تعالى وأنت جزء صغير منه فإن رأيت لك شيئاً ونسيته وقمت تفعل فعل من يزعم مشاركته فى ملكه فأهملت حقه وغدرت خلفه يصرف عنك عونه

ونصره ولك فيمن باد عبرة ولا تنظر يا أمير المؤمنين إلى من صرفهم عن مشغلة الدنيا من أحبابه المقربين إليه كبعض الصحابة الذين نازعهم الناس وانتزعوا أزمة الدنيا من أيديهم لأن أولئك قوم أجتذبهم إليه وولى على الناس من يشاكلهم فى أعمالهم وكل عن عمله مسؤول ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾[١] .

يا أمير المؤمنين . ظلك ما أظلك ورداؤك ما سترك ، وطعامك ما أشبعك وما لك مالك منه شئ ، ﴿ وليس لك من الأمر شئ[٢] ﴾ إن ربى على مايشاء قدير تنعم أنت خاتم من خواتم القدر يطبع على أرواح الصور فيدفع الله به ، ويضع ويصل به ويقطع ، فإن أنت لزمت الأدب مع الفعال المطلق برعاية حق شرعه الذى شرع لعباده ثابك ، وأدار محور الوهب بك رب‍ءعلم بعدك ، وان اهملت أمره وهتكت ساتر خلقه دخلت فى عداد الظالمين ﴿ وما للظالمين من أنصار ﴾[٣].

يا أمير المؤمنين ، أهل الفهم السليم والذوق الصالح تجتمع هيئتهم على الحق ويتزعرعون فى بحبوحة العدل والإحسان فكبيرهم وصغيرهم أميرهم ومأمورهم حرهم وعبدهم فى الدنيا سواء ، ولكل منهم مقام معلوم . لا تشب فيهم نار الشقاق ولا يتحكم فيهم سلطان سوء الأخلاق يحكمون بما أنزل الله ولا يزالون فى أمان الله ولو أحتالوا فى الحكم فجعلوا له وجها فى الظاهر إبطنوا الباطبل يقول لهم الحكم العدل ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾[٤] فإذا أظهروا الباطل وهيئوا سبيلا شرعياً أدخلته عليتم

---

(١) ٤٩ ك الكهف ١٨ .
(٢) ١٢٨ م آل عمران ٣ .
(٣) ٢٧٠ البقرة ٢ .
(٤) ٤٧ م المائدة ٥.

وشوكتهم فى الحكم قال الحق تعالى لهم ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾(١) فإذا أظهروا الباطل وانتحلوا له سبيلا من الرأى استصغار لحكمه الشرع وتعززاً بالأمر فحكموا به ، قال لهم المنتقم الجبار ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾(٢) .

يا أمير المؤمنين أروقة الأعمال لا تعمر بأيدى الخيال ، ولا يصان حى إل بمادة جامعة ، تلصق القلوب ببعضها وتدفع النزاع والتفرقة ، وما هى والله إلا الشرع العادل والسنة المحمدية الصالحة ، وكل ذلك أمر الله الذى طبع الطباع وعلم ما تطيب له وبه يرتاح الضعيف لطلب حقه من خصمه القوى ، وأنت تدرى يا أمير المؤمنين أن ابن عمك أمام المسلمين عليا(٣) أمير المؤمنين كرم الله وجهه ورضى الله عنه حدث عن ابن عمه سيد المخلوقين أنه قال ﴿ لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير ممتنع ﴾(٤)والأمر والله كذلك . وعملت يا أمير المؤمنين من سيرة عمر بن الخطاب(٥) الفاروق الجليل رضى الله عنه أنه لم يرهب فارس والروم والمغرب والصين والهند والبربر بفرش الديباج وبسط الحرير وكؤوس الجوهر والخيول المسومة والبيوت الشاهقة والأقواس المذهبة . إنما أرهبهم بالعدل المحض وأفحم شوس رجالهم

---

(١) ٤٥ م المائدة ٥ .

(٢) ٤٤ م المائدة ٥ .

(٣) هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أبو الحسن الهاشمى قاضى الأمة وفارس الإسلام جاهد فى الله حق جهاده ، ونهض بأعباء العلم والعمل ، استشهد عام ٤٠ هـ .

(٤) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٥) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبو حفص العدوى الفاروق وزير رسول الله ﷺ ، ومن أيد الله به الإسلام ، وفتح به الأمصار ، وهو الصادق المحدث الملهم ، استشهد عام ٢٣ هـ .

بالحكمة البالغة ، لا وهى شريعة نبيك سيد الحكماء وبرهان العقلاء وإمام الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم .

ولتعلم أمطر الله على قلبك سحاب الألهام المبارك والتوفيق وأحكم أمرك بالأعوان الصالحين أهل الحكمة والنجدة ، أن الحق كمين تحت ضلوع الخاصة والعامة ، المحق منهم والمبطل ، فربما أعانك عبدك على باطلك بيده ولسانه انقياداً لوقتك ، وأنكر عليك بسره وأضمر قلبه لك بعدها السوء ، فلا يزكى ذكرك لديه ، ولو جعلته حراً ثم أكبرته ثم استوزرته بل ولو كان أشد منك وهذا سر الله المضمر فى الحق .

وأعلم أى سيدى أن جيش الملوك العدل ، وحراسهم أعمالهم ، ودفاتر أحوالهم عمالهم وأصحابهم ، وهذه الدفاتر فى أيدى العامة ، فاصلح دفتر أحوالك واحكم حراستك وأيد جيشك وعليك بأهل العقل والدين ، وإياك وأرباب القسوة والغدر والضلالة ، فهم أعداؤك وصن أمرك من أن تلعب به النساء والأحداث والذين لا نخوة لهم ، فإنهم دواعى الخراب والأضمحلال ، وإذا أحببت فحكم الإنصاف فى عملك حتى لا تقدم غير محق ، أو ترفع بغير الحق وإذا كرهت فاذكر الله ، ونزه طبعك من خور الغدر ، فإن مكانك الأمن ، يدور صاحبه مع الحق لا مع الغرض ، وإذا غضبت فاجنح للعفو ، فإن أخطأت فيه خير من أن تخطئ فى العقوبة . وأجعل بذلك ونوالك لأهل الدين والحكمة والغيرة للإسلام ، واختر منهم أشرفهم طبعاً وأكسرهم عقلاً وأوجزهم رأياً ونطقاً ، وأثبتهم حجة وأعلمهم بالله ورسوله . وساوى الناس براً وفاجراً

مؤمناً وكافراً ، فى باب عدلك واحفظ حرمة الدين وأهله وأعمل عملا تحسن به عاقبتك وإذا لقيت ربك والله ولى التوفيق . ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾[1] والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) ١٥٦ م البقرة ٢ .

الوصية الثانية

وكتب الإمام الرفاعى رضى الله عنه لسبطه السيد إبراهيم رسالة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ر ب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآل وصحبه أجمعين .

من عبد الله الفقير إلى الله أحمد بن أبى الحسن على الرفاعى الحسينى غفر الله له ولوالديه وللمسلمين إلى سبطه وولده أبى إسحق على إبراهيم الأعزب فتح الله له أبواب القول والتوفيق آمين . استدر لك فيض الوهب المطلق واستمطر لك سماء الكرم الأعم المحقق ، واسأل الله تعالى لى ولك وللمسلمين حسن البداية والخاتمة ، بداية المخلصين ، وخاتمة الناجين ، وأتحفك أى ولدى تحفة سنية تصلح بها إن شاء الله أمر دينك ودنياك ، وتكفى بعدتها شر من عاداك ، وتندرِج ببركتها فى سلك الخاص أهل المخدع الدين ارتفعوا عن مخالطة عامة الطائفة ، وسلام الله عليهم ، فانهض لحفظ هذه التحفة وأعرف قدرها ، ولا تكتمها عن أخواتك ، واعمل بها تنج وتربح وتؤيد والله الموفق المعين .

أى إبراهيم لا تعمل بالهوى وعليك بمتابعة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الأقوال والأفعال ، فإن كل طريقة خالفت الشريعة زندقة .

أى إبراهيم الفت وجهة قلبك عن غير ربك ، فإن الأغيار لا يضرون ولا ينفعون وقال ﴿ إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾[١] وحسبك من النعم والإيمان ، ومن العطايا العافية ، ومن التحف العقل ، ومن الإلهام التقوى وفى الكل ليس لك من الأمر شئ ، أن ربى على ما يشاء قدير ، لا تسقط بالتسليم حملة التكليف ، ولا تنزع بالتكليف ثوب التسليم ، ولا تركن إلى الذين ظلموا ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾[٢] ولا تهرع فى مهمات أمورك إلا إلى الله تعالى ، واتبع الوسيلة إليه بعد التقوى ، وأشرف الوسائل حبيبه عليه أفضل الصلاة والسلام ، وخذ الدعاء درعاً ، والاعتماد على الله حصناً ، واتبع ولا تبتدع ، وروح قلبك بالحسن من المباحات القولية والفعلية ، والزم الأدب مع الله وخالق الناس بخلق حسن ولا تقطع حبلك ، برؤية نفسك فإن من رأى نفسه شيئا ليس على شئ ، ولا تنحرف عن مقام العبودية ، فإن بعده مقام العبدية أجل المقامات ، قال قوم يعلو مقام المحبوبية عليه وما عرفوه أنه هو لا غيره ، وظنوا أن مقام المحبوبية مقام أهل التدلل والقول والدعوى العريضة ، والترفع والتعزز واستدلوا بهذه الأوصاف كلا لو كان ذلك لا تصف بمثل تلك الأوصاف عبد الله رسولنا محمد سيد المحبوبين عليه الصلاة والسلام على أن مقام المحبوبية مقام أهل التذلل الذين

---

(١) ١٩٦ ك الأعراف ٧ .
(٢) ٣٦ ك الإسراء ١٧ .

تحققوا بسر قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ أفلا أكون عبدا شكورا ﴾[1] ، فعرفوا عظمة السيد القادر العظيم الذى ليس كمثله شئ وهو السميع العليم ، ووقفوا على طريق الأدب ، وإن أحسن إليهم شكروه بإحسان العبودية ، وإن امتحنهم صبروا وانقطعوا عن الأغيار إليه بخالص العبدية ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾[2] .

أى إبراهيم خذ منى التحفة الجامعية بين الشكر والإنقطاع إلى الله تعالى ، واعلم أن الفتح ميزاب ماؤه هامل لا ينقطع ، ولا واسطة لأخذه من مقره ، والوقوف على سره ، إلا نبيك سيدنا وسيد العالمين عليه أكمل الصلوات والتسليمات .

أى إبراهيم إذا لازمت الباب بهذه التحفة اتقنت طريق الشكر والإلتجاء ولكلا الشأنين سر لايتم شأنه إلا للمخلص ، إلا لله الدين الخالص ، فاذا حفتك عوارف النعم فوق ما أنت فيه لا تطع فتشتغل بالنعمة عن المنعم ، بل ذلك النفس ، وتململ على الباب ، وقف فى خلوة الأدب على بساط الشكر بصحة التمكن والتخلى عن شوائب لذة النعمة متلذذاً بأنعام المنعم ، أن وجه إليك نعمته بلا حول منك ولا قوة ولا قدر ولا استحقاق ، فصلى لله ركعتين شكرا ، وباشر قراءة هذه التحفة المباركة فإنى لا أشك أن النعم ، تزيد لك بشكرك

---

(١) ورد فى مفتاح كنوز السنة .
(٢) ٩٠ ك الأنعام ٦ .

بشاهدة قوله تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾[1] ، وتصير بإذن الله تعالى ، وقرأ مهابا محبوبا نافذا الكلمة محظوظ الحرمة إن شاء الله ، وإذا طرقك طارق البلاء فقف فى خلوة الإنكسار على بساط الإضطرار ، سالكا سبيل الاعتذار متدرعا مدرع الافتقار متوكئا على عصى الاستغفار متمكنا فى مشهد التوكل عليه تعالى ، تمكن القوم الذين يؤمنون به ويشهدون الكل منه ، ولا ينقطعون عنه ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾[2] وباشر بعد هذا التجرد قراءة هذه التحفة فإنى لا أشك أن الله يدفع عنك البلاء والمحن ويصرف عنك المصائب والأحن ، ويكفيك هم النازلات ويرد عنك سهام الحادثات ، ولينصر لك لتوكلك عليه حتى لا تحتاج إلى نصرة نفسك بشاهد قوله تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾[3] .

وأعلم أى إبراهيم ، أن من النعم إبتلاء ، ومن النقمة ابتلاء ، وكلاهما ينزل بالأحباب والأعداء ، وهما من الله تعالى ، فإن أنعم على عبده وأهمل قدر النعمة بالغفلة عنه والألتفات إلى الأسباب وصرف النعمة لغير ما شرطت له ، ذلك إبتلاء لتضر فيه الإرادة الأزلية ، على وجه الحكمة الغامضة كما يريد لا كما يريد العبد ، وإن وجه نقمة على هذه فخشع لها وخضع وصبر واضطر وذل واعتذر وتنبه وتاب وأب ، فيلك النقمة ابتلاء لتنصرف به إلا رادة على الحكمة كما يرضى تعالى ، لا كما يرضى العبد بطبعه إلى الرجوع إلى ربه غاضبا طرفه عن الأغيار استحقاراً لها وعلما بعجزها ، ومقهوريتها تحت أحكام القضاء والقدر فى كل حال ، فإذا انكشف له هذا الحجاب وتحقق ما تضمنه الكتاب ، أفاض عليه بره وإحسانه وجوده وامتنانه وكفاه وصمة الإحتياج

---

(١) ٧ ك إبراهيم ١٤ .
(٢) ٥ م البقرة ٢ .
(٣) ٣ م الطلاق ٦٥ .

بالكلية هذا فى الأول وأما فى لتصرف الثانى فهو الإرشاد ، بوادر المحنة والنقمة وتقريبه إليه من طريق حلاله فى كنف جماله فحينئذ تنقشع عنه ظلمة الإكدار وثقلة الأقدار وترد عليه عوارف الكرم فيلتذ لها قلبه ، ويطيب بها لبه ، وتنتعش لها روحه ، ويعظم بها فتوحه ﴿ إن الله بصير بالعباد ﴾ فخذ الآدب فى الحالين والرضا حصنا ، والالتجاء درعا ﴿ وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا ﴾ والحمد لله رب العالمين.

(وهذا راتب التحفة)

نقرأ فاتحة الكتاب مرة ، وتستغفر الله ثلاثا ، وتذكر الله بلا إله إلا الله مائة مرة ، وتصلى على النبى ﷺ عشر مرات ، وتقرأ سورة الضحى ثلاثا وسورة ألم نشرح لك صدرك ثلاثا ، والإخلاص ، والمعوذتين والفاتحة ثلاثا ثم تقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ١٩٩ مرة (اللهم) فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها أنت ترحمنى فارحمنى رحمة تغنينى بها على رحمة من سواك يا أرحم الراحمين ثلاثا (اللهم) انى أعوذ بك من الكسل والهرم ، وسوء الكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر ثلاثا ، ربى أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق ، وأجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً (اللهم) أنى أسألك باسمائك الكريمة وصفاتك العظيمة وبكلماتك التامات كلها ، بآلائك واسرارك وانبيائك ، وأنصارك وبنبيك عبدك ورسولك ، سيد أهل حضرتك ، وعين أرباب معرفتك سيدنا محمد حبيبك ، والذى فتقت رتق المواد السابقة الأصلية وأقمت به دعائم المواد اللاحقة الفرعية ، علت الأجزاء الحادثات سببا ، ودائرة النكات المنبجسة من عالم الإيداع أحاطة وعددا ، ومنتهى الموارد المتسعة من ساحل بحر الإيجاد مدداً ، طريق سبيل التجليات السارى فى الظاهر والباطن ، ونقطة الجمع المحيطة بكل فرق ظاهر وباطن

حامل لواء ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[1] صاحب منشور ﴿ قل اننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ﴾[2] . ارزقنا اللهم منك طول الصحبة ، وكرامة الخدمة واحترام النعمة وحفظ الحرمة ، ودوام المراقبة ونور الطاعة وأجتناب المعصية وحلاوة المناجاة ، وبركة المغفرة وصدق الجنان ، وحقيقة التوكل ، وصفاء الود ، ووفاء العهد وإعتقاد الفضل وبلوغ الأمل وحسن الخاتمة بصالح العمل وشرف الستر وعزة الصبر وفخر الوقاية وسعادة الرعايا ، وجمال الوصلة والأمن من القطيعة ، والرحمة الشاملة ، والعناية الكاملة ، إنك على كل شئ قدير ، اللهم إنى اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهئ لنا من أمرنا رشداً (ثلاثا) ، ﴿ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز ﴾[3] يا كافى المهمات يارب الأرض والسموات ، أسألك بالعقيقة الجامعة المحمدية وبما أنطوى فى مضمونها من عظائم الأسرار الربانية ، بالميم الممتد إل ببحبوحة ﴿ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ﴾[4] مادة الطالعة والمشارف اللامعة ، محيا الحكمة المقبولة مدار الشريعة المنقولة ميزاب الفيوضات الهاطلة منيع العوارف المتواصلة ماهية المعرفة المطلوبة ، ميزان الطريقة المرغوبة منتهى الحقيقة المحبوبة ، محراب جامع البداية الإبداعية ، منبر بيت النهاية الإمكانية وأسألك اللهم بحاء الحسن الأعم ، والحمد الاتم حد النهايات الصاعدة فى ادراج السمو الملكوتى حيطة الغايات المتقلبة على بساط الإحسان الرحموتى حبل أحاطة معانى (حمعسق)[5] حملة دولة التصريف

---

(١) ٤ ك القلم ٦٨ .
(٢) ١٦١ ك الأنعام ٦ .
(٣) ١٩ ك الشورى ٤٢ .
(٤) ١٩ م الرحمن ٥٥ .
(٥) ١ ك الشورى ٤٢ .

الذى افزغ على النون من طريق الكاف حرف العبدية الخاصة المضمرة فى عالم (حم)[1] حالة المحبوبية المطرزة بعلم (ألم) وأسألك اللهم بميم المدد المعقود على مجمل أسرار الوجود مدة الأزل السالمة من شوائب النقصان مدة الأبد الثابتة بالوهب القديم إلى آخر الدوران ، معنى وصف القدم فى ثوب العدم ، مرجع مظاهر العدم فى عالم القدم مفتاح كنز الفرق بين العبودية والربوبية مصباح التجرد عن ملابسات الأغماض بالكلية ، منار الإخلاص المتحقق باكرام أداب المخلوقية مولى ذرة كونية ، منصة التجليات الصمدانية فى حظائر التعين الأول ، مجموع العدديات الإحسانية فى ساحة رفرف الأفاضات الأطوال وأسألك اللهم بدال الدنو الأقرب الذى لا ينفصل عن حضرة الإحسان ، دولة الإعانة المشتمل مقام سلطانها على جميع نفائس العرفان ، دائرة البرهان الكلي المترجم فى صحف الايناس درة الكيان النوعى المتوج بتج والله يعصمك من الناس إغمسنا فى أحواض سواقى مساقى برك رحمتك وقيدنا بقيود السلامة والحماية عن الوقوع فى معصيتك طهر اللهم قلوبنا من المعارضات وزك أعمالنا من الفيوضات والشبهات والهمنا خدمتك فى جميع الأوقات ، ونور قلوبنا بأنوار المكاشفات وزين ظواهرنا بأنواع العبادات ، وسير أفكارنا وافهامنا وعقولنا فى ملكوت الأرض والسموات وأجعلنا ممن يرضى بالمقدور ولا يميل إلى دار الغرور ، ويتوكل عليك فى جميع الأمور ، ويستعين بك فى نكبات الدهور (ارزقنا اللهم) لذة النظر إلى وجهك الكريم ياعلى ياعظيم ، ياعزيز ياكريم يارحمن يارحيم يا منعم يا متفضل يا من لا إله إلا هو ياحى ياقيوم ، أفض علينا سر من أسرارك يزيدنا ، تولها إليك ، واستغراقا فى

---

(١) ١ ك غافر ٤٠ ، ١ك فصلت ٤١ ، ١ك الشورى ، ١ك الجاثية ٤٥ ، ١ك الأحقاف ٤٦ ، ١ك الدخان ٤٤ ، ١ك الزخرف ٤٣ .

حجتك ، ولطفا شاملاً جليا وخفيا ، ورزقا طيبا هنيا ومريا ، وقوة فى الإيمان واليقين ، وصلابة فى الحق والدين ، وعزا بك يدوم ويتخلد وشرفا يبق ويتأيد لا يخالط تكبراً ولا عتوا ولا إرادة فساد فى الأرض ولا علوا .

اطمس اللهم جمرة الأنانية من أنفسنا بسيل سحاب التقوى وخلص أوهامنا من خيال الحول والقوة والغرور والدعوى ، الزمنا كلمة التقوى وأجعلنا أهلها واعذنا من المخالفات بوقاية شرعتك وأجعلنا محلها ، عرفنا حد البشرية بلطيفا حسانك ، ونزه قلوبنا من الغلة عنك بمحض كرمك ، وامتنانك استرنا بين عبادك بخاصة رحمتك ، وانشر علينا رداء منتك ، بخالص عنايتك ونعمتك قنا اللهم عذاب النار وفضيحة العار واكتبنا مع المصطفين الأخيار ، أيدنا بقدرتك التى لاتغلب وسر بنا بوهب إحسانك الذى لا يسلب إياك نعبد وإياك نستعين ، ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ﴾[1] ولا قدرة لمخلوق مع قدرتك ولا فعل لمصنوع دون مشيئتك . ترزق من تشاء وأنت على كل شئ قدير ، آمنا بك إيمان عبد أن بك الحاجات وتوكل عليك ملتجأنا لحولك وقوتك فى الحركات والسكنات إذعانا وتيقناً وعلما وتحققا بأن غيرك لا قوة سلطانك لا يضر ولا ينفع ولايصل ولا يقطع وأنت الضار النافع المعطى إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وارنا الباطل باطلا وأرزقنا أجتنابه ولا تجعل علينا متشابها فنتبع الهوى اللهم أنا نعوذ بك أن نموت فى طلب الدنيا أسألك اللهم بالنور اللامع والقمر الساطع والبدر الطالع والفيض الهامع والمدد الواسع نقطة مركز الباء الدائرة

(١) ١٠ ك الكهف ١٨ .

الأولية وسر أسرار الألف للقطبانية ، واسطة الكل فى مقام الجمع ووسيلة الجميع فى تجلى الفرق جوهرة خزانة قدرتك وعروس ممالك حضرتك ، مسجد محراب الوصل سيف الحق المسلول دائرة كواكب التجليان وقطب أفلاك التدليات جولة تيار أمواج بحر القدرة القاهرة لمعة بارقة أنوار الذات المقدسة الباهرة ، فسحة ميدان بازح مقر كرسى النهى والأمر رابطة طول حول عسرش التصرف فى السر والجهر ، مقام تلقى ﴿ أنا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾[١] سلطان سرير ﴿ أنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر أن شانئك هو الابتر ﴾[٢] اشرح اللهم صدورنا بالهداية كما شرحت صدره . وبسر بمزيد عوارف جودك أمورنا كما يسرت أمره وأجعلنا ممن يعرف قدر العافية ويشكرك عليها ويرضى بك كفيلا لتكون له وكيلا تول اللهم أمورنا بذاتك ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا لأحد من خلقك طرفة عين ولا أقل من ذلك وكن لنا فى كل مقام عونا وواقيا وناصرا وحاميا أرضنا اللهم فيما ترضى فيما ينزل من القضاء أغننا بالافتقار إليك ، ولا تفقرنا بأستغناء عنك ، زين سماء قلوبنا بنجوم محبتك استهلك أفعالنا فى فعلك واستفرق تقصيرنا فى طولك ، صحح اللهم فيك مرامنا ، ولا تجعل فى غيرك اهتمامنا ، جئناك بذنوبنا وتجردنا من أعذارنا فسامحنا وأغفر لنا جمل اللهم افئدتنا بسائغ شراب عنايتك وحسن أجسامنا ببرد عاميتك واردية هبتك ، وكرامتك أكفنا اللهم شر الحاسدين والمعادين وانصرنا عليهم بنصرك وتأييدك ياقوى يامعين اللهم من أرادنا بسوء فاجعل دائرة السوء عليه .

ارم اللهم نحره فى كيده وكيده فى نحره حتى يذبح بيده اضرب علينا سرادق الوقاية والرعاية واحفظنا بعساكر الأمن والصون والكفاية رد بسهم

---

(١) ١ م الفتح ٤٨ .

(٢) ٢ك الكوثر ١٠٨ .

قهرك من آذانا وأيد بمكين جبروتك مقامنا وحملنا ﴿ ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ﴾[1] وألحقنا بالصالحين .

بارك اللهم لنا فى أرزاقنا وأوقاتنا واجعل عن طريق مرضاتك إنقلاب حياتنا ومماتنا لاحظنا بعين المحنة التى لا تبقى لمنظورها ذنبا إلا وتشمله بالغفران ولا نشهد غيا إلا وتحفه بالستر وإصلاح الشأن عطف اللهم علينا قلوب أوليائك وأحبابك واكتبنا اللهم فى دفتر محبوبيك وأهل اقترابك تجاوز اللهم لنا آمالنا على ما يرضيك بغير تعب ولا نصب واكفناهم زماننا ، وصرف بدعه ونوائبه بلا سعى ولا سبب ، أقم لنا بك عزا به النوائب ومجد تتباعد عن أريكته المصائب ، وشرفا رفيعا تنقطع عنه أطنبة المتاعب ، وكرامة لا يمسها الزيغ والبهتان وقدرة لايشوبها الظلم والعدوان ، ونورا لم تمسه نار الدعوى والغرور ، وسرا لم تحط به غوائل الوسواس والشرور أثبتنا اللهم فى ديوان الصديقين وأيدنا بما أيدت به عبادك المقربين وأكرمنا بالثبات على قدم عبدك ونبيك سيدنا محمد بن عبد الله سيد المرسلين وصل اللهم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الظاهرين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، ثم تقرأ الفاتحه ثلاث ولا إله إلا الله عشر مرات والصلوات على النبى ﷺ ثلاث ، والفاتحة لأمة محمد ﷺ أجمعين ، والدعاء بما ييسره الله تعالى إنتهى .

---

(١) ١٢٦ ك الأعراف ٧ .

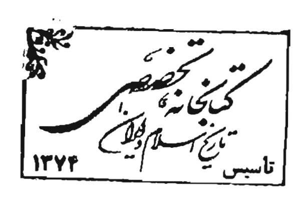
الوصية الثالثة

دعا السيد أحمد رضى الله عنه ، يوما ابن أخته السيد عبد الرحمن قدس الله روحه ، وكان يعرف منه الحدة والعجلة والغبرة العظيمة فأجلسه بين يديه وقال له كلاماً كوصيــة كتبه فى رسالة احتفظ بها - قال فيها .

أى ولدى . اعلم أنك ستعيش بعدى وبعد أخيك ويصير هذا الأمر إليك ويكون لك شأن عظيم . ودولة فى طريق الله يتحدث بها ، فاسمع الآن ما أقول لك ، عليك بالإخلاص فإنه نهج مسلك العارفين ، وعليك بقلة العجلة وقلة الكلام ولينه ، وإجابة دعوة الإخوان إلى مالهم فيه مسرة ، وصلاح حال ، وأحذر التعبيس والضجر ، وعليك بالعقل لذى هو دليلى التقى والإصلاح وعليك بالإحتمال لقومك ولو آخر جوك وعليك بالورع فهو سيد الأعمال بالصدق فى كل حال ، وبقله الدعوى كثيرة التواضع ، وكثرة العبادة ، وكثرة الحزن والبكاء ، ورقة القلب والصيام لله بحقوق القاصدين والواردين ، والعفة عن ماحرم الله عز وجل ، وإياك والنظر لغير الله تعالى ، فإنه سهم من سهام إبليس ، وأقمع النفس بكثرة الصوم وقلة النوم ، والجهاد بخدمة الفقراء وحفظ العهود والوفاء بها ويذل المجهود ، والإلتجاء إلى الملك المعبود ، وإياك أن تبيت وعندك لأحد من الخلق ضغينه أو حفظ أو غيظ ، ولا تغضب إلا لله ، وإذا حردت فأكظم غيظك ولم نفسك فإن الكريم إذا حرد لم يحقد ولم يعرف الحلم إلا عند الحرد والغيظ والضجر ، وإياك والمداهنة وإياك أن تدخر شيئا وتشاغل عما يعينك ، ولا تقل أنا ولا عندى ولا تكثر من الدنيا ولا تدخر منها ولا تفتخر

ولا تتباه ، ولا تجمع من الدنيا فوق الحاجة ، وازهد تأتيك صاغره ، وأو الغريب وأغث المحتاج والولهان ، وتمسك بطريق العارفين وأحسن للفقراء وتواضع لهم وتذلل بين أيديهم . ولا تمل إلى أهل الدنيا ودنياهم فإن الدنيا وأهلها لا قيمة لها ووسع صدرك للخلق فإنك مكلف بذلك وإذا تكلمت بكلمة فاعتبرها قبل أن تتكلم بها فإنك مالكها مالم نخرجها ، فإذا أخرجتها ملكتك فتصير أسيرا . وأن نفسك بميزان العقل والاعتبار وصفها من كدر القدر والخيانة وعذبها بعذاب الأنابه وأسقها شراب الخوف فإنك إذا فعلت ذلك قضيت لك الحوائج من حيث لا تعلم ، وأصدق باتباع نبيك عليه الصلاة والسلام والتمسك بسنته لأن الصادق فى طريقه وأفعاله تفتح له الأبواب والأقفال وتصرف عنه الأهوال ويستجاب دعاؤه فى الحال .

الوصية الرابعة



الحمد لله يا من لا يحمد غيرك ، ولا يرجى غيرك ، يا أول يا آخر ، يا باطن يا ظاهر ، يا حى يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى بعثته بالهدى لدين الحق ، وأرسلته هادياً لكافة الخلق ، فالمسعود من اقتدى به ، والمبعود من حاد عن أعتابه ، والرضوان والتحيات على آله وأصحابه وتابعيه وأحبابه والمتمسكين بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد : معاشر الإخوان ، أول ما يلزم لرياضة عقولكم أن تتفكروا بآلائه تعالت قدرته ، كيف لف لكم هذه الأرض وبسطها فأحسنها تصويراً وأدار عليها شراع السماء ، فقدرها تقديراً ، وكور ضمنها كوكب الشمس فأشبعها تكويرا ، ونشر فى مطوى العالم الأعلى هذه الكواكب طبقة بعد طبقة ، محلقة وغير محلقة ، بمض سلك الكواكب من دنياكم أكبر وبعضها من بعضها أزيد عظماً ، وأنور ذوائبها ملتفه الأشعة منعقدة على جبال الاصطدام الثابت ، وأدواره ملفوفة على مقاعد أبراجها فبعضها مغلق وبعضها ثابت وراء حجاب كل واحد منها حجب قائمة برفاف الغيوب ، فصرف على الوصول لغايتها الأبصار فأنكرتها العقول ، ودون كل جسم منها أجسام استصغرها الطرف وهى أعظم من الدنيا بالعرض والطول فأقامت بلا عمد على تلك الريح ساكن ووقفت مع تجذاباتها الطبيعية فكانت لنفسها كالأماكن ، خيام متينة على كواكب ضوئية ، تسبح فى أفلاكها بسير لا يقطع الطريق سقرطاً وتقوم فى مدارجها فلا ترفع شراع الطى هبوطاً . ولها عوالم لها ملازمة وبها لو اطلعتم

عليهم لوليتم منهم فرارا ولملئتم منهم رعبا منها كواكب التربية ، وهو الشمس النيرة ومنها كوكب التعديل وهو القمر الوهاج فالشمس أم المنافع تعتدل بها القوة المهضومة . وتتفق بشفاف أشعتها الأزهار ، وتشدو الأتربة وتنفجر المياه ، وتقوم المواد بما يناسب طبعها بانتقالها من حال إلى حال آخر ، حتى إذا أعطلت كل مادة حكمها وأنزلت كل بارزة ومطلوبة نزلها ، واحتاجت المواد والبوارز لسجف تقر المادة بلا زيادة لتأخذ منها ما يرسم فيها طور الطبع والعادة ، امتدت سجف الليل فأحكمت واردات الشمس فى الذراة ، وأعانت تلك الكوامن لواحق بعض النجوم الرقيقة ، فسرت بما يناسب سجف الليل فى الأجزاء المذكورات فيتسلسل ذلك السريان ليلة بعد ليلة حتى يبادر الهلال إلى أن يصير بداراً ، وعلى ترقيه بظهر بحكمة بارئة فى كل طور من تريقة على ما يناسبه فى الأشياء سرو يستقبل سجف الليل تمهيدا لاظهار القوه الفعالة الشمسية الفجر بنسائمه ويقابل الفجر الصباح بعلائمه ، وعلى ذلك يدور دور النهار إلى الليل ويميل كلاهما بما خلق له فى ميزانه كل الميل ، وأدوار الأرض تكر مقابلة لها فيأخذ كل قطر ما عادله من المعادلة ، وربما تمر به منه شمائم أقطار أخر تحفها دورة المبادلة ، وما تلك إلا أبعد من قرتى الفلكين وأقرب بعد لصوقها من خط الحاجين ، ونقلها وخفتها بنسبة ما ينبجس من طورها وزمانها ومن أرضها أو مكانها .

وإتماماً لإبرام القدرة بسحن البحر من معدنه الساكن فأوقفه ومد شعابه المختلفة ، وينبجس من لباب الصخور أمواهاً من عينها تجمعها المواد الرطبة القارة ، وتغلفها المقابلة الفلكية الضارة ، فتسيل مخضلة تحت تلك العلة ، وتقف معتلة إذا لحقت مادتها القلة كلها من عجيب صنعه وعظيم قدرته وبالغ حكمته ، إغاثة للأنبياء والمرسلين لإقامة لحجة على الضالين . ورفقاً بالآدميين لتكرمتهم بالعقل على بقية المخلوقين فيقف كل منهم تحت ريف نعمه التى

لا تتناهى ويتنبه كل منهم فيخضع لسلطان عزه ، الذى لا يضاهى ، وقد أضح لنا الحجة فى كل ذلك وفوق ما هنالك حبيبه ورسوله الصادق المؤيد فهل من فكرة ؟ هل من عبرة ؟ هل من عين باكية ؟ هل من أذن واعية ؟ هل من سلوك مستقيم ؟ هل من قلب سليم ؟ هذا الكون آية تدل على وحدانيته ، وهذا الرسول برهان لا يدافع دال على باب حمدانيته هذه الغفلة إلى متى والتذير العريان أبلغ وبلغ وماكتم ، وهذه الوقاحة على سيوف القدر مصلتة ، تظهر العجائب وتسوق الجبابرة إلى الحفر سوق الغنم . كل نهضة يشب لى العزم مغروراً مطمئناً فيها داعية عجز متدرجة بنفسها ، تردها إلى حدها والعزم عن ردها عاجز وعنها غافل . وكل سكنة من سكنات العقل فيها سابحة ممتزجة بسرها تطوف بها فى بحر اعتبار فنجمعها على القول بوحدانية سبحانه ، وذوق العقل عنها ذاهل كيف هذه الأنفاس تكر ؟ كيف هذه الأيام تمر ؟ كيف هذه العقول بمالا يسمن ولا يغنى من جوع ؟ كيف هذه الأوهام تتصرف عن المرئى وتسبح مع المطموس المقطوع كأنها مافهمت حكمة اللكاف والنون إنا لله وإنا إليه راجعون ، النصيحة البالغة تأخذ من القلب السليم ما أحد خاملا ، وتمر على القلب المنشو من مروراً . ترفع القلب السليم إلى الإشتغال بالله ، وترفعه عن الأغيار وتسقط فى القلب المغشوين القلق فإن دام قلقه الحق صاحبه بأهل السلامة وإن مرت القلق كما مرت النصيحة ، فقد بقى بغشه وماطار من عشه كل هذه المادة يذوفها العقل وأين هو العقل الكامل ؟ قليل لو كان أكثر العقلاء لا نبلجث الحجة ولو كثر الاختلاف تفحماً ، ولظهر السر ولو كتمته النفوس ، خدعة ودهاء العقل أمر بارز فى كرسى الدماغ ، سلطانه متحكم فى دوحة القلب لسانه تتصرف الخطرة من سافحة الخاطر وأمها طليعة فكرية اقتنصها ضابط الحفظ عن تفكر وتعقل فنوقفها الفكرة المتعلقة إلى ميزان العقل السليم ، فيأخذ بنوحيها ويطلع على خوافيها

وحواشيها ، فإن كانت لله أمضاها وإن كانت لغير الله طرحها وألقاها ، والعضل المفشوس يدور بها وهلة ويطرحها إلى ساحة الهوى ، فإن ثقلت عليه صدعتها وإن طابت له أخذ منها ، وأين يطيب للهوى الذى أنسل من روحى الشهوة والاستراحة ، عمل فيه عزيمة وخروج عن شهوة ، هنالك يذكر شرف العقل ، لقمرك ياأخا العبادة الصادقة والبصيرة الحاذقة ، إن العقل أشرف من عملك وأكمل من بصيرتك ، إذا خلت ساحتهما منه وإن مسها العقل ، فعلى قدر مساسه ترك الأعمال وتحسن الخلال والخصال ، أما والذى صرفك إلى ماتشاء .

أن العقل أنفس الذخائر وأحسن البضائع وأقرب الوسائل إلى الله وأوضح السبل إلى رسوله ﷺ ، قال فوم هو الرسول المنبعث إلى عالم الشخص ينذره ببرهانه ويدله على الله ورسوله بليانه ، ويقيم له من البارزات أكمل الدلالات ، وكذلك هو والمبعوث الذى يعذب مخالفه فهو السيد العظيم محمد ﷺ ، لقيامه بالحجج المؤيدة بالدلالات القاطعة العقلية ، إلا أن أكثر من كنوز الله إحاطة بجواهر الأدب ، ومد حبال التحكم إلى القلوب ، مادته نورية لا تضعف بتعطيل بعض الحواس ولا تدخل إلى المماثلة إلا مع المادة الروحية بالقياس ، يذهلها ذهول حجاب ألم الأعضاء ويزعجها إزعاج دهشة حب الأشياء ويصرفها عن مداركها قلق « متمكن » وخوف «مقنطر » ، وقد يكون الناس من لا تنصرف ، مادة عقله ، بكل هذا العظم هيئتها الفورية ، ولتحكمها فى برزخها القائم بها والقائم به ، فتقف عند كل حادث مع القدر إستلاما له ، وإيماناً بالله وخضوعاً لحكمه ، وغلبة عن الآثار وتمكناً فى مقام الرضا ، وتلذذاً باستفقاده تعالى فى الحياة وفرحاً بلقائه بعد الممات ، وهذا مقام الرجال المحمدين الذين عرفوا الله وآمنوا به وتوكلوا عليه ، وهم الذين قال تعالى فى شأنهم ﴿ ألا إن أولياء الله لا

خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[١] .

لا خوف عليهم لبقائهم مع إختيار الله تعالى لهم ، وهو سبحانه لا يختار كرماً منه ولطفاً لمن أسقط اختياره عنده إلا الأمن والوقاية وهو يتولى الصالحين فتقلب الواردات وترادف الحادثات ولا ينوطهم حزن الحجاب عنه سبحانه وتعالى إذا قدموا عليه ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ [٢]. وهم القوم القائمون به المطموسون عن غيره ، العقلاء الخلص ، يعرفون كل حكم وحكمة وينوية ولا يشتغلون لزهدهم فيها ، ويعلمون سر كل درجة أخروية ولا ينفكون طرباً بها عنها . وفى الحالين عملهم لله وقصدهم الله ، ولذلك قبيل لهم أهل الله ، رجال الله ، فاستمسكوا بمناجهم واتبعوا بركة آثارهم وكونوا من حزبهم وأنصارهم ﴿ أولئك حزب الله ألا أن حزب الله ، هم المفلحون ﴾[٣] .

---

(١) ٦٢ ك يونس ١٠ .
(٢) ٩٠ ك الأنعام ٦ .
(٣) ٢٢ م المجادلة ٥٨ .

الوصية الخامسة

قال رضى الله عنه ثمان وسبعين وخمسمائة قبل وفاته بأيام قلائل ، ويقال أنه آخر مجالسه المباركة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد المعتصمين بحبله ، المتوكلين عليه ، والصلاة والسلام على حبيبه نور مكنونته ، الهادى إليه ، وعلى الآل والأصحاب والأتباع والأحباب أجمعين ﴿ فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين ﴾(١) .

أى رجال الحضرة طالما خفقت فى مجالسنا أعلام الإرشاد تحت ظلال قوله تعالى ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ (٢) والآن جرت أمور اشتريناها بالأرواح . وإنى لأقول كما قال خليل الله سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ إنى ذاهب إلى ربى سيهدين رب هب لى من الصالحين ﴾ (٣) . استودعكم الله . أسأل الله أن يفتق رتق قلوبكم بمفتاح الفضل والحكمة . فتظهر بكم صولة النيابة عن النبى ﷺ فى الأمة ويجدد الله بكم شريعة حبيبه وأمر دين أمته ،

---

(١) ١٠١ ك يوسف ١٢ .
(٢) ٤١ م الحج ٢٢ .
(٣) ٩٩ ك الصافات ٣٧.

فتحسن بكم سياسة القلوب وتضىء بالاقتباس من أنوار فتوحاتكم الصدور والأفئدة ، ويصلح الله بكم الشؤون إنا لله وإنا إليه راجعون. خذوا أى خاصة أسرار الحكم الخاصة ، هذا إنسان الحال بسم الله بسم الله معراج القلوب ينصب . فتصعد عليه أجسام الهمم فتنحدر صاعدة إلى بحبوحة التعيين الأول فترقى إلى مقام الصديقية ، وتسلق ذروة مقعد صدق عند مليك مقتدر ، فتحدق بصر البصيرة فتفك مغالق النشاء الأول وتكشف مبردة الذرء فتطلع على لباب الأعيان ثم تتبع حكم النوع فتقف على ساحة تجريد حقائق التدبير ، فيندلع لسان صبح النشر من كفه طىء الأمر ، فتتكلم ذرات أحكام أنواع الحقائق بما فيها ، فيرسم فى ألواح الهم فإذا شبت نار موسى الحيرة ناداه البارى المقيم ﴿ اخلع نعليك إنك بالوادى المقدس ﴾ (١) فتنطمس الحيرة وتنجلى الحرية وتسقط القيود وتبدو المكنونات ويقول رهط سحرة الأهواء ﴿ آمنا برب العالمين ﴾ (٢) ويقول داعى الكرم للحزب والمرسل من حضرة الأمن ﴿ لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون ﴾ (٣) ويبتهج وراث أولئك الأملاك فيترنم قائلهم متصرفا عن الأكوان تالياً فى حضرة السودد الأبدى ﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا ﴾ (٤). وعلى نمط سرير الإضافة من معنى الأسرار فى راقية نغمة الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى تظهر المظاهر كل بنسبة ما استجمعه من نقود الوراثة ﴿ ثواب الله خير لمن أحسن وعمل صالحاً لا يلقاها إلا الصابرون ﴾ (٥). أصحاب القلوب الطائرة

(١)١٢ ك طة ٢٠ .
(٢) ١٢١ ك الأعراف ٧ .
(٣) ١٠ ك النمل ٢٧ .
(٤) ٤٦ ك الكهف ١٨ .
(٥) ٨٠ ك القصص ٢٨ .

بأجنحة الصفا إلى حضرة المراقبة المؤمنون بآياته سبحانه ﴿ الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم خوفاً وطمعاً ﴾(١) . ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ (٢)رضى عنهم ورضوا عنه .

مهلا أى سارح بفيفاء الاستبشار بما يبرز من كسنه الطمس ، لو كنت من أهل مرتبة الكمال الذين وصفناهم لكان لقلبك معراجاً بوصلك إى الإطلاع على الحقائق المغيبة عن غيرك ، فنشهد أساليب مضامين ماخط فى صحف الأزل ، فتمتلىء عينك وترجع القهقهرى منزويا عن صفوف الحادثات اكتفاء بما أقاض إليك فى كشفك الأول ، فننقطع عن ملاصقات كونيتك وكونيات الذرات تحت لواء ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ (٣) تشرفاً بالتخلق بأخلاق صاحب تلك الحظوة ، رب ذلك المشهد سيد سادات الوجود ، باب فيوض لرحموت ، جاذبة سلاسل العزائم فى الملكوت ، ومن هذا المقام تسترقى بنهضته إلى قضاء إطلاق تختلقوا بأخلاق الله .

أى خاصة مشهد فسيح الأكوان فى كل حلقة منسوجة منه نكتة نوعية ، ترجع دورة العقل إلى الصانع فيها من معانى الغيب مطويات . شؤون فردانية كل لسان من ألسن أجزائها يتلو ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ (٤)شامخ علم الإشارة فتتراتى على رأسه نار تحلى الرمز لإقامة الدليل على الجمع المنزه عن الألحاق المقدس بالفروق ، فيتسم ذروة طورها عزم كليم الخطاب ليشرح متن العينيه الحاكمة بالفرقية الشاملة ، فيتنادى إذ يجيئها مكتحلا باثمد الجمع

---

(١) ١٠٠ ك يوسف ١٢ .
(٢) ٥ م البقرة ٢ .
(٣)٩٩ ك الحجر ١ .
(٤) ٧٨ ك الشعراء ٢٦ .

﴿ أن بورك من فى النــار ومن حولهــا وسبحان الله رب العالمين ﴾ [1] فيرشدد ناطق التسبيح فيحجم عن نوح لتصريح والتلميـح ويرد موارد الحـدث قـائلا ﴿ سبحان الله عما يصفون أما قام لكم منار الأزل فى مشهد الأبـد ، متسلقـاً ذروة التكوين متمنطقاً بمنطق الأمــر ، مصلتـا سيـف البعثـة ناشــراً لــواء ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ [2] مجهزاً جيوش ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظةالحسنة ﴾[3] تالياً تشور ﴿ يا أيهـا النبى إنا أرسلنـاك شاهـداً ومبشــراً [4](يسأل عنا) ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً ﴾ [5]بلى كل ذلك كان أدى الأمانة وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة وأخرجها من الظلمات إلى النور ، فاثبت فى لوح العرفان أرقام الكيفيات الحادثة ومحا من صحف القلوب وأسفار العقول سطور كيف القدم ، فأجلس سلطان العقل على كرسى الأدب ، فانتهضت الروح إلى معرفة الله من طريق الأمر ولم تسلك طرق الاختيار وتحت قبض حاكم الحق ، والله لا يستحى من الحق ، وانكشف حجب العينيات فبرز طبع كل مادة وسر كل معنى بلمعة صباح تبيانه ، وتوجهت عزائم همه القاهرة للأنذار فقليل له ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [6].

فانصرفت جلجلة أنة نبل قلبه من قوس عزم سره ففتقت حجب قلوب أقرب أهله إليه ، فتمنع سلطان حضيرته فى منصة الجلال فقيل له ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ فحدق كريم حاذق بصره الخارق فى مرآة

---

(١) ٨ ك النمل ٢٧ .
(٢) ٩٤ ك الحجر ١٥ .
(٣) ١٢٥ ك النحل ١٦ .
(٤) ٤٥ م الأحزاب ٣٣ .
(٥) ٤٦ م الأحزاب ٣٣ .
(٦) ٢١٤ ك الشعراء ٢٦ .

استعدادهم ، فشهد من سقف القابلية معهم غلظة علامة الحرمان ، فقيل له توطيداً لحضرة همته السعيدة ﴿ فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون ﴾[1] فضاقت ساحة باعلاء كلمة الحق ونمم على نبات حديقة ذوقه الأشراف ، رش اليأس فحزن فقيل له تفضيلاً بكشف حزنه وتحقيق أمله وعزة قدره ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين ﴾[2] فعلمت بشريته ماعلمته روحه من حكم التقلب فى الساجدين فى البطون فيما مضى ، والتقلب فى الساجدين فيما سيكون إلى يوم الدين ، فانتصب لها على قدمى الشكر آخذاً بسلسلة النهى والأمر منصرفاً على آدميته مشتغلا بربه فقيل له ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ [3]﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ،بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ [4]ما شاء الله كان فاوضح السبل وحقق الوعد وأكمل الله به الدين وتمت به النعمة وقام عنه النواب المحمديون يأمرون بأمره وينهون بنهيه ، وانتهض لأحكامه الوراث الجامعون فاقسمت الوظيفة ، نوع باطن والأمر واحد ، ظن أن الوظيفة تشتمل على أمر باطنى غير الظاهر ، فقد أخطأ كل ديوانى يرفع فى حصرية التدلى لو برز للعامة لكان كحكم القاضى العادل ، إنما الفرق فى الوظيفة فوعها ، فالوظيفةالتى أعطيها القاضى معروفة هى وهو عند الناس ، والوظيفة التى أعطيها الوارث مخفية عن الأعين هى وهو أيضاً أحياناً ، ولم يجمع بين الوظيفتين على نمط واحد غير الخلفاء الأربعة الراشدين رضى الله عنهم ، وذلك لأنحجاب الباطنية ببردة

---

(١) ٢١٦ ك الشعراء ٢٦ .
(٢) ٢١٧ ك الشعراء ٢٦ .
(٣) ١ ك طه ٢٠ .
(٤) ٤ ك الروم ٣ .

النبوة ، وأين لهم الظهور بها مع تلاطم أمواج بحر النور المحمدى الذى شهدته الأعين وامتلأت من مهتابته القلوب وأكمل التوبة الفورية فى مقام اليضعيه ، من حيث التحلى بحلوة الطينة الذائقة الأحمدية ، إنما هى توبة السيدة البتول العذراء ، سيدتنا وقرة أعيننا فاطمة أم السبطين الزهراء سلام الله ورضوانه عليها ، وقام عنها بنوبة الجزء الأزهرى بعلها المأمون المنوه على جلالة قدره وعظيم مكانته بطالعة (على منى بمنزلة هارون من موسى) الحديث . فادع بدرع الخلافة البضعية متحكماً فى مشهد الخلافة الأمرية ، اصالة فى مشهد الخلافة البضيعةوكالة حتى لقى الله، فأدع بمطرها النورانى السبطان السعيدان الشهيدان الحسن والحسين سلام الله وتحياته عليهما بعد سبط إلى أن صينت فى مقام الكنزية المضمرة إلى ولى الله المهدى الخلق الصالح بسلام الله عليه ، فنلقاها عنه من مقام الألباس النوب الجامعون المحمديون ، فهم إلى عهدنا هذا من بنى الإمام الحسين السبط شهيد كربلاء عليه وعليهم نوافح السلام والرضوان .

نعم قام بينهم من أصحاب نيابة الجامعة رجال صدقوا منهم أناس من الفاطيين للأمهات ومنهم أناس من غير الفواطم وذلك فضل ﴿ يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾[1] وقام من أهل الخلعة لعدم استكمال الصفات الجامعة أناس من الفاطميين للأمهات لمناسبة حال الزمان ، وصفهم الذى تمكن منهم وتمكنوا منه ، فمنهم أقطاب الخلعة من غير الفاطميين سيدى شيخ الخرقة معروف الكرخى كان نائب النظر ومنهم سيدى سرى السقطى كان نائب العزم ومنهم سيدى الجنيديالبغدادى . كان نائب اللسان القائم ، ومنهم سيدى الشبلى كان نائب الهمة ومنهم سيدى سهل بن عبد الله

(١) ١٠٥ م البقرة ٢ .

التسترى كان نائب القلب ، ومن أقطاب الخلعةالكاملة من الذين لهم النسبة الفاطمية من الأمهات سيدى طلحة أبو محمد السنبكى كان نائب القدرة . ومنهم سيدى وتاجى منصور البطائحى الزبانى . كان نائب البرهان وهامة التوبة الجامعة من طريق الختيمية ، بهذا العبد الأضعف الأذل الذى لاشىء بشأنه ولا على شىء بميدانه هبة أقامها المقيم القديم بمحض الكرم ، كذا بشرنى بها رسول الرحمة فى حضرات القرب لدى صفوف عساكر الحضور ، رضينا بما رضى الله لنا .

هذه زلازل الجلال تفعل فى أرض المحجوبين فوق ما يفعله اضطراب العروق الأرضية المنفلة بأخضلال الأبخرة يوم يسوقها بمصادمة طبائعها سائق القدر ، ليخيف أقواماً ويعتبر بقدرته تعالى آخرون ، إلا أن من أعراق الجلال رجال النوبة الجامعة ، بينما هم على وتيرة السكون إن تصوقهم به القدرة فيهتزون فترى قلوب أهل الحجاب واجفة لما يدخلها من صدمة جلالهم القائم بتحويل الأحوال ﴿ فاعتبروا يا أولى الأبصار ﴾ (١) .

يسكب الله فى بعض الأزمنة قدرة المناسبات البشرية من هيكل الحسن المعنوى فى الخلق ، فيشكو المظلوم ظالمة الفرد للجنس فتشهده الأعين ، والقلوب مفقودة ، الحضور بشأنة فلا تتعطف له وكأنها جمادة صماء ، وكذلك الجائع والمصاب والغريب فى مثل هذه الأزمنة ، تقضى القدرة ببروز أسرار غيبة لله فيها حكم يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، وفى بعض الأزمنة يهب الله قدرة المناسبات البشرية فتنعطف

---

(١) ٢ م الحشر ٥٦ .

قلوب النوع للنوع بالرأفة والتناصر والتوادد ونتيجة هذا الوهب صلاح حال الزمان وأهله ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذا هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ﴾[١] بعنا الروح وقبل الأمر وأحل القدر ، وسنعبر بعد يسير على الله . تقول همتي لنفسي في مشهد روحي .

فان عبرت وأنت سليم قلب من الدنيا فتهنيك السلامة

فيقول لها مناجي من شاهد برج العون السرمدي ﴿ ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٢] . فتأخذ بأزمة الرجاء في ساحة الأمن ، خاشعة خائفة تتلو بلسان التضرع مطرقة لدى سلطان القدر ﴿ فلا يأمن الله إلا القوم الخاسرون ﴾[٣] فتبرز زفرة القطعية فيخشع لها جمهور الإنسانية . فتسقط عليه فيقول أهل القيود من أسارى الزفرة المذكورة معنا ، أولئك الذين طالما خافوه ، طالما ذكروه ، طالما دلوا عليه . طالما قربوا إليه فينادي سلطان الغيرة﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ، لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾[٤] . أي خاصه أي عامة فاض بحر الكرم ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾[٥] . أنا مأوى المنقطعين ، أنا مأوى كل شاة عرجاء انقطعت في الطريق ، أنا شيخ العواجز أنا شيخ من لا شيخ له فلا يتشيخ الشيطان على رجل من أمة محمد ﷺ ، عهد

---

(١) ٨ م آل عمران ٣ .
(٢) ٦٢ ك يونس ١٠ .
(٣) ٩٩ ك الأعراف ٧ .
(٤) ١٠١ ك الأنبياء ٢١ .
(٥) ١٨ ك ق ٥٠ .

منى بالنيابة عن النبى ﷺ ، عهداً عاماً إلى يوم القيامة ، العرش قبله الهمم . والكعبة قبلة الجباه وأحمد قبلة القلوب قال لى حبيبى أنت وجه لا يجزيه الله فى اتباعه أبدا ﴿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾[1] هات يا منشد الفتح فى حضرة المنحى . قل كيف شئت مجلس مأتم ومجلس فرح ﴿ يولج الليل فى النهار ﴾[2] ﴿ الا إلى الله تصير الأمور ﴾ [3] ﴿ وكفى بالله ولياً ﴾ [4] عليكم بتقوى الله لا تخرجوا من ساحة التوحيد ، ربنا الله لا شريك له نعم الولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين .

---

(١) ٢٤ م الرعد ١٣ .

(٢) ٦١ م الحج ٢٢ .

(٣) ٥٣ ك الشورى ٢٤ .

(٤) ٤٥ م النساء ٤ .

مصادر ومراجع التحقيق

١ – ابن الأبار – الحلة السيراء تحقيق د. حسين مؤنس القاهرة ١٩٦٣م.

٢ – ابن أبيك – الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية تحقيق صلاح الدين المنجد القاهرة ١٣٨٠هـ – ١٩٦١م.

٣ – ابن الأثير – الكامل في التاريخ دار صادر – بيروت ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م.

٤ – أحمد بن أبي الضياف – أتحاف أهل الزمان بأخبار تونس، تونس ١٩٦٣م.

٥ – الإدريسي – نزهة المشتاق في اختراق الأفاق نابولي – روما ١٩٥١م.

٦ – الأصفهاني – مقاتل الطالبين تحقيق محمد صقر – القاهرة ١٩٤٧م.

٧ – ابن واصل الحموي – تهذيب الأغاني دار الشعب – القاهرة ١٩٦٦م.

٨ – الأنصاري – المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ليبيا – ١٩٦٦م.

٩ – الباجي المسعودي – الخلاصة النقية في أمراء إفريقية تحقيق محمد بيرم التونسي. تونس ١٣١٥هـ – ١٨٩٧م.

١٠– البخاري – التاريخ الكبير القاهرة – بدون تاريخ.

١١- البكري - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب - باريس ١٩١١م.معجم ما استعجم - القاهرة ١٩٤٥م.

١٢- البلاذري - أنساب الأشراف تحقيق جريفز فالدسين ١٨٨٣م.

١٣- التوحيدي- الأمتاع والمؤانسة. بيروت - بدون تحقيق وتاريخ.

١٤- الجهشياري - الوزراء والكتاب - تحقيق لجنة التأليف والترجمة - القاهرة ١٩٥٧م.

١٥- ابن أبي حاتم - الجرح والتعديل - دمشق - ١٩٦٨م.

١٦- ابن حجر - لسان الميزان دار المعارف النظامية - الهند ١٣٢٩هـ.

- تهذيب التهذيب، دار المعارف النظامية - الهند ١٣٢٥هـ.

١٧- ابن حزم - جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون دار المعارف - القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

١٨- ابن حوقل - صورة الأرض - ليدن ١٩٦٨م.

١٩- ابن حيان - مشاهير علماء الأمصار - ليدن ١٩٦٨م.

٢٠- الخزرجي - خلاصة تذهيب الكمال - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢١- ابن الخطيب - أعمال الأعلام - الجزء الثالث تحقيق أحمد مختار العبادي - دار البيضاء - المغرب ١٩٦٤م.

- الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق محمد عبد الله عنان القاهرة ١٩٧٧م.

٢٢- ابن خلدون - المقدمة دار الشعب - القاهرة ١٩٦٨م.

- العبر من ديوان المبتدأ والخبر - بولاق - القاهرة ١٢٨٤هـ.

٢٣- ابن خلكان - وفيات الأعيان - تحقيق محمد محيي عبد الحميد - القاهرة ١٩٤٨م.

٢٤- الدباغ - معالم الإيمان - تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور والدكتور ماضور - تونس ١٩١٤م.

٢٥- ابن أبي دينار - المؤسس في أخبار إفريقيا وتونس - تحقيق محمد شمام- تونس ١٩٦٧م.

٢٦- الذهبي - ميزان الاعتدال في نقد الرجال - تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

٢٧- الرقيق القيرواني - تاريخ إفريقية والمغرب - تحقيق وتقديم المنجي الكعبي - تونس ١٩٦٨م.

٢٨- السبكي - طبقات الشافعية - تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو - القاهرة ١٣٨٣هـ.

٢٩- السلاوي - الاستقصاء لأخبار دولة المغرب الأقصي - الدار البيضاء - المغرب ١٩٥٤م.

٣٠- السيوطي - بغية الوعاة - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٦٧م.

٣١- ابن شاكر - فوات الوفيات - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة - ١٩٦٣م.

٣٢- الشماخي - السير - القاهرة بدون تاريخ.

٣٣- الشهرستاني - الملل والنحل - تحقيق طه الزيني - الحلبي - القاهرة ١٩٦٣م.

٣٤- الشيرازي - طبقات الفقهاء - بغداد - ١٣٥٦م.

٣٥- الطبري - تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف - القاهرة ١٩٦٨م.

٣٦- ابن طولون - قضاة دمشق - دمشق ١٩٦٨م.

٣٧- ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز - تحقيق أحمد عبيد - القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

- فتوح مصر والمغرب - بيروت - ١٩٧٨م.

٣٨- عبد الواحد المراكشي - المعجب في تلخيص المغرب - تحقيق محمد سعيد العريان - القاهرة ١٩٤٩م.

٣٩- ابن عذاري - البيان المغرب في أخبار المغرب - بيروت - ١٩٥٠م.

٤٠- أبو العرب - طبقات علماء إفريقية - تحقيق محمد بن أبي شنب - الجزائر ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.

٤١- القرويني - أخيار البلاد وآثار العباد - بيروت ١٩٧٦م.

٤٢- القفطي - أنباة الرواة - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الكتب المصرية ١٩٦٤م.

٤٣- القلقشندي - صبح الأعشي - القاهرة ١٩٢٢م.

٤٤- الكندي - لاولاة والقضاة - تحقيق رفن كست - لبنان ١٩٠٨م.

٤٥- المالكي- رياض النفوس جـ١ - تحقيق د. حسين مؤنس القاهرة

١٩٤٩م.

٤٦- أبو المحاسن - النجوم الزاهرة - دار الكتب - القاهرة ١٩٦٣م.

٤٧- المسعودي - مروج الذهب - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة - ١٩٦٤م.

٤٨- المقرئ - نفح الطيب - تحقيق محيي الدين عبد الحميد - ١٣٦٧هـ - ١٩٤٩م.

٤٩- النويري - نهاية الأرب في فنون الأدب جـ ٢٤ - تحقيق د. حسين نصار مراجعة د. عبد العزيز الأهواني ١٩٨٢م.

٥٠- ياقوت الحموي - معجم البلدان - القاهرة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦م.

- معجم الأدباء.

٥١- اليعقوبي - البلدان - ليدن ١٨٠٩م.

- تاريخه - دار صادر ١٩٦٨م.

ب المراجع العربية

١ - أحمد فكري - مسجد القيروان القاهرة ١٩٣٥.

أثار تونس الإسلامية تونس ١٩٥٨م.

٢ - د. أحمد مختار العبادي - سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس مجلة كلية الأداب - جامعة الإسكندرية ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

٣ - د. حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسي القاهرة ١٩٧٣م.

٤ - حسن حسني عبد الوهاب - خلاصة تاريخ تونس - تونس - ١٩٧٦م.

آداب المعلمين - تونس ١٩٥٨م.

ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية - المنار - تونس ١٩٦٦م.

٥ - د. حسن مؤنس - فتح العرب للمغرب القاهرة ١٩٤٧م.

معالم تاريخ المغرب والأندلس - القاهرة ١٩٨٣م.

٦ - الزركلي - الأعلام - القاهرة ١٣٨٣ - ١٩٦٣.

٧ - زكي محمد حسن - فنون الإسلام - القاهرة ١٩٥٤م.

٨ - د. سعد زغلول عبد الحميد - تاريخ المغرب العربي - الإسكندرية ١٩٨٤م.

٩ - السيد عبد العزيز سالم - تاريخ المغرب في العصر الإسلامي.

١٠- محمد زينهم محمد عزب - الإدارة المركزية للدولة الأموية - رسالة

ماجستير - ١٩٨١م. آداب القاهرة.

١١- محمد ضياء الدين الريس - الخراج - القاهرة ١٩٨١م.

١٢- محمد عبد الله عنان - تراجم أندلسية وشرقية - القاهرة ١٩٥٦م.

١٣- محمد علي دبوز - تاريخ المغرب الكبير - القاهرة - ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م.

١٤- د. محمود إسماعيل عبد الرزاق- الأغالبة - القاهرة ١٣٦٧م.

الخوارج - في المغرب الإسلامي - دار البيضاء - المغرب ١٩٧٣م.

فهرس الكتاب

* * *

التنفيذ الطباعي

شركة

سويدان وأبو ظهر

بيروت ـ ص.ب: ١١/٩٣٥٤

الدرة البيضاء

يليه

عقيدة أهل الإسلام

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ ١٩٩٣م

الدرة البيضاء

يليه

عقيدة أهل الإسلام

لمحيى الدين بن العربى

تقديم وتحقيق وتعليق

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

مكتبة مدبولي
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

لعب العلماء والفقهاء ورجال التصوف دوراً هاماً فى حياة الشعوب والأمم على مر العصور والتاريخ ملئ بأسمائهم ودورهم فى قيام وسقوط الدول . ومن هنا كان كل حاكم وأمير وسلطان ووالى يعمل كل الحساب لهؤلاء العلماء والفقهاء ورجال التصوف فالناس يتأثرون كل التأثير بارائهم وأفكارهم ويتدفقون على مجالسهم التى كانت تعقد فى المساجد وأحياناً فى بيوياتهم وبيويات الأمراء وهذا واضح فى تاريخ مصر فى عصرى الأيوبى والمملوكى .

فنقدم للمكتبة الإسلامية عالم من علماء التصوف وصاحب مدرسة لازالت آثارها العلمى موجود إلى يومنا هذا ، وهو محمد بن على بن محمد ابن أحمد بن عبد الله بن العربى الحاتمى الصوفى الفقيه الظاهرى المحدث ، وهو من ولد عبد الله بن حاتم أخى عدى بن حاتم المعروف بالشجاعة والكرم ولد بمرسيه فى شهر رمضان سية ٥٦٠ هـ ، سمع بقرطبة من الحافظ أبى القاسم خلف بن بشكوال « صاحب كتاب الصلة » وغيره ثم رحل إلى اشبيلية وسمع من أبى بكر محمد بن خلف بن صاف اللحمى وقرأ عليه القرآن الكريم بالقراءات السبعة وكتاب الكافى لأبى عبد الله محمد بن شريح الرعينى المقرى

فى مذهب القراءات السبعة المشهورين وحدثه به عن ابن المؤلف أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعينى من أبيه .

وقرأ أيضا بالكتاب المذكور على أبى القاسم عبد الرحمن بن غالب الشراط القرطبى وحدثه به ابن المؤلف .

وسمع على قاضى مدينة فاس أبى محمد عبد الله التادلى كتاب «التبصرة» فى مذاهب القراء السبعة لأبى محمد بن أبى طالب المقرىء عن أبى بحر سفيان عن المؤلف .

وسمع على القاضى أبى بكر محمد بن أحمد بن أبى حمرة كتاب « التيسير » فى مذاهب القراء السبعة لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى عن أبيه عن المؤلف ، وسمع على القاضى أبى عبد الله محمد بن زرقون الأنصارى ، وعلى أبى محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلى ، وعلى عبد الصّمد بن محمد بن أبى الفضل بن الحرستانى . وعلى يونس بن أبى الحسن العباسى نزيل مكة ، وعلى المكين بن شجاع زاهر بن رستم الأصبهانى إمام المقام ، وعلى بن البرهان نصر بن أبى الفتوح بن على وسالم بن رزق الله الأفريقى ، ومحمد بن أبى الوليد بن أحمد بن شبل ، وأبى عبد الله بن عيشون .

وأجازة جماعة كثيرة منهم الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر ، وأبو الطاهر السلفى . وأبو الفرج بن الجوزى .

وقدم إلى مصر وأقام بالحجاز مدة . ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم ، ومات بدمشق فى ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، ودفن بسفح قاسيون .

قال ابن الأبار : من أهل إشبيلية ، وأصله من سبتة .

وقال أبو جعفر بن الزبير اظنه من أهل المَريّة .

وقال ابن النجار : أقام باشبيلية إلى سنة ثمان وتسعين ، ثم دخل بلاد المشرق .

وقال ابن الأبار : أخذ عن مشيخة بلده ، ومال إلى الآداب : وكتب لبعض الولاة ، ثم رحل إلى المشرق حاجاً ، فأدى الفريضة ولم يعد بعدها إلى الأندلس .

وقال أبو محمد المنذرى : ذكر أنه سمع بقرطبة من أبى القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال وجَماعة سواه ، وسمع بإشبيلية من أبى بكر محمد بن وسَكن بلاد الروم مدة وجمع مجاميع فى الطريق .

وقال ابن الأبار : وسمع الحديث من أبى القاسم الحرستانى ، وسمع « صحيح مسلم » مع شيخنا أبى الحسن بن أبى نصر فى شوال سنة ست وستمائة ، وكان يحدث بالإجازة العامة عن السلفى ويقول بها، وبرع فى علم التصرف ، وله فى ذلك مصنفات جليلة طويلة كثيرة ، لقيه جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه .

وقال أبو جعفر بن الزبير : وجال فى بلاد المشرق فى رحلته وألف فى التصوف ومايرجع إليه ، وفى التفسير وفى ذلك ، وتؤاليف لايأخذها الحصر منها « الجمع والتفصيل فى أسرار معانى التنزيل » وكتاب « الإعلام بإشارات أهل الإلهام » إلى ذلك ، وله شعرو تصرف فى فنون من العلم ، وتقدم فى علم الكلام والتصرف .

وقال ابن الذبيثى : قدم بغداد فى سنة ثمان وستمائة ، وكان يوما إليه

بالفضل والمعرفة والغالب عليه طريق أهل الحقيقة ، وله قدم فى الرياضة والمجاهدة ، وكلام على لسان أهل التصوف ، ورأيت جماعة يصفونه بالتقدم والمكانة عند جماعة من أهل هذا الشأن بدمشق ، وبلاد الشام والحجاز ، وله أصحاب وأتباع ، ووقفت له على مجموع من تأليفه وقد ضمنه منامات رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وماسمعه منه ، ومنامات قد حدث بها عمن رآه صلى الله عليه وسلم ، فكتب عنى شيئاً من ذلك ، وعلقت عنه منامين فحسب .

وقال ابن النجار : وكان قد صحب الصوفية ، وأرباب القلوب ، وسلك طريق الفقر ، وحج وجاور ، وصنف كتبا فى علوم القوم ، وفى أخبار مشايخ المغرب وزهادها ، وله أشعار حسنة ، وكلام مليح ، اجتمعت به بدمشق فى رحلتى إليها . وكتب عنه شيئاً بها شعره ، ونعم الشيخ هو : ذكر لى أنه دخل بغداد فى سنة إحدى وستمائة ، فأقام بها أثنى عشر يوما ، ثم دخلها ثانياً حاجاً مع الركب فى ثمان وستمائة وأنشدنى لنفسه :

أيـ ا حائـــراً مابين عـــلم وشهـوة   ليتصلا مابين ضدين من وصل [1]

ومن لم يكن يستنشق الريح لم يكن   يرى الفضل للمسك الفتيق على الزبل

وسألته عن مولده فقال : فى ليلة الأثنين سابع عشر رمضان سنة ستين وخمسمائة بمرسية من بلاد الأندلس

وقال ابن مسدْى : وكان يلقب بالقشيرى ، لقب غلب عليه لما كان يشير من التصوف إليه ، وكان جميل الجملة والتفصيل ، محصلا لفنون العلم أخص تحصيل ، وله فى الأداب الشأو الذى لايلُحَق ، والتقدم الذى لم يسبق .

(١) البيتان فى المقفى ، ونفح الطيب ٢ / ١٦٣ ، والوافى بالوفيات ٤ / ١٧٨ ، وعبارة الوافى « إنا حائر » .

سمع ببلده من أبى عبد الله محمد بن سعيد زرقون القاضى ، ومن الحافظ أبى بكر محمد بن عبد الله ، وأبى الوليد جابر بن أبى أيوب الحضرمى .

وبسبته من أبى محمد بن عبد الله ، وقدم عليه إشبيلية أبو محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجى فسمع منه ، وأبو جعفر بن مضاء واخصّ بنجبة بن يحيى ، فقرأ عليه القرآن بالروايات .

وسمع بمرسية من القاضى أبى بكر بن أبى جمرة ، وغيره ، وذكر أنه لقى عبد الحق بن عبد الرحمن ببجاية وفى ذلك نظر .

وذكر الشيخ محيى الدين فى إجازته للملك المظفر غَازى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب [مامعناه أو نصه] ، ومن شيوخنا المحدّث أبو محمد عبد الحق بن عبد الله الأزدى الإشبيلى رحمه الله حدثنى بجميع مصنفاته فى الحديث ، وعين لى من أسمائها « تلقين المبتدى » و « الأحكام الصغرى » و « الكبرى » وكتاب « التهجد » وكتاب « العاقبة » ونظمه ونثره وحدثنى بكتب الإمام أبى محمد على بن أحمد بن حزم ، عن أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه .

وذكر الشيخ محى الدين : أن الحافظ السلفى أجازله ، وأحسبها الإجازة العامة .

وله تؤاليف ، وكان مقتدراً على الكلام ولعله ماسلم من الكلام .

وكان رحمه الله ظاهرى المذهب فى العبارات ، وباطنى النظر فى الاعتقادات . وقال ابن النجار : توفى ليله الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة بدمشق ، ودفن يوم الجمعة بجبل قاسيون ، واتفق أنه لما أقام ببلاد الروم ركبه ذات يوم الملك وقال: هذا بدعوة

الأسود ، فسُئل عن ذلك ، فقال : خدمت بمكة بعض الصلّحاء فقال لى يوماً : الله يذِل لك أعزّ خلقه وأمر له ملك الروم مرة بدار تساوى مائة ألف درهم ، فلما نزل بها وأقام بها مر به فى بعض الأيام سائل ، فقال له : شىء لله ، فقال : مالى غير هذه الدار ، خذها لك ، فتسلمها السائل وصارت له .

وقد نقل عن الشيخ عز الدين عبد السلام ، أنه قال عن ابن العربى : هذا شيخ سوء كذاب ، يقول بقدم العالم ، ولايرى تحريم فرج ، أنه سئل عن كذبه فقال : كان ينكر ترويج الإنس بالجن ، ويقول : الجن روح لطيف ، والإنس جسم كثيف لايجتمعان ، ثم زعم أنه تزوج امرأة من الجن وأقامت معه مدة ثم ضربته بعظم جمل فشجته ، وأرانا شجة بوجهه وقد برئت .

ويقال أيضا إنه خرج هو وابن سراقة العامرى من باب الفراديس بدمشق ، فقال : بعد كذا وكذا ألف سنة ، يخرج ابن العربى وابن عثمان الذهبى : له توسع وذكاء ، وقوة خاطر ، وحافظة ، وتدقيق فى التصرف وتواليف جمة فى العرفان ، لولا شطحهُ فى كلامه وشعره لعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته ، فيرجى له الخير .

وقال القطب اليونينى فى ذيل : « مرآة الزمان » عن ابن عربى ، وكان يقول : اعرف الإسم الأعظم ، وأعرف الكيمياء .

وحكى ابن سوْدكين عنه : أنه كان يقول : ينبغى للعبد أن يستعمل همّته فى الحضور فى مناماته ، بحيث يكون حاكما على خياله يصرفه بعقله نوما ، كما كان يحكم عليه يقظة ، فإذا حصل للعبد هذا الحضور وصاَر خلُقًا له ، وجد ثمرة ذلك فى البرزخ ، وانتفع به جداً فليهتم العبد بتحصيل هذا القدر ، فإنه عظيم الفائدة بإذن الله .

وقال : ينبغى للسالك متى خطر له أن يعقد على أمر ، أو يعاهد الله تعالى

عليه ، أن يترك ذلك الأمر إلى أن يجيء وقته ، فإن يسّر الله فعْلهُ فَعَلَه ، وإن لم ييسّر الله فعله ، يكون مخلصاً من نكث العهد ، ولا يتصف بنقض الميثاق .

وقال بلغنى فى مكة عن أمرأة من أهل بغداد ، أنها تكلمت فى بأمور عظيمة .

فقلت : هذه جعلها الله سبباً لخير وصل إلى فلا كافئنها ، وعقدت فى نفسى أن أجعل جميع ما أعتمر فى رجب يكون لها وعنها ، فقلت ذلك ، فلما كان المرسم استدل علىّ رجل غريب . فسأله الجماعة عن قصده . فقال : رأيت بالينبع فى الليلة التى بت فيها ، كأن آلافا من الإبل ، وأقارها المسك والعنبر فعجبت من كثرته سألت لمن هو ؟ فقيل : هو لمحمد بن عربى ، يهديه إلى فلانة وسمّى تلك المرأة ثم قال : وهذا بعض ماتستحق .

قال ابن عربى : فلما سمعت الرّؤيا وأسم المرأة ، ولم يكن أحد من خلق الله علم منى ذلك ، علمت أنه تعريف من جانب الحق ، فهمت من قوله : إن هذا بعض ماتستحق ، أنها مكذوب عليها ، فقصدت المرأة وقلت : أصدقينى ، وذكرت لها ماكان من ذلك ، فقلت فى نفسى : اللهم إنى أشهدك قد وهبت له ثواب ماأعلمه فى يوم الأثنين وفى يوم الخميس ، وكنت أصومهما ، وأتصدق فيهما ، قال : فعلمت أن الذى وصل إلى بعض ماتستحقه ، فإنها سبقت بالجميل والفضل المتقدم .

فلهذا بعد أن استعرضنا حياة ومرحلة نمو ابن العربى العلمى ودوره فى التطور الفكرى الصوفى للعلم والفكر الإسلامى وقد مليئت المكتبات العربية بالأبحاث والمؤلفات عنه ، فلهذا ففكرنا فى عمل يخلد هذا العلم المتصوف وهو إصدار بعض أعماله .

فنقدم للمكتبة الصوفية كتاب الدرة البيضاء الذى تحدث فيه عن عظمة

وقدرة الله فى خلق الأشياء مبينا ماورد فى الأيات والأحاديث وهذا الكتاب على الرغم من صغر حجمه إلا أنه يوضح فلسفة ومنهج ابن العربى فى التصوف .وكذلك كتاب عقيدة أهل الاسلام وكذلك كتاب عقيدة أهل الاسلام وكذلك رسالة صغيرة تسمى العجالة

وقد اعتمدت فى تحقيق هذه الكتب على بعض الطبعات القديمة إلى جانب مخطوطة موجودة فى دار الكتب المصرية إلى جانب تحقيقات شيخنا الحاج عبد الرحمن حسن محمود نفعنا الله بعلمه فى أعماله عن محيى الدين بن العربى

والله ولى التوفيق لعمل الخير والله خير المعين ،

السكاكينى القاهرة فى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى

اعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الوجود المطلق لا عن عدم ، بل وجب وجوده لنفسه فلم يزل موجوداً ولا يزال واحداً فى ذاته ، له الأسماء الحسنى والصفات العليا ولا يتعدد بأسمائه وصفاته فأن الواحد بذاته لايتعدد بما يقوم به من المعانى ، وإنما تتعدد الذات القائمة بنفسها بكونها تقبل القسمة فتكون ذات أجزاء فيدخلها العد . والصفة ليست بجزء لموصوفها . وهو سبحانه ليس بمادة ولا فى مادة بل هو غنى قائم بنفسه غير متحيز ولا قابل للحداثان ، فثبت وجوده تعالى ولا عين موجودة سواء فكل ماسواه فهو موجود به وهو فعله وخلقه وصنعته ، ووجود ماهو موجود موقوف على إرادته التى هى مشيئته سبحانه وقدرته وسابق علمه ، ولا يصح أن يكون الموجود المقيد موجودا إلا عن عدم ، فأنه كان لايكون ممكناً : وكان لا يكون موجوداً إيجاد عينه . أى أنه مفتقر إليه تعالى فى إيجاد عينه لا فى عينه ، لأن . عينه الثابتة غير مجعولة فى ثبوتها فليست بجعل جاعل إذلا جعل فى الأزل . ثم قال قدس سره فلا بد أن يكون وجود هذا الممكن عن عدم يعنى لم يكن ثم كان فأن الممكن هو الذى ليس فى حقيقته أن يمتنع من الوجود كالمحال ولا من العدم كالواجب فهو جائز أن يكون موجوداً وجائز أن يكون معدوما وجائز اذا كان موجوداً أن يعدم وجائز إذا كان معدوما أن يوجد فيفتقر بالضرورة إلى

المرجح ولابد أن يكون المرجح غير ممكن مثله لكون الممكن يفتقر إلى مرجح وذلك محال ، لأن المعدوم لايرجح شيئاً فلابد أن يكون المرجح واجب الوجود لنفسه وهو الله سبحانه ولا يصح أن يكون هذا الممكن واجب الوجود بالله تعالى فيكون معه أزلا والممكن يستحيل وجوده أزلا ، لأنه لا فائدة لواجب الوجود إلا أن يكون لا عن عدم وحقيقة الممكن لا تقبل الوجوب العقلى ولا تقبل الوجود المقيد الذى يقال عنه واجب بغيره ومن المحال تعلق الإرادة بالوجود ، وإنما تتعلق بالمعدوم واذا تعلقت ببقاء الموجود لم يقع فهو مستأنف ، والممكن هو الذى يتصور عدمه ووجوده على السواء من غير ترجيح لنفسه فأنه لو رجع لنفسه الوجود على العدم لم يخل أنه يرجح نفسه وهو موجود أو معدوم فأن رجح وجوده وهو موجود فما الذى رجح ومن المحال أن يرجح وجوده وهو معدوم فأن المعدوم ليس بشىء فلا يتصور حكم منه عقلاً فأذا رأينا قد ترجح له أحد الجائزين علمنا أن ذلك من مشيئة مرجحة وأن مرجحه لابد أن يكون واجب الوجود مريداً لإيجاد هذا الممكن والواجب الوجود هو الذى يتصور عدمه عقلاً ، كما أن المحال لا يتصور وجوده عقلا وليس يلزم من كون المشيئة واجبة الوجود أن هذا الممكن الذى تعلقت به لم يزل معها فيكون أزلياً بازليتها هذا لا يلزم فإن الإرادة قد ثبت له العدم أصلاً ، وأنما تتعلق عند وجوده ببقاء وجوده وهو معدوم أو يعدم موجودة فلا بد أن يكون كل ممكن وجوده عن عدم أصلا . وكذلك القدرة يزول تعليقها بالوجود لأنها أنما تتعلق لتوجد ما بقى تعلق لهذا الوجود إلا بخلق الأعراض التى بها لقاؤه فلا يزال يجدد له ذلك ولهذا لا يزال البارى تعالى خالقاً فى الدنيا والأخرة . ثم اعلم أن الله تعالى لما أوجد هذا العقل ، وهو جوهر فرد قائم بنفسه متحيز فى مذهب وغير متحيز فى مذهب وهو الأصح تجلى له بذاته فافاض عليه المعلومات كلها فعلمه متعلق بجميع المعلومات إلا علمه بالله تعالى ، فإنه

ما أحاط به علماً البتة لكن لا يزال الله تعالى يفيض العلم عليه منه آبدا وهو يقبل وبهذا يطلق عليه الاستفادة لا من جهة علوم الكون فأنه قد علمها ومحال أن يعلم الله تعالى على الاطلاق ، وقد أشار إلى هذا صلى الله عليه وسلم « فقال أنى أسألك بكل إسم سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو إستأثرت به فى علم غيبك فقوله أو إستأثرت به هو ما أردنا »(١) فهذا الموجود اختلفت الأسماء عليه والألقاب فمنهم من سماه العقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله العقل »(٢) فقال له إقبل فأقبل ثم قال له ادبر فادبر فأقبل لا أستفادة وادبر بالإفادة ولكن ادباره إقبال وذلك ان الإسم الذى قال له اقبل فأقبل لا أستفادة وادبر بالإفادة ولكن ادباره إقبال وذلك ان الإسم الذى قال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فادبر فأخذه اسم آخر وانما أعطى فى أول نشأة الاقبال والأدبار لكون الوجود عليهما انبنى وهما القبضتان والحقيقتان الحاكمتان على العالم بالسعادة والشقاوة ومن هذا الأقبال والأدبار ظهرت الجنة والنار والقبض والبسط والالم واللذة والعدم والوجود فإنه ليس ثم إلا أثنان وكلما زاد على أثنين فإنه يرجع إلى الإثنين ولا بد أذا نظرت فيه وكذلك الثلاثة وغيرها فاعلم ذلك فأن الوجود كله محصور فى حقيقة القبض ، ولهذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم بالكتابين وكذلك الحقائق كلها صفة وموصوف وما منه شيء إلا وله مقابلة .

ومنهم من سماه أيضاً القلم قال تعالى « ن والقلم »(٣) وقال النبى صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله تعالى القلم وخلق اللوح فقال له اكتب فقال يارب وما أكتب »(٤) وهذا ما يدل على عجزه وافتقاره فقال هل ربه تعالى أكتب

---

(١) انظر : مفتاح كنوز السنة .

(٢) انظر : مفتاح كنوز السنة .

(٣) ١ ك القلم ٦٨ .

(٤) مفتاح كنوز السنة .

علمى فى خلقى إلى يوم القيامة فجرى القلم بما أمره به سبحانه ، وهذا يدل على أن القلم كان قد أعلمه الله ذلك وما توقف إلا من حيث لم يدرى أى فن يكتب من فنون العلم الحاصل عنده ، فلما عينه جرى على حسب ما علمه ولو لم يحتج إلى علم أصلا ، فأى فائدة لتوالى الفيض عليه واستمراره أبداً ثم لتعلم بعد هذا أنه مع هذه المرتبة يطلب ربه كما تطلبه أنت ولكن من حيث قوته التى جبله الله عليها لا من حيث قوتك . ومنهم من سماه الروح الكلى قال الله تعالى « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى »[١] فاضافه إليه إضافة تشريف لأنه نفس البارى تعالى وقال تعالى « قل الروح من أمر ربى »[٢] وهذا ما يدلك على انه يطلب من الله طلب شوق وإنما هو الكلى لان جميع مقامات العالم محصورة فيه ومنه تنبعث وإليه ترجع وهو السبب الأول لايجاد الاعيان والارواح كلها وأصل هذا الاسم له من وجهين الوجه الواحد لكونه روح أى فى نعيم وسرور وراحة بعلمه بربه ومشاهدته اياه والوجه الأخر انه راح فى فسيحات أفلاك معرفة خالقه لقوة ما . وراح فى مراتب الاكوان بما يلقى إليها مما وكله الله به وراح فى معرفة نفسه بما هو فقير إلى ربه وموجود فله ثلاث روحات فيمكن أنه سمى لهذا روحا كلياً ، لأنه ماثم مرتبة رابعة زائدة على هذه تراح فيها فكأنه أمر من يروح والأمر منه رح ، فلما نقل من الأمر إلى الأسم ردت عليه الواو ، كما دخلت عليه الألف واللام فأن حذف الواو منه كان لالتقاء الساكنين فكأنه أذا طلب من جهة قيل راح إلى جهة أخرى ، كما ذكرنا ومنهم من سماه الحق المخلوق به وهو الذى ارتضاه بعض العارفين وهو أبو الحكم بن برجان من قول الله عز وجل « ما خلقناهما إلا بالحق »[٣] وقال

---

(١) ٢٩ ك الحجر ١٥ .

(٢) ٨٥ ك الاسراء ١٧ .

(٣) ٣٩ ك الدخان ٤٤ .

تعالى « وبالحق نزل » وقوله ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق(١) ﴾ وإنما سماه الحق المخلوق به لكون الحق من أسماء الله تعالى وليس بمخلوق ومعنى مخلوق موجود عن عدم ومقدر وكلاهما صحيح عليه ، ومنهم من سماه العدل وهو الذى ارتضاه أبوعبيد الله سهل بن عبد الله التسترى(٢) فقال أنه روى أنه بالعدل قامت السموات والأرض وقال الله تعالى « وأقيموا الوزن بالقسط »(٣) وهو العدل وقال تعالى « وبالحق أنزلناه »(٤) وقال تعالى « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ »(٥) وهذا الموجود لوح من حيث إنه كتب الحق فيه كل شىء ومحفوظ عليه ما عنده من التنزيل .

ونزعت طائفة إلى أن اللوح هو النفس وهذا هو القلم وسنبين ذلك إن شاء الله تعالى . وأوصافها كثيرة لا يحصيها إلا خالقها وكل واحد إعتبر أمر ، أما فيه فاطلق عليه لفظا من باب ما اعتبر فيه فالبارى سبحانه هو القديم الأزلى العالم المريد القادر الذى لا يمتنع من قدرته ممكن . والموجود لا من مدم . الباقى بنفسه الذى له الكمال المطلق والتمام المحقق وهذا الموجود الذى هو العقل المقيد ، وجوده بالعدم الموقوف على حكم المشيئة الذى لم يكن ثم كان لم يزل منذ وجدت عينه يقبل الفيض الألهى والجود المرسل بلطائف الغيب فأن

---

(١) ٨٥ ك الحجر ١٥ .

(٢) انظر ترجمته فى : تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٨٥ ، العبر ٢ / ١٠ ، اللباب ١ / ١٧٦ ، النجوم الزهرة ٣ / ٩٨ .

التسترى بالتاء المضمونة وسكون السين المهملة وفتح التاء الثانية والراء المهملة نسبة إلى تستر من كود الأهواز من خوزستان .

(٣) ٩ م الرحمن ٥٥ .

(٤) ١٢ ك يس ٣٦ .

(٥) ٢٢ ك البروج ٨٥ .

فيض الله تعالى لا يتصور فيه مسك ولا قبض ولا انقطاع وهو يتنوع بتنوع المحال فيكون نوراً فى المنور وظلمة فى المظلم ونون فى المتوان وحركة فى المتحرك وعملاً فى العالم وإرادة فى المريد وحفاظاً فى المحفوظ . فافهم ما أشرنا إليه ولو هناك مسك عن موجود مالم يكون إسم الجود فيما أعطى بأولى من إسم البخل فيما امسك فمن قال لم يعط فإنه يكذب فقد أعطى وهو لا يعلم وقد أعطاه الجودان يريد مالا تقتضى حقيقته التى هو عليها فى الوقت قبوله فما هناك منع أصلا ولهذا الموجود وغيره البقاء بابقاء الله لا ببقائه ، فأن الممكن باق بابقاء مرجحه لا ببقائه لإنه لو كان بقائه ببقاء الله لزم أن يكون معه أزلا ، ولو كان معه أزلا لكان واجب الوجود ولم يكن ممكنا وهو ممكن فى نفسه ، فلا بد أن يكون باقياً بابقاء الله وعلة بقائه هو امداد الله عز وجل أبداً بحفظ وجوده عليه وتلقى العلوم والمعارف منه ، والمرجع وهو البارى تعالى ليس بمجبور على الامداد ، وإنما هو مختار يفعل ما يشاء فإن علمنا إنه قد شاء الإبقاء أبداً فإن مشيئته لا تتبدل لسابق العلم كما قال تعالى « لا تبديل لكلمات الله »[1] وقال تعالى « ما يبدل القول لدى »[2] وقال تعالى « أفمن حقت عليه كلمة العذاب »[3] فلا سبيل إلى معرفة بقاء هذا العقل وجميع الممكنات التى يجوز بقاؤها إلا حتى يعرفنا بذلك ولا يوصل إلى معرفة ذلك بالبرهان فإنه شبهة وليس ببرهان فإذا كان الأمر على ذلك فكان بقاؤه بحفظ الله تعالى وامداده كما يبقى الجسم بعرضه فلو امسك عنه خلق العرض لعدم فقد ثبت افتقاره إلى البقاء وقد ثبت له الوجود بظهوره فى عينه وثبت له البقاء بالشرع فبقى لنا التمام فهو أيضاً تام فى نفسه ، ومعنى أنه تام قبوله لفيض

---

(١) ٦٤ ك يونس ١٠ .
(٢) ٢٩ ك ق ٥٠ .
(٣) ١٩ ك الزمر ٣٩ .

موجده عليه ما يفيضه على التوالى من غير أن يعجز عن قبول شىء ما يفيضه عليه فقد علمنا أنه لو لم يكن له استعداد تام لعجز عن قبول أمر ما ولا يعجز فالله قد أتم خلقه ، وله أيضاً الكمال من حيث أن كل شىء فيه بالفعل أى العلم والقوى بجميع الأشياء موجودة فيه لأنه مستعد لقبولها بل هى فيه وهذا مما يدلك على أنه محدث لم يكن ثم كان لأنه قد صار محلاً لما يخلق الله فيه وهى الحوادث ، وهو لم يخل عنها منذ وجدت عينه ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث مثلها .

ثم اعلم أن هذا الموجود هو الذى يعطى الأشياء على الطول والعرض ومعنى الطول والعرض فيه مايعطى الأرواح مما به صلاحها وبقاؤها من تنوع الحالات عليها ، كما تتنوع المعارف على الأرواح وطوله وعرضه على التساوى فى الوجوه فإن له مائة الف وثمانين الف وجه فى عرضه لكل وجه أربعة وعشرون الف صورة مع كل صورة رقائق لا يعلم عددها إلا الله لكل رقيقة قوى لا يعلمها إلا الله صاعدة ونازلة فى تلك الرقائق من هذا العقل يخلق الله عند نزولها وعند صعودها مايحدث فى العالم أسفله وأعلاه من كل شىء وهذه التى تسمى المعارج قال الله تعالى « سأل سائل بعذاب واقع »(١) وهو النزول وهكذا الرحمة ثم قال للكافرين « ليس له من دافع من الله »(٢) لكونه هو الخالق عندها إلا بها ثم قال « ذى المعارج » وهى الرقائق « تعرج الملائكة »(٣) وهى القوى الروحانيه التى ذكرناها « والروح إليه » وهو الموجود الاول الذى ذكرناه . فما أعجب القرآن لمن نور الله بصيرته واصطنعه لنفسه .

---

(١) ١ ك المعارج ٧٠ .

(٢) ٢ ك المعارج ٧٠ .

(٣) ٤ ك المعارج ٧٠ .

ولما كان الأمر صعوداً ونزولا كان الأمر دوريا كروى الشكل مثل الدولاب وكذلك الأخرة يدور فعيمها فيها عل مقدار الدنيا بصور مختلفةغير متناهية لا تشبه صورة أختها أبداً يدور على كل إنسان نعيمه أو عذابه فى أهل النار على قدر عمرهم وبنعطف عليهم متضاعفاً ، ولهذا قال تعالى « وأتوا به متشابها »(١) وكلها نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها »(٢) وقال « وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين »(٣) ويرجع إلى الأول فأول الدعوى لا إله إلا الله وأخرها الحمد لله وما بينهما تكبير وتسبيح وتحميد وغير ذلك ، وهكذا فى كل شىء أدوار وأكوان ومعرفة الإنسان بنفسه إلى معرفة أخرى منه يصعد بها إلى معرفة أخرى من ربه بما تدل عليه المعرفة النفسية ثم تنزله تلك المعرفة الربانية بما عنده من الافتقار إلى الزيادة ، هكذا ولذلك قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم « وقل رب زدنى علماً » وهكذا المعرفة بالحضرة الألهية من فعلها إلى صفتها إلى ذاتها ثم يدور الدور فى هذه الثلاثة وتتنوع المشارب فمهما انعطفت رقيقة من تلك الرقائق عن موجود تلقته رقيقة أخرى وانتقلت تلك الرقيقة إلى موجود أخر دائرة هكذا كما تمشى فى الماء والهواء اذا اختابت موضعاً أى قطعت اختلبت موضعاً أخر لك وانتقل عامره إلى موضعك الذى كنت فيه تعمره قال الله تعالى « قلنا أضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى » فما عمر شىء محلا إلا أخلى غيره فتفطن لدور الحياة والموتى فأنه عجيب أى لأنه واقع فى كل نفس دائما « وأتوا به متشابها » وقد قال صلى الله عليه وسلم « أرواح الشهداء فى حواصل طير تعلق من ثمار الجنة »(٤) وقال تعالى « بل أحياء عند ربهم يرزقون »(٥) والجسم آلة موصولة

---

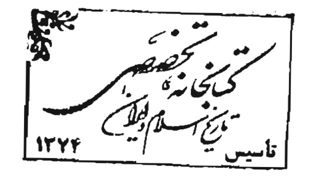
(١) ٢٥ م البقرة ٢ .
(٢) ٥٦ م النساء ٤ .
(٣) ١٠ ك يونس ١٠ .
(٤) مفتاح كنوز السنة .
(٥) ١٦٩ م آل عمران ٣ .

والنفس تفرح وتحزن وقال تعالى « فيهم أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون »(١) فجاء بلفظ الشعور تنبيهاً على أن الأمر خفى ، ومن هنا تعرف إن العدد الذى يومى فى الإنسان فى النفوس والقوى وشبه ذلك إنما يرجع ذلك العين واحدة ، ولا تنقسم ، بل هى جوهر فرد متحيز قابل لهذه الأوصاف فأذا جذبت سميت جاذبة وإذا أمسكت سميت ماسكة وهذا فى جميع الأحكام التى للإنسان وربما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى موضوع آخر مستوفى .

واعلم ان هذا العقل الأول الصادر من الله تعالى وحده وصدورالأشياء على التوالى ما ذلك لما يقتضيه وجود الحق وأنه مثلا لا يمكن أن يصدر عنه إلا واحد وأن هذا محال ولكن أراد ذلك وشاء ولو شاء الله أن يخلقهم فى الأخرة دون الدنيا وينزل كل منزول منزله ومسكنه من غير تكليف سابق لم يكن ذلك عليه بعزيز لما ذكرناه من كونه تعالى مريداً وكون العالم ممكنا فأن ما أوجده يعنى العقل الأول وحداً اختياراً منه سبحانه وسبق مشيئته ولا يحكم بذلك أى بكونه خلقه الله وحده إلا حتى يقول الشارع ان الله خلق واحداً حينئذ فهذا المخلوق وإن كان واحداً من حيث ذاته إلا أنه لابد أن يخلق معه فى حال خلقه صفته التى هى مشروطة بوجوده فى عينها لا من الجملة فاذا فلم يخلق واحداً وإنما خلق خلقين أو ثلاثة بما خلقه الله عليه من الصفات فاذا جاء الشارع بأنه خلق واحداً فمعناه أنه خلق واحداً قائما بنفسه فليرجع لكونه تعالى مختاراً ونقول على حد ما قررناه أنه لا معنى للقدرة إلا تعلقها بكل ممكن لذاتها وليس فى حقيقة الممكن أن يمتنع بنفسه عنها . فلما رأينا أن الممكن ليس من حقيقته الامتناع ورأينا القدرة تتعلق لذاتها ولم نر الممكنات وقعت باسرها واحدة علمناه على القطع أن الموصوف بالقدرة لو ولم يكن مختارا مريداً قد

---

(١) ١٥٤ م البقرة ٢ .



سبق فى علمه وجود ذلك الواحد لا وجود الكل دفعة واحدة لما تصور هذا فقلناه أنه مريد مختار يفعل ما شاء كما قال تعالى « فعال لما يريد » وقال « وما تشاؤن إلا أن يشاء الله » وقال « ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى » وهو سبق المشيئة والعلم لا فاعل فى الوجود إلا هو .

ثم اعلم أن معنى قول من قال أن الواحد لا يصدر منه إلا واحد فليس كما تخيله مخالفوا أهل الحق المطموسة بصائرهم عن الأستبصار بنور الشرع والعقل السليم حيث تحكموا فى معرفة موجودات لا يصح إدراكها إلا بطريق الكشف وأخبار الصادق عن الله لا غير لا بالفكر ، كما فيما قالوه أن الله واحد من كل وجه أى ليس له صفة البتة فلا يصدر عنه إلا ما تعطيه الوحدانية وهو واحد ثم جعلوا ذلك الواحد معه أزلا ونفوا أن يكون الله خالقاً له . ثم قالوا وذلك الواحد الذى صدر عنه هو ممكن وهو ثلاثة باعتبارات مختلفة وذلك أنه عقل نفسه وعقل صانعه وعقل أنه ممكن . ومن عمى بصائرهم أنهم ما تفطنوا أن هذا يلزمهم فى حق الوجود المطلق وهو إنه عقل نفسه وعقل أنه واجب الوجود وعقل هذا للموجود المقيد ، وربما أن بحثوا يزيد لهم عقل رابع وهو أنه عقل صانعه واجب لأنه لا يلزم إذا عقل صانعه أنه ممكن فأثبتوا مرتبة ثالثة فيلزمهم الرابعة لزوماً صحيحاً ويكون البارى أيضاً يعقل هذا ممكناً فتكون أيضاً أربعة فتوجد عنه أربعة أشياء لكل واحد واحد وهذا هذيان طويل لا تحصيل له . فاعلم أنا نقول أن الصفات على قسمين صفات ذات وصفات معنى فصفات الذات هى التى لا تعقل الذات إلا بها لأنها نفسها ليست شيئاً زائداً وصفات المعنى هى التى تعقل الذات ولا هى والعلم بذات الشىء يعطى معرفة صفات النفسية ومعرفة تلك الذات من كونها كذا يعطى معنى آخر . فاعلم ذلك . وذلك الأمر الأخر المعلوم للذات من كونها كذا يوجب حكماً للذات فيحكم على الذات إذا قام بها علم أنها عالمة . ومعلوم قطعا أن العلم عند كل ذى عقل

سليم معنى من المعانى والمعنى لا يقوم بنفسه فلو كانت ذات البارى تعالى هى العلم لكانت معنى ولطلبت ما يقوم به ولو كان العلم ذات البارى لكان العلم قائماً بنفسه وهذا يناقض حقيقة العلم وقدبينا أن الأحدى الذاتى لا يتكثر بما بقوم به من المعانى بالغة ما بلغت والحكم للذات فى الأشياء أنما هو لكونها كذا لا لنفسها ، وذلك المعنى الذى يوجب وهو واحد فلا يوجب إلا واحداً فنقول أن البارى سبحانه من كونه قادراً عند الإيجاد ، والإيجاد حقيقة واحدة وإن رجعت إلى نفس الموجودين ، والموجودون كثيرون ولا يصدر عنه من كونه مريدا إلا أختصاص الممكن بأحد الجائزين لا غير ويكون المخصوصون كثيرين ولا يصدر عنه من كونه عالماً بهذا الممكن إلا أحكامه والمحكومون كثيرون فاذاً فالقدرة واحدة فأعطت حقيقة واحدة واحدة وهو ايجاد الممكن والارادة واحدةواعطت حقيقة اختصاص الممكن بأحد الجائزين والأختصاص معنى واحد والإيجاد معنى واحد وكل مكن اذا وجد فهو موجود بالقدرة يختص بالإرادة محكم بالعلم فما صدر عنه الواحد إلا واحد فإن وجد واحد من هذه الأعيان الممكنات ولم يوجد منها كثيرون فمن حكم مشئيته سبحانه ، كما لو وجد منها كثيرون هو الذى يصح منه قول من يقول لا يصدر عن الواحد إلا واحداً فإذا رأينا ممكناً قد وقع قلنا وجوده عن كذا واختصاصه عن كذا وقد بينا أن الذات لا يتعدى بما يقوم بها من المعانى فأن الصفة ليست بجزء الموصوف ومن المحال أن يكون لموجود فى الوجود من الموجودات قدرة أو قوة أى بالاستقلال على إيجاد عين وابراز موجود إلا الله تعالى فإن تعلقها بالممكنات لذاتها فلا يخرج عنها مقدور البتة وإن القدرة التى للموجودات لا تأثير لها أى بذاتها إلا بأذن الله تعالى وأن القدرة القديمة التى هى لله تعالى هى التى توجد أفعال الخلق أعلاه وأسفله عند توجه إرادتهم وتعلق قدرتهم بها فلا فاعل إلا هو ولهذا لا يتصور أن يعقل أحد تعلق القدرة بالمقدور لكون القدرة

الحادثة ليس لها تأثير فى الأشياء بالاستقلال ، وبهذه الصفة يقع لفرق الجلى بين الخلق والمخلوق وهذا المشهد لا يشهده أحد أبداً وهو من الخصائص الإلهية وهو قوله تعالى . « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم » ونعوذ بالله لا أشرك به أحداً وهذه الأسباب التى وقوع الفعل عندها ليس كما يتخيله الضعيف العقل ولكن الله تعالى جعلها أسبابا بفعل المسببات عندها لا هى تفعلها ولا هو سبحانه يفعله بها ولو كان ذلك لكان مضطراً إليها وكلما يؤدى إلى افتقار منه يستحيل عليه الأفتقار فهو محال ، ولكن يفعله عندها ليضل من يشاء ويهدى من يشاء وليظهر عنايته لقوم وخذلانه لقوم آخرين ، لا كما يقول بعض الضعفة العقل أن حركة اليد حركة الأصبع حركة الخاتم ، ولو علم واستنار بنور العقل أن الجسم ، وكلما يتحرك أنه لا يتحرك فى الملا وإنما يتحرك فى الخلا فلا بد أن يكون الجسم أو المتحرك الذى يدعى هذا أنه يحرك بحركتة هذا المتحرك إلى حيزه التى هو فيها فانظر أقرب وجه المسألة وما أعمى المخالف عنها والله على كل شىء قدير .

فإذا تقرر ما ذكرناه تكلم أحد . وتكلمنا على ترتيب نضدد العالم وتوقف بعضه على بعض فإنما نتكلم عليه على حسب مارتبه الله العالم لا على أن ذلك يقتضيه حقيقته وأنه لا يجوز إلا ذلك بل يمكن هذا الترتيب ويمكن خلافه ويمكن أن يوجد الله عالم الأجسام قبل عالم الأرواح كما يقول بعض مخالفى أهل الحق أن النفوس الجزئية متأخرة عن وجود الأجسام والممكن لا يصير واجباً أبداً لذاته ولا يعقل وجوب شىء إلا لذاته والوجوب الشرعى لا يزيل الممكن عن حقيقة إمكانه ولو صح أن يصير الممكن واجباً يقتضيه العقل لا أقتضى أيضاً أن يصير الواجب ممكناً وأدى ذلك إلى بطلان الحقائق ولم يبق بأيدينا علم أصلاً فلابد أن يبقى الممكن ممكنا لأنه لنفسه هو ممكن . والواجب واجباً لانه لنفسه هو واجب . والمحال محال لأنه لنفسه هو المسألة وبسطنا

القول فيها وكررنا من أجل فهم الناظر فيها فأنه ليس كل فهم يكون له سرعة النفوذ وفهم الكلام الموجز ، والله سبحانه ينفعنا بالعلم ، ويجعلنا من أهله بمنه لا رب غيره .

تم الجواب والحمد لله الوهاب الجواد المحسن ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

العجـــالـة

اعلم – أيدنا الله واياك بتسديده ، ونظمنا فى سلك المقربين من عبيده : أننا لا نشك بأجمعنا : أن لنا مستندا فى وجودنا ، هو : خالقنا وخالق كل شىء .

ولا نشك أيضا : أنه أشرف منا ، ويتمايز : من حيث افتقارنا اليه فى استفادة وجودنا منه أولا ، وفى امداده الينا بما به بقاؤنا ثانيا ، وما نحتاج اليه فى تخليص نفوسنا من الشقاء ، وموجباته وأسبابه ، وتحليفنا (١) أسباب الفوز بالسعادة ومقام القرب منه ، ومعرفة كيفية قرع باب حضرته العليا ، التى بالدخول فيها تحصل السعادة القصوى ، فانه الغنى عنا ، وعن مثل ما افتقرنا اليه : ذاتا وصفة ، فان : النقص ، والفقر ، والانفعال ، من صفاتنا ، كما أن : الفعل ، والغنى ، والكمال : ذاتى لى ، ومن صفاته .

ولقد أخبرنا على السنه سفرائه صلوات الله عليهم : أنه خلقنا لعبادته (٢) ، وأراد منا لنا التحقق بعبوديته ومعرفته ، وأمرنا بتوحيده ، ورغبنا فى الحظوة به .

---

(١) جعله حليفا لنا وملازما .

(٢) قال الله تعالى – وماخلقت الجن والانس الاليعبدون – الآية : ٥٦ من سورة الذاريات .

وطلب السعادة بالاقبال عليه ، والتوجه والاخلاص من الشرك الخفى والجلى اليه .

وحذرنا من : الغفلة ، والنسيان ، والاغترار بتساويل النفس الأمارة بالسوء ووساوس الشيطان .

وندبنا وهيئنا للتعرض لنفحات جوده .

فوجب على كل مؤمن عاقل منا : طالب خلاص نفسه ، راغب فى تحصيل مقام القربة فى المراتب العلية من حضرات قدسه : أن يهتم ويعزم على التوجه اليه سبحانه وتعالى بقلبه الذى هو أشرف ما فيه ، لأنه الينبوع لما يشتمل عليه نسخة وجوده من صور العالم ومعانيه ، ولأنه - كما أخبر - أنه محل نظر الحق ومنصة تجليه (١) ومهبط أمره ، ومتنزل تدليه .

لكن ينبغى لك أن تعلم أن القلب ليس عبارة عن المضغة الصنوبرية ، فانها - وأن سميت قلبا - فانها تلك التسمية على سبيل المجاز ، وباعتبار تسمية الصفة ، والحامل : باسم الموصوف ، والمحمول ، والا فكل عاقل يعلم أن القلب الذى أخبر الحق على لسان نبيه - صلى الله عليه وسلم - بقوله « ماوسعنى أرضى ولاسمائى ، ووسعنى قلب عبدى المؤمن التقى النقى الوادع (٢) ، ليس هو هذا اللحم الصنوبرى الشكل ، فانه أحقر - من حيث صورته - [من] أن يكون محل سره جل جلاله ، فضلا عن أن يسعه فيكون مطمح نظره الأعلى ومستواه .

---

(١) والأحاديث النبوية وضحت هذا منها قوله ﷺ : « أن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم »

(٢) هذا واجاء فى كتاب احياء علوم الدين للغزالى

مطلب فى القلب الانسانى

وأنما القلب الانسانى : عبارة عن الحقيقة الجامعة بين الأوصاف والشئون الربانية ، وبين الخصائص والأحوال الروحانية والطبيعية ، وبها – أعنى حقيقة القلب – تنشأ عرصتها (١) وتنبسط أحكام شأنها ، وتظهر من بين الهيئة الاجتماعية ، الواقعة بين الصفات والحقائق الالهية والكونية ، وما يشتمل عليه هذان الأصلان من الأخلاق والصفات اللازمة ، وما يتولد من بينها : بعد الارتياض والتحنك والتزكية ، وزوال الأحكام الانحرافية وغلبة الاعتدال الرياضية الروحانية الحاكمة على الطبيعى والصورى الهوى الفلكى الملكى ، والاعتدال السفلى العنصرى ، فتظهر الحقيقة القلبية : ظهور السوادبين الزاج العنصرى ، فتظهر الحقيقة القلبية : ظهور السوادبين الزاج والعفص والماء (٢)، وكظهور النار بين الحجر والحديد .

فتلك الصورة الظاهرة من بين ماذكرنا ، هى : صورة الحقيقة القلبية الموصوفة بما وصف به الحق والعالم .

والقلب الصنوبرى : منزل تدنى تلك الصورة ومراتبها .

والناس فيما ذكرت على درجات عظيمة التفاوت ، ومن عرف كليتها :

---

(١) بفتح العين والراء والصاد .

(٢) الزاج : نوع من الملح ، والعفص : دواء قابض مجفف : يرد المواد المنصبة ويشد الأعضاء الرخوة الضعيفة ، انظر القاموس .

عرف حقيقة الاسلام ، والايمان ، والولاية ، والنبوة ، والرسالة ، والخلافة ، والكمال ، والقدر المشترك بين جميعها ، وما يميز كل واحدة من هذه عن الأخرى . فافهم .

ثم أقول : فالسير ، والسلوك ، والرياضة ، وكل ما هنالك ، فهو لتحصيل الرتبة الاعتدالية الواقعة بين أحكام العلم والاعتقاد الصحيح ، وبين الأعمال والأخلاق والصفات : على مقتضى الموازين العقلية ، والشرعية : لظهور عين الصورة القلبية وحكمها .

فاذا ظهرت - من حيث صفة طلب المتوجه - غلب عليه حكم الصفة المقتضية للقلب ، على باقى صفاته : التى اشتملت عليها ذاته ، وتوقدت عزيمته وإرادته : بموجب الأمر الباعث له على الطلب ، فقصد حالتئذ : تفريغ قلبه بطراز آخر ، فأن التوجه الأول ، هو : توجه جملي (١) لمحبة ذاتية : غير معلومة السبب والعلة ، ليس لها متعلق عند التوجه متعين فى بدء أمرة وطلبه .

وهذه العلامة : أصبح العلامات بالنسبة إلى أهل الاستعداد التام . فان أحكام المناسبات الذاتية غير معللة .

وأما هذا التوجه الثانى فهو عبارة عن التوجه إلى الحق ، على ما تعلم نفسه ، غير متقيد [بالتنزيه] المسموع أو المظنون ،

وكذلك التشبه ، بل يكون توجها مطلقا جمليا ، هيولانى (٢) الوصف : قابلا كل صورة ، ولم يزد عليه من الحق : ظاهرا عن نفس كل اعتقاد :

---

(١) بضم الجيم وسكون الميم وكسر اللام .

(٢) الهباء المنبثق فى الجو .

مستحسن ومستنكر ، جازما أن الحق : كماله ذاتى ، مستوعب جميع الأوصاف : الظاهرة الحس ، والخفية عنها .

لايحيط بسره عقل ولافكر ، ولا وهم ولا فهم .

بل هو كل اخبر واشهد ، وعرف وأظهر كل من شاء ، كما شاء ، أن شاء ظهر فى صورة ، وأن لم يشأ لا ينضاف إليه صورة ، ولا اسم ، ولارسم ، وأن شاء : صدق عليه كل حكم ، ومسمى بكل اسم ، وأضيف إليه كل وصف .

وهو المقدس على كل حال ، عما لا يليق بجلاله .

وليس المنزه عن ماهو ثابت له لذاته ، بشرط ، أو بشروط ، أو بدونها .

فاذا صرت - ياأخى - كذلك ، وتقرر هذا العقد فى نفسك ، وانمحت كثيرة أحكامك المختلفة فى وحدة توجهك دون نفس ، وتعشق بشىء ، أو التفات الى أمر : حينئذ تثبت المناسبة بينك وبين حضرة القدس .

وحالتئذ : تكون قد تهيأت لتجلى وتكون منزل لدليه ، ومنصة تجليه فافهم .

اعلم أن منبع قوة الإنسان الطبيعية والمزاجية وما ينبغى له من الصفات والأخلاق والأفعال : قلبه ، ومرءاة الروح الإلهى العارف المدبر للبدن بواسطة الروح الحيوانى فى المحمول فى الصورة الضبابية ، الحاصلة فى التجويف اليه من حيث القلب المذكور : الجامع بين خواص الروح ، وخواص المزاج : « مرءآة السر الإلهى المشار إليه بقوله : - ووسعنى قلب عبدى - » الحديث .

فمن شعبه للمطالب الكونية : شعبه وفرقه شعبا ، بحيث أنه يصير مخصصا لكل مطلب [جزوى] من تلك المطالب منه خاصة ، فأنه يهزل هزالا معنويا ، كما يهزل البدن : لفرط التحليل الذى لا يخلف ، وكما يضعف كماء

النهر العظيم : اذا قسم جداول شتى فيضطر إلى طلب الاستمداد والتقوى بأمور خارجة ، طالبا ايصالها إلى نفسه واتصالها به ، كما هو الأمر فى المتغذى مع الغذاء . وتأبى الحقيقة من حيث المعنى ذلك ، كالضعيف المعدة ، والساقط القوى : اذا رام خلاف ما تحلل منه بدواء يقصد تناوله ، فانه لا ينتفع به لعدم مساعدة الطبيعة على تحصيل المقصود منه ، وتظهر الطبيعة فى عالم حقائق الاستعداد .

فان لم يكن استعداد : لا يجدى اجتهاد .

فاذا اقتصر الانسان فى أول أمره على ما حوته ذاته ، مما أودع الحق فيه ، وحفظ قنبه وسره الكلى من التوزع والتشتت ، والتشعب بالتعلقات بالمطالب الجزئية الكونية : كان غناه وقوام الطبيعة ، والروحانية ، ثم الالهية : وثمراتها : أوفر وأتم .

فاقصد الاستمداد والتقوى به من خارج .

وانما جهل كماله الذاتى المستجن فيه ، فتعدى لطلبه وتحصيله من حارج ، ولو اهتدى سواء السبيل : لعلم أن متعلق القلب الأصلى : تفصيل مجملاته ، وبروز مستجناته (١) ، بخروج ما فى القوة إلى الفعل ، وجميع ما أثبت من صفاته وقواه بالتوزع والتكثر والاختلاف الانحرافى : إلى التوحد الاعتدالى والرجوع الى الأصل : « كل اغتدال من الاعتدالات الأربع المذكورة » .

ثم الأصل الأحدى الجامع للجميع ، ليلحق كل فرع بأصله ، وتتحد الأصول بالأصل ، وتكمل الأجزاء بالكل ، ولكن حجب عن ذلك لظهور حكم

---

(١) المستجن : هو المخبوء المستتر

تمييز القبضتين ، وتحقيق الكلمتين – ليقضى الله أمراً كان مفعولا – فافهم واعرف ما ينبغى لك أن تطلبه وتحصله : يقرب لك الأمر ، ويختصر لك الطريق بعون الله ومنته .

فصل

فى كيفية التنقل فى مراتب المذكور ، والدرجة الأولى

مطلب : دفع الخواطر

بدوام الذكر الظاهر : تجدد جمعية دون انزعاج المزاج ، بل بحضور مع الحق ، ومراقبة له على ما تعلم [بعضه] كما مر .

فاذا دفعت الخواطر وزالت ، نطق القلب بالذكر الذى أنت عليه أو بذكر آخر [بعينه] لك من الحق .

فهنالك يعلمه الله سبحانه : أنه لايقع حالتئذ ، فحضرت معه ، وتركت الذكر الظاهر ، هكذا حتى تحقق بامكان خلو الباطن من الذكر المتجدد أيضا ، حتى تثبت وتشعر بانك قادر على ذلك .

فاجتهد فى تفريغ باطنك من الذكر الباطن ، واستعمل نفسك فى الفراغ من الذكر الظاهر والباطن معا ، فانك تجدك قادرا عليه ساعة ، أو دون ساعة ، ثم تواجهك الخواطر ، فان قدرت على دفعها بعزيمتك واعراضك عنها ، وعن ما يوجبها ، فادفعها بذلك ، وإلافعد إلى الذكر بقلبك ، بتعقل الحروف ، لا بتخيلها : بما تحدث به نفسك بما تريد أن تفعل ، وان قويت زحمة الخواطر ، فاجمع بين ذكر الظاهر وحضور الباطن معا الباطن معا ، دون فترة ، أو فى غالب الأوقات ، هكذا . وكلما واظبت على ما ذكرت لك : يزيد فراغك ،

وينمو ، حتى تغلب الخواطر وتدفعها .

واستعمل نفسك وقلبك فيما ذكرت لك دائما ، ولو كنت فيها عسى أن تكون فيه من الاشغال ما عدا [عمومات] نطقك بالحديث مع الناس ، فان تعينت لك قضية توجب الاشتغال بشيء غير ما أنت فيه ، أو مصلحة ، فسم الله بحضور وتوجه فى أول الأمر ، ثم اشرع فيها تريد الشروع فيه من : حيث ، أو فكر ، أو فعل ، وقل : « اللهم كن وجهى فى كل جهة ، ومقصدى فى كل قصد ، وغايتى فى كل سعى ، وملجئى وملاذى فى كل شدة ومهم ، ووكيلى فى كل أمر ، وتولينى تولى محبة وعناية فى كل حال » .

ثم باشر ما قدر لك ، بما شرعه ، واقصد فى خلا أحوالك الدنياوية ، التيقظ للذكر ، والالتفات إلى الحق مما أنت فيه ، كما قال سبحانه لحبيبه صلى الله عليه وسلم - واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخفية ودون الجهة من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين[1] - يعنى : بين الغدو والآصال : أى لا تقصر على حفظ الطرفين الذين هما : الأول والآخر ، وإن كان ذلك مجديا [وكافيا لقبرك] .

واذكر قوله - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة[2] - وأتبع ولا تبتدع .

ومتى جعلت هذا ديدنك فى حضورك [وتقويك] : سلطنت ودك . وظهر له قلبك فى مشيمة[3] طبعك ، وتطهرت صفاتك وأخلاقك ، وزكت نفسك ، واتسعت مرءآة قلبك ، واعتدل طبعها بتوحيد كثرتها ، وصح شكلها وهيئتها ،

---

(١) الآية : ٢٠٥ من سورة الأعراف .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٣١ .

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور .

فسلمت وخلصت من [النتو] والتقعير ، وناسبت حضرة ربك فى الوحدة والسعة والاطلاق والتقديس ، وتنزهت عن كدورات كثرة التعلقات العشقية والكونية والتدنيس .

فان تمكنت فيما ذكرت لك : فتح لك باب آخر بينك وبين ربك ، لا حكم للوسائط فيه وعليه ، منه تعلم ما أنت فيه ، وما تكون عليه ، وما تعامل به الحق والخلق ، وما يقربك اليه .

وليكن هذا التوجه المذكور حالك فى كل توجه تتوجه الى ربك فى عبادتك ، على اختلاف ضروبها ، وفى دعائك والتجائك الى ربك فى مهماتك الجزيئة والكلية .

والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل .

اعلم أن سر التدرج فى الذكر والتوجه والترقى ، هو : لاحياء حقيقة المناسبة الثابتة أزلا بين الحق وعبده - أعنى المستهلكة الآن والمحجوبة بأحكام الخلقية والخواص والصفات المختلفة الامكانية - وانما هى تصح وتحصل وتخلص بقطع التعلقات الظاهرة والباطنة ، وتفريغ القلب من جملة الارتباطات الحاصلة بعد الايجاد : بين الانسان وبين الأشياء كلها : ما علم منها وما يعلم ، ثم تهيئته - أعنى تهيئة القلب - بموجب حكم الأحدية : بجمع الهيئة المتحصل من تأليف الصفات ، والأخلاق وآلات العلوم والاعتقادات والمقاصد ، والبواعث والتوجهات الناشئة فى نفس الانسان ، بالبدن العنصرى .

والله تعالى قوى كل واحد منهما بالآخر .

وغلبة بعضها بعضا فعلا وانفعالا بنحض المجاهدات وتهذيب الأخلاق بالرياضات ، وازالة أحكام الانحرافات الغامضة ، من خواص الاجتماع الواقع بين القوى المزاجيـة والصفات النفسانية ، فان المقصود انما يحصل بعد

تطهير الملوثة .

ومن اتمام النواقص منها - أى من تلك الصفات المجتمعة من خواص الطبيعة والروح ، وما ذكرنا ، ونقلها من حيث تعلقاتها ومصارفها المعتادة ، وردها من درجات انحرفاتها الخارجة عن حيز اعتدالها : الى نقطة مركز دائرة الكمال الحقيقى بها - استمر ليتم تسويتها ، وتعديلها ، ويستعد للنفخة الثانية ، فأنه كما استعدت بالتسوية والتعديل الأول لنفخ الروح فيها ، كذلك يستعد بهذه التسوية والتعديل الثانى الواقع فى مزاجه المعنوى بين خصائص نفسه الباطنة ، وبين خصائص بدنه العنصرى ، المعبر عنها ب« الأخلاق والصفات والعلوم والعقائد والبواعث والتوجهات » وغير ذلك من النسب والإضافات المضافة إلى الجناب الإلهى ، والكون : انفرادا أو اشتراكا ، للنفخة الثانية . فحينئذ يظهر بهذا الاستعداد واالتهيؤ الوجودى الجزئى : سر الاستعداد الكلى الذى به قليل هذا السالك الوجود من موجوده أولا .

فاذا تم ذلك : حصلت النفخة الثانية من جانب الحق : حاملة سرا ثانيا ، يعبر عنه تارة بـ « التأييد القدسى » فى حق قوم ، وبـ « التنزلات الملكية » ، و« المنازلات » فى حق قوم ، و« تجليات الأسماء والصفات » فى حق آخرين .

ثم بعد ذلك يكون التجلى الذاتى المستلزم بما لا ينال ومالايعرف سره فى غير الكمل : ذو علم أن قلوب أكثر الناس انما ظلمتها وكثرة صداها - كما قلنا - من التحلقات الشهوانية ، والأحكام الامكانية .

والمناسبة التى بينها وبين الحق : انما ضعفت لذلك .

فلهذا كان الانتقال مما هم فيه إلى الحالة والصفة التى تليق وتصلح أن يواجه بها حضرة الحق ، وتثبت بها المناسبة ، ويجىء حكمها متعذرا - سيما اذا أريد أن يكون دفعة واحدة - لأن الحالة الأولى كتعذرا - سيما اذا أريد أن

يكون دفعة واحدة – لأن الحالة الأولى بها : الكدر أضداد هذه الأربعة ، وهى : الصفاء ، والنورية ، والكمال ، والأحدية .

وسر الحق – وأن كان مستجنا فى كل واحد ، بل فى كل شىء ، ومصاحبا له ، ومحيطا به – فأنه محجوب بالأحكام الامكانية الظلمانية ، وصفاتها الوجودية كما مر .

فمن وجد فى نفسه طلبا للحق ، أو مما لديه ، فانما يطلبه وينبعث له بما فيه من الأمر المطلوب : لأنه يستحيل – عندنا – أن نطلب الحق أو محبة سواه ، أو يصل اليه ما ليس به .

وهكذا الأمر فى كل مطلوب مع كل طالب .

فسر طلب الحق – فى زعم طالبيه – عبارة عن طلب الحق المقيد ، المستجن فى الطالب ، مع الكمال النسبى الخصيص به متى رق بعض حجبه ، أو قل طلب – أعنى ذلك السير – الاتصال بالحق المطلق وكما له الحقيقى : للخوف ، وفرع بأصل واظهار كمال الكل : [الجزء الذى به ثبت اسم الكل للكل] فأن الامتياز ، انما حصل من حيث أنه عرضت بينهما مفارقة نسبية ، بتعين بعض الوجوه .

فصـــل

كما بعدت المناسبة بين حال بواطن الناس ، وبين جناب الحق وشأنه كما ذكرنا ، ووجد الاشارة فى قلب الباعث على الذى ذكرت سببه ومقتضاه ، لم يكن ذلك الا بالتدريج ، كما أشرت اليه : لزم الشروع أولا مما الانسان فيه من الجلال الى مفارقة صورة الكثرة : شيئا فشيئا ، وذلك بالانفراد أولا والانقطاع ليحصل ضرب ما من ضروب الناسبة بين العبد وربه .

ثم يستعين بما ذكرنا ، ويقصد تعطيل قواه المتثرة والمختلفة : الحسية منها ، والحالية الحيوانية ، الحاصلة والعارضة من الخواطر جهد الامكان ، بجمع الهم وتحقيق العزم ، ثم يقصد الالتفاف الى الحق بصورة ملازمـة الذكر : [ذكر من أذكاره يعينه المرشد ، أو الحال ، أو الاستعداد] وأنه – أى ذكر كان – من وجه كونى ، ومن وجه ربانى .

لأنه من حيث لفظه والنطق به : هو كون .

ومن حيث مدلوله : هو حق .

فهو كالبرزخ بين الحق والكون .

فيحصل بذلك أيضا ضرب من ضروب المناسبة : أتم مما قبله ، فاذا تأنس الانسان به كان كالمفارق العالم ، وكالمحيى لرقيقة المناسبة الرابطة من أكثر الوجوه ، بينه وبين الحق ، لتغليب حكم الوحـدة الحقيـة على الكثرة

الخلقيـة[1] .

ثم اذا انتقل من الذكر الظاهر الى الذكر الباطن ، ونطق به قلبه ، دون تعمل[2] – سيما اذا كان نطق القلب بغير الذكر الذى بدأت عليه – كان بعده من صور العالم وأحكامه المختلفة المتكثرة أكثر ، وقربه من الحق الواحد ، ومناسبته معه ، ونسبته اليه : أتم[3] .

وكلما قويت العزيمـة ، وتوفرت الرغبـة بحصول الأنس الذى أثمره الفـؤاد ، وما ذكـرنا : مـع جمـع الهـم الـذى هـو الأصـل الأتـم : قويت سلطنة الحق[4] المستجن فى الانسان ، وضعفت فيه أحكام الكثرة والامكان ، فتنور قلب العبد أو انصقل وتصفى ، من حيث صفاته فتجوهر واعتدل لاستقامة سطح مرءاته وتوحد كثرته[5] ، كما هو الأمر فى المرءاة قلب الانسان وحقيقته ، فأن صفاءها وصقالها انما هو باعتدال أجزاء سطوحها : الحاصل بزوال ما ظهر فيها من التعدد والإختلاف ، كالنتو ، والتقعير ،

(١) الحقية بفتح الحاء وتشديد القاف المكسورة : نسبة الى الحق ، والخلقية : بفتح الخاء وسكون اللام نسبة الى الخلق ، والمقصود : تغليب جانب الحق على جانب الخلق ، والله تعالى اعلم .

انظر : لسان العرب لابن منظور .

(٢) أى تشغيل للقلب ، لأنه اصبح سجية له وطبيعة .

(٣) أى : لاستواء قلبه ، لأن التقدير : « ونطق به قلبه دون تعمل » : تم قلبه ونضج ، لان الذكر أصبح له طبيعة ، وما بين « تعمل » و « تم » جملة اعتراضية .

(٤) والحق المستجن فى الانسان هو : الفطرة التى عبر عنها رسول الله ﷺ بقوله « يولد المولود على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، او ينصر انه او يمجسانه » فاذا قوى جانب الفطرة المستجن فى كل انسان : سيطر الحق ، الذى هو الايمان ، واصبح الانسان موحدا كاملا .. يقول الله تبارك وتعالى – وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم – هذا والله أعلم .

(٥) توحد الكثرة هنا : معناه أن الشواغل الكثيرة التى كانت تشغل القلب تبددت ، واصبح شغله بالله فقط . والحمد لله على فضله .

واعوجاج الشكل [والتصفير[١]] فأن كل ذلك يوجب تغير صورة ما ينطبع فيها بالنسبة الى مدرك[٢] الصور فيها عما هى عليه خارج المرءاة بعد الصقل وتسوية سطوحها وصحة استدارتها - لأن الاستدارة أفضل الأشكال وأقربها نسبة الى الاطلاق - وعدم التقيد بالشكل والصورة . ولهذا كانت الافلاك وما فيها من الشكل والصورة مستديرة كلها ، لأنها أقرب الاجسام نسبة الى الأرواح ، ولا واسطة بينها وبينها . فانها أول الأجسام صدورا من الحق سبحانه بواسطة الأرواح ، فا فهم .

ثم نرجع ونقول : فالانسان لا يزال مقبلا - كما قلناه - فى صورة الذكر الى معناه وباطنــه ، ومن التلفظ به إلى نطق القلب بذلك الذكر أو غيره ، وباطنه ، ومن التلفظ به الى نطق القلب بذلك الذكر أو غيره ، وباطن الذكر غير معناه ، وأنه عبارة عن التوجه الى المذكور من كونه مذكورا ، أو متوجها اليه هكذا : درجة فوق درجة إلى .

وفى كل درجة يسقط منه جملة من أحكام كثرته ، وصفاته أمكانه ، ويقوى حكم وحدة ربه وسلطانه .

ومعنى السقوط هنا : للصفات والقوى ، لاستهلاكها ، لأنها بها عكس الحالة الأولى التى كانن عليها كجمهور الناس .

---

(١) أى كدورة اللون وصفرته .

(٢) « مدرك » بفتح الميم وسكون الدال وفتح الراء .

مطلب : المناسبة

فاذا كمل بها التوحد ، وتلاشت أحكام الكثرة الخلقية الامكانية : ثبتت المناسبة من بين : جناب الحق ، وبين القلب الذى هذا شأنه فحالتئذ يظهر التجلى الذى يتدنى من الحق اليه ، والأمر الذى يتنزل فيه ، فيستحيل(١) قواه الظاهرة والباطنة ، وجملة صفاته : استحالة معنوية ، فتبدل أرضه غير أرضه ، وسماؤه غير سماواته(٢) وكذلك ما فيها : لقيام قيامته ، واستقامة قامته ، وحينئذ يصير تمام الآية وصف جاله ، وهو قوله تعالى – وبرزوا لله الواحد القهار(٣) – فيتغير اعتقاده فى كل شىء عما كان عليه بتغير ما به – يدرك ما يدرك ، ويتلو قوله تعالى – وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون(٤) .

وأما بعد ذلك فلا يمكن ذكره وبيانه ، بل يجب ستره وكتمانه ، و « كل ميسر لما خلق له » .

وما ذكرنا فى هذه العجالة – وان كان أصلا جامعا – فانما يأخذ كل أحد

---

(١) يستحيل بمعنى : يتحول .

(٢) المعنى المقصود : أنه يتغير حاله كله ، والتغبير بأرضه وسماواته : تعبير بالكناية . لا بالحقيقة .

(٣) الآية : ٤٨ من سورة سيدنا ابراهيم .

(٤) الآية : ٤٧ من سورة الزمر .

منه : مايستعد له ، ومايساعد عليه وقته وحاله ، فانما يأخذ كل أحد منه : ما يستعد له ، وما يساعد عليه وقته وحاله ، و- ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم -[١] .

ومن اراد أستكمال هذه الفائدة ، واستثمارها ، فليضف هذه التتمة الى ما ذكر من قبل ، فانه : زن أدرك ، وفهم ما أدرجت فى هذه الكلمات : عرف سر الحق المودع فى الخلق .

وعرف معنى « غلبة الرحمة الالهية الغضب[٢] » ، وأنها منبع كل اعتدال وانحراف واقع فى عرصة المعانى والأرواح ، وعالم المثال : الذى تتصور فيه الأرواح وتتجسد فيه المعانى ، واعتدال عالم الحس .

وعرف سر الولادة[٣] الثانية التى أشار اليها فى الآية : فى الأنبياء والأولياء ، وتقدم حديثها آنفا .

وعرف سر أصحاب الحق بالخلق ، وسر صحبة الحق بالخلق ، وأحاطته بهم ، وكونه معهم ، أينما كانوا دون مزج ، وملابسة ، وظرفية[٤] .

---

(١) الآية : ٢ من سورة فاطر .

(٢) من قول الحق سبحانه وتعالى فى حديثه القدسى : « سبقت رحمتى غضبى » رواه الامام مسلم .

والغلبة أو السبق بالنسبة لله تعالى ليس كما هو للخلق - تعالى الله عن ذلك ، فان الله تعالى لا يعتريه ما يعترى الخلق .

(٣) الولادة هنا : التربية : قال فى القاموس المحيط : والتوليد : التربية ، ومنه قول الله عز وجل لعيسى ﷺ « أنت نبيى وأنا ولدتك » - بتشديد اللام المفتوحة : أى ربيتك .
فقالت النصارى : أنت بنيى وأنا ولدتك - بفتح اللم الخفيفة - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا » .

(٤) الا يتقى الله : الذين يدعون فيه ما ليس فيه .

وعرف أيضا كيفية انتشاء الخواص الروحانية فى ملابس المواد الطبيعية ، وكيفية ترتبها هناك ، وكيفية تخليصها من تلك المزجة ، كما مر ذكره فى أمر الكثرة ، والوحدة ، والالهية ، واستهلاك الكثرة تحت سلطنة الوحدة ، فانه مزاج التحليل الذى لم بذقه ولم يشهده ولم يتحلل فى وجه بحيث ينزل منه فى كل مرتبة وعالم : ما يناسبه ، لم يدر ما المعراج ولم يلج حضرة من حضرات الحق وسرايته فى المراتب الخلقية ، وعوده الى الأصل ، بواسطة الأحوال المسماة « سلوكا »[١] فافهم .

وعرف سر غلبة الله على أمره فى مرتبة الأرواح مع الطابع ، وفى مرتبة الأخلاق والصفات المحمودة مع المذمومة ، ومغلوبية الأرواح الانسانية تحت أحكام الأمزجة الطبيعية أولا : مع مغلوبية الأرواح الانسانية تحت أحكام الأمزجة الطبيعية أولا : مع مغلوبيتها ومغلوبية سائر الأرواح العلوية المقدسة أخرى ، تحت أحكام الأسماء والصفات الالهية ، واستهلاك جملة الكون تحت السطوة الذاتية الالهية .

وتعرف علوما مدرجة فى هذه الكلمات : غير ما ذكرنا ، يطول ذكر أنواعها ، فكيف تعينها وبيانها . فافهم .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

والله يهدى من يشاء الى صراطا مستقيم .

---

(١) من قوله تعالى – والله غالب على امره – .

عقيدة أهل الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله أجمعين .

اشهدكم – بعد أن اشهد الله تعالى وملائكته ومن حضر من الروحانيين ، وسمعنى : انى أشهد قولاً وعقداً أن الله إله واحد ، لا ثانى له فى ألوهيته منزه عن الصاحبة والولد مالك لا شريك له ، ملك لا وزير له ، صانع لا مدبر معه ، موجود بذاته من غير افتقار الى موجود يوجده ، بل كل موجود سواه مفتقر اليه فى وجوده ، فالعالم كله موجود به ، وهو وحده موجود بنفسه ، لا افتتاح لوجوده ، لا نهاية لبقائه ، بل وجود مطلق غير مقيد مستمر قائم بنفسه ، ليس بجوهر متحيزا فيقدر له الجهة والتلقاء ، مقدس عن الجهات والأقطار ، مرئى بالقلوب لا الأبصار .

(استوى على عرشه)[1] كما قاله ، وعلى المعنى الذى أراده ، كما أن العرش وما حواه به استوى .

وله الآخرة والأولى .

---

(١) ٣ ك يونس ١٠ ، ٥٤ ك الأعراف ٧ .

ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول .

لا يحده زمان ، ولا يقله مكان .

بل كان ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان .

خلق المتمكن والمكان ، وأنشأ الزمان ، وقال : أنا الواحد [الحى] الذى لا يئوده حفظ المخلوقات ، ولا ترجع اليه صفة لم [يكن] عليها من صنعة المصنوعات .

تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها ،أو [يكونِ بعدها أو يكون قبلها] .

بل يقال « كان ولا شىء معه » ، فان القبل والبعد من [صيغ] الزمان الذى أبدعه .

فهو القيوم : الذى لا ينام ، والقهار الذى لا يرام .

ليس كمثله شىء ، خلق العرش وجعله حد الاستوى .

وانشأ الكرسى وأوسعه [الأرض] والسماء .

اخترع اللوح والقلم الأعلى ، وأجراه كاتبا بعلمه فى خلقه الى يوم الفصل والقضاء .

أبدع العالم كله على غير مثال سبق .

وخلق الخلق وأخلق الذى خلق .

وأنزل الأرواح والأشباح أمنا .

وجعل هذه الأشباح المنزلة اليها الأرواح فى الأرض خلفا(١) .

---

(١) من قوله تعالى - وهو الذى جعلكم خلاف الأرض .

(٢) قال تعالى - وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه - .

وسخر [لها] ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه(٢) .

[فما] تتحرك ذرة إلا اليه وعنه ، [خلق الكل من غير حاجة إليه ، ولا موجب أوجب ذلك عليه] .

[و] لكن [علمه] سبق بأن يخلق [ما خلق] .

فهو : الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، وهو على كل شيء قدير .

أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا .

يعلم السر وأخفى .

يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

كيف لا يعلم شيئا هو خلقه – ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير – ؟

علم الأشياء قبل وجودها ، ثم أوجدها على حد ما علمها .

فلم يزل عالما بالأشياء .

لم يتجدد له علم عند تجدد الأشياء .

[بعلمه أتقن الأشياء] وأحكمها ، وبه حكم عليها من شاء وحكمها .

علم الكليات على الاطلاق ، كما علم الجزئيات [باجماع أهل النظر] الصحيح واتفاق .

فهو عالم الغيب والشهادة ، فتعالى [عما يشركون] .

فعال لما يريد ، فهو المريد [للكائنات] فى عالم الأرض والسماوات .

لم تتعلق قدرته [تعالى بايجاد] شيء حتى أراده .

كما أنه [سبحانه] لم يرده حتى علمه ، إذ يستحيل فى العقل أن يريد ما

[لم] يعلم ، أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده .

[ويستحيل] أن [توجد] نسب هذه الحقائق فى غير حى .

كما يستحيل : أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها .

فما فى الوجود طاعة ولا عصيان ، [ولا ربح] ولا خسران ولا عبد ولا حر ، [ولا برد ولا حر] ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فوت[1] ولا نهار ولا ليل ، ولا اعتدال ولا ميل ، ولا بر ولا بحر ، ولا شفع ولا وتر ، ولا جوهر ولا عرض ، ولا صحة ولا مرض ، ولا فرح ولا ترح ، ولا روح ولا شبح ، ولا ظلام ولا ضياء ، ولا أرض ولا سماء ، ولا تركيب ولا تحليل ، [ولا قليل ولا كثير] ، [ولا غداة ولا أصيل] ، ولا بياض ولا سواد ، ولا رقاد ولا سهاد ، ولا ظاهر ولا باطن ، ولا متحرك ولا ساكن ، ولا يابس ولا رطب ، ولا قشر ولا لب ، ولا شىء من هذه النسب : المتضادات [منها] والمختلفات والمتماثلات ، إلا وهو [مراد للحق تعالى] .

وكيف لا يكون مراد له وهو أوجده ؟؟

[أم] كيف يوجد المختار ، ما لا يريد .

لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ويهدى من يشاء ، ويضل من يشاء .

ما شاء كان ، وما يشأ [أن يكون] : لم يكن .

لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئا لم يرد الله تعالى أن يريدوه : ما أرادوه أو يفعلوا شيئا : لم يرد الله تعالى ايجاده وأراده عند ما أراد منهم أن

---

(١) الفوت هو : السبق .

يريدوه : ما فعلوه [ولا استطاعوا ذلك] ولا أقدرهم عليه .

فالكفر والايمان ، والطاعة والعصيان بمشيئته وحكمه وارادته .

ولم يزل سبحانه موصوفا [بالارادة] أزلا والعالم معدوم غير موجود ، وإن كان ثابتا [فى علم غيبه] .

ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل [أو عدم علم] فيعطيه التفكر والتدبر علم ما جهل : جل وعلا عن ذلك .

بل أوجده عن العلم [السابق] وتعيين الارادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجدته عليه من : زمان ، ومكان ، واكوان ، والوان ، فلا مريد [فى الوجود على] الحقيقة سواه ، اذ هو القائل سبحانه – وماتشاءون الا أن يشاء الله –.

وأنه سبحانه ، كما علم فأحكم ، وأراد فخصص ، وقدر فأوجد : كذلك سمع كلامالنفس فى النفس ، وصوت المماسة الخفية عند اللمس ، ويرى السواد فى الظلماء ، والماء فى الماء .

لا يحجبه الامتزاج و [لا] الظلمات ولا النور ، وهو السميع البصير .

تكلم – سبحانه – لا [عن صمت مقدم ولا عن سكوت]متوهم : بل بكلام أزلى كسائر صفاته ، من : علمه ، وإرادته [وقدرته] .

كلم به موسى عليه الصلاة والسلام .

سماه : التنزيل والزبور والتوراة والانجيل ، من غير حروف ولا أصوات ولا نغم ، [ولا لغات] بل هو خالق الأصوات والحروف واللغات ، فكلامه – سبحانه – من غير [لاهات] ولا لسان .

كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان .

كما أن بصره من غير حدقة ولا أجفان .

كما أن اراته من غير قلب ولا جنان[١] .

[كما أن قدرته من غير تركيب فى ذاته ، ولا آلات ، ولا أعوان] .

كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر فى برهان .

[كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الأركان] .

كما أن ذاته لا تقبل الزيادة ولا النقصان .

فسبحانه : [سبحان] من بعيد دان ، عظيم السلطان ، عميم الاحسان ، جسيم الامتنان كل ما سواه فهو من جوده فائض [و] فضله وعدله الباسط له ، [و] القابض ، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه ، لا شريك له فى ملكه [ولا مدبر له فى ملكه]

أن أنعم [فتعم][٢] فذلك فضله .

وان [ابتلى] فعذب فذلك عدله .

لم يتصرف فى ملك غيره ، فينسب [للجور] والحيف .

ولا يتوجه عليه لسواه حكم ، فيتصف بالجزع لذلك والخوف.

كل ما سواه [تحت سلطان قهرة] ومتصرف عن ارادته وأمره .

فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور ، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء ، والآخذ بها ممن شاء : هنا وفى يوم النشور .

لا يحكم عدله فى فضله ، ولا فضله فى عدله .

---

(١) جنان : بفتح الجيم .

(٢) بتشديد العين المفتوحة ، أى فجعله نعيما متواصلا .

أخرج العالم قبضتين ، وأوجد لهم منزلتين فقال : هؤلاء للجنة ولا أبالى ، وهؤلاء للنار ولا أبالى ، ولم يعترض عليه معترض هناك ، [اذ لا موجود كان ثم سواه]

[فالكل] تحت تصريف [أسماء آلائه] .

فقبضة تحت أسماء آلائه .

ولو أراد - سبحانه - أن يكون العالم كله سعيدا لكان ، [أو شقيا لكان] .

لكنه - سبحانه - لم يرد ، فكان كما أراد ، فمنهم السعيد ومنهم الشقى : هنا وفى [يوم] المعاد .

فلا سبيل الى تبديل ما حكم عليه القديم ، و [قد] قال تعالى فى الصلوات « هن خمس وهن خمسون : ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد » [لتصريفى] فى ملكى ، وانفاذ مشيئتى فى ملكى .

وذلك لحقيقة عميت عنها [البصائر والأبصار] ، ولم تعثر عليها الأفكار ، و [لا] الضمائر ، الا بوهب الهى وجود رحمانى لمن اعتنى [الله] به من عباده ، وسبق له ذلك [فى حضرة شهاده] فعلم حين أعلم [أن الالاهية] أعطلت هذا التقسيم ، وأنه من [رقائق] القديم .

فسبحان من لا فاعل سواه ، ولا موجود [بذاته] الا اياه - والله خلقكم ومانعملون - لا يسأل عما يفعل وهم يسألون - ولله الحجة البالغة ، فلو شاء لهداكم أجمعين .

وكما أشهدت الله [سبحانه وتعالى] وملائكته [وجميع خلقه] واياكم [على نفسى بتوحيده ، فكذلك أشهده سبحانه وتعالى وملائكته واياكم على نفسى بالايمان بمن اصطفاه] واختاره واجتباه [من جوده] وذلك : سيدنا

[ومولانا] محمد ﷺ الذى أرسله الى جميع الناس كافة بشيراً ونذيراً وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا – فبلغ صلى الله عليه وسلم ما أنزل إليه من ربه ، وأدى أمانته ، ونصح أمته ووقف فى حجة وداعه على كل من حضر من أتباعه فخطب وذكر ، وخوف وحذر وبشر ، وأنذر ، ووعد ، و [أوعد] ، وأمطر وأرعد وما خص بذلك التذكير [أحد دون أحد] عن اذن الواحد الصمد

ثم قال : [ألا هل بلغت] ؟ فقالوا بلغت يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم أشهد .

وانى مؤمن بكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم ، ما علمت به وما لم أعلـم ، مما جاء به [و] قرر : أن الموت عن أجل مسمى عند الله ، اذا جاء لا يؤخر ، فأنا مؤمن بهذا إيمانا لا ريب فيه ولا شك .

كما آمنت وأقررت أن سؤال فتانى القبر حق ، وعذاب القبر حق ، وبعث الأجساد من القبور حق ، والعرض على الله حق ، والخوض حق و، والميزان حق [وتطاير الصحف حق والصراط حق ، الجنة حق ، والنار حق ، وفريق فى الجنة حق ، وفريق فى السعير حق ، وكرب ذلك اليوم على طائفة حق] ، وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر حق ، وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين [حق] واخراج أرحم الراحمين من النار من شاء [بالشفاعة] حق ، [وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون النار ، ثم يخرجون منها بالشفاعة] والامتنان حق ، والتأييد للمؤمنين فى النعيم المقيم [فى الجنان] حق ، والتأييد للكافرين والمنافقين فى العذاب الأليم حق ، وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله تعالى : علم أو جهل : حق .

فهذه شهادتى على نفسى ، أمانة عند كل من عند كل من وصلت إليه أن يؤديها اذا مثلها حيث [ما] كان ، [نفعنى] الله واياكم بهذا الايمان ، وثبتنا [عليه] عند الانتقال من هذه الدار الى دار الحيوان [وأدخلنا] دار الكرامة والرضوان وحال بيننا وبين دار [سرابيلها من قطران] [وجعلنا من الجماعة التى أخذت الكتب بالإيمان ، وممن انقلب من الحوض وهو ريان ، وثقل له الميزان [وثبت منه على الصراط] القدمان [انه المحسن المنان] .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله – لقد جاءت رسل ربنا بالحق .

مصادر ومراجع التحقيق

١ - ابن الأبار - الحلة السيراء تحقيق د. حسين مؤنس القاهرة ١٩٦٣م.

٢ - ابن أبيك - الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية تحقيق صلاح الدين المنجد القاهرة ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

٣ - ابن الأثير - الكامل في التاريخ دار صادر - بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

٤ - أحمد بن أبي الضياف - أتحاف أهل الزمان بأخبار تونس، تونس ١٩٦٣م.

٥ - الإدريسي - نزهة المشتاق في اختراق الأفاق نابولي - روما ١٩٥١م.

٦ - الأصفهاني - مقاتل الطالبين تحقيق محمد صقر - القاهرة ١٩٤٧م.

٧ - ابن واصل الحموي - تهذيب الأغاني دار الشعب - القاهرة ١٩٦٦م.

٨ - الأنصاري - المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ليبيا - ١٩٦٦م.

٩ - الباجي المسعودي - الخلاصة النقية في أمراء إفريقية تحقيق محمد بيرم التونسي. تونس ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م.

١٠- البخاري - التاريخ الكبير القاهرة - بدون تاريخ.

١١- البكري - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب - باريس ١٩١١م.معجم ما استعجم - القاهرة ١٩٤٥م.

١٢- البلاذري - أنساب الأشراف تحقيق جريفز فالدسين ١٨٨٣م.

١٣- التوحيدي- الأمتاع والمؤانسة. بيروت - بدون تحقيق وتاريخ.

١٤- الجهشياري - الوزراء والكتاب - تحقيق لجنة التأليف والترجمة - القاهرة ١٩٥٧م.

١٥- ابن أبي حاتم - الجرح والتعديل - دمشق - ١٩٦٨م.

١٦- ابن حجر - لسان الميزان دار المعارف النظامية - الهند ١٣٢٩هـ.

- تهذيب التهذيب، دار المعارف النظامية - الهند ١٣٢٥هـ.

١٧- ابن حزم - جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون دار المعارف - القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

١٨- ابن حوقل - صورة الأرض - ليدن ١٩٦٨م.

١٩- ابن حيان - مشاهير علماء الأمصار - ليدن ١٩٦٨م.

٢٠- الخزرجي - خلاصة تذهيب الكمال - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢١- ابن الخطيب - أعمال الأعلام - الجزء الثالث تحقيق أحمد مختار العبادي - دار البيضاء - المغرب ١٩٦٤م.

- الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق محمد عبد الله عنان القاهرة ١٩٧٧م.

٢٢- ابن خلدون - المقدمة دار الشعب - القاهرة ١٩٦٨م.

- العبر من ديوان المبتدأ والخبر - بولاق - القاهرة ١٢٨٤هـ.

٢٣- ابن خلكان - وفيات الأعيان - تحقيق محمد محيي عبد الحميد - القاهرة ١٩٤٨م.

٢٤- الدباغ - معالم الإيمان - تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور والدكتور ماضور - تونس ١٩١٤م.

٢٥- ابن أبي دينار - المؤسس في أخبار إفريقيا وتونس - تحقيق محمد شمام- تونس ١٩٦٧م.

٢٦- الذهبي - ميزان الاعتدال في نقد الرجال - تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

٢٧- الرقيق القيرواني - تاريخ إفريقية والمغرب - تحقيق وتقديم المنجي الكعبي - تونس ١٩٦٨م.

٢٨- السبكي - طبقات الشافعية - تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو - القاهرة ١٣٨٣هـ.

٢٩- السلاوي - الاستقصاء لأخبار دولة المغرب الأقصى - الدار البيضاء - المغرب ١٩٥٤م.

٣٠- السيوطي - بغية الوعاة - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٦٧م.

٣١- ابن شاكر - فوات الوفيات - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة - ١٩٦٣م.

٣٢- الشماخي - السير - القاهرة بدون تاريخ.

٣٣- الشهرستاني - الملل والنحل - تحقيق طه الزيني - الحلبي - القاهرة ١٩٦٣م.

٣٤- الشيرازي - طبقات الفقهاء - بغداد - ١٣٥٦م.

٣٥- الطبري - تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف - القاهرة ١٩٦٨م.

٣٦- ابن طولون - قضاة دمشق - دمشق ١٩٦٨م.

٣٧- ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز - تحقيق أحمد عبيد - القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

- فتوح مصر والمغرب - بيروت - ١٩٧٨م.

٣٨- عبد الواحد المراكشي - المعجب في تلخيص المغرب - تحقيق محمد سعيد العريان - القاهرة ١٩٤٩م.

٣٩- ابن عذاري - البيان المغرب في أخبار المغرب - بيروت - ١٩٥٠م.

٤٠- أبو العرب - طبقات علماء إفريقية - تحقيق محمد بن أبي شنب - الجزائر ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.

٤١- القزويني - أخبار البلاد وأثار العباد - بيروت ١٩٧٦م.

٤٢- القفطي - أنباة الرواة - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الكتب المصرية ١٩٦٤م.

٤٣- القلقشندي - صبح الأعشي - القاهرة ١٩٢٢م.

٤٤- الكندي - لاولاة والقضاة - تحقيق رفن كست - لبنان ١٩٠٨م.

٤٥- المالكي- رياض النفوس جـ١ - تحقيق د. حسين مؤنس القاهرة ١٩٤٩م.

٤٦- أبو المحاسن - النجوم الزاهرة - دار الكتب - القاهرة ١٩٦٣م.

٤٧- المسعودي - مروج الذهب - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة - ١٩٦٤م.

٤٨- المقرئ - نفح الطيب - تحقيق محيي الدين عبد الحميد - ١٣٦٧هـ - ١٩٤٩م.

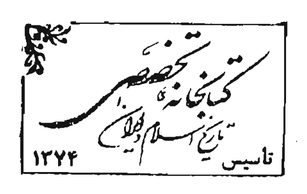
٤٩- النويري - نهاية الأرب في فنون الأدب جـ ٢٤ - تحقيق د. حسين نصار مراجعة د. عبد العزيز الأهواني ١٩٨٢م.

٥٠- ياقوت الحموي - معجم البلدان - القاهرة ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦م.

- معجم الأدباء.

٥١- اليعقوبي - البلدان - ليدن ١٨٠٩م.

- تاريخه - دار صادر ١٩٦٨م.



أ- المراجع العربية

١ - أحمد فكري - مسجد القيروان القاهرة ١٩٣٥.

آثار تونس الإسلامية تونس ١٩٥٨م.

٢ - د. أحمد مختار العبادي - سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

٣ - د. حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسي القاهرة ١٩٧٣م.

٤ - حسن حسني عبد الوهاب - خلاصة تاريخ تونس - تونس - ١٩٧٦م.

آداب المعلمين - تونس ١٩٥٨م.

ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية - المنار - تونس ١٩٦٦م.

٥ - د. حسن مؤنس - فتح العرب للمغرب القاهرة ١٩٤٧م.

معالم تاريخ المغرب والأندلس - القاهرة ١٩٨٣م.

٦ - الزركلي - الأعلام - القاهرة ١٣٨٣ - ١٩٦٣.

٧ - زكي محمد حسن - فنون الإسلام - القاهرة ١٩٥٤م.

٨ - د. سعد زغلول عبد الحميد - تاريخ المغرب العربي - الإسكندرية ١٩٨٤م.

٩ - السيد عبد العزيز سالم - تاريخ المغرب في العصر الإسلامي.

١٠- محمد زينهم محمد عزب - الإدارة المركزية للدولة الأموية - رسالة ماجستير - ١٩٨١م. آداب القاهرة.

١١- محمد ضياء الدين الريس - الخراج - القاهرة ١٩٨١م.

١٢- محمد عبد الله عنان - تراجم أندلسية وشرقية - القاهرة ١٩٥٦م.

١٣- محمد علي دبوز - تاريخ المغرب الكبير - القاهرة - ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

١٤- د. محمود إسماعيل عبد الرزاق- الأغالبة - القاهرة ١٣٦٧م.

الخوارج - في المغرب الإسلامي - دار البيضاء - المغرب ١٩٧٣م.

المراجع الأجنبية

(1) NEVILL BARBOUR A SURVEY OF NORTH WEST AFRICA (THE MAGHRIB) LONDON-NEW YORK 1959.

(2) MARCAIS LA BERBERIE MUSULMANE PARIS-1939.

(3) TERRASSE HISTOIRE DU MAROC PARIS 1952.

فهرس الكتاب

التنفيذ الطباعي

شركة

سويدان وأبو ظهر

بيروت . ص.ب: ١١/٩٣٥٤